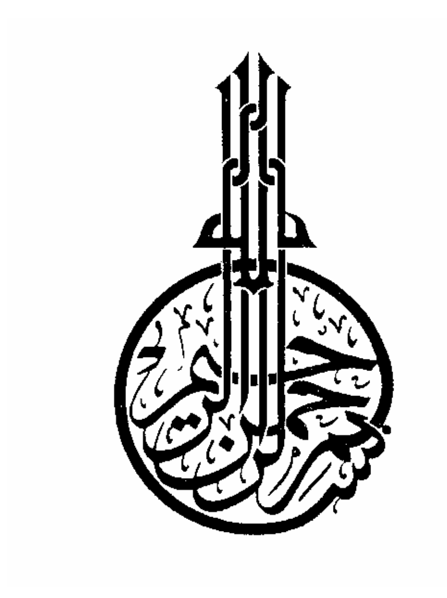
مرافئُ الحُبّ

للشاعر
سلمان بن محمد بن قاسم الحَكَمي الفَيْفي

(١٣٦٣ - ١٤٢١هـ= ١٩٤٣ - ٢٠٠٠م)

تحقيق وتعليق
الدكتور عبدالله بن أحمد الفَيْفي
(عضو مجلس الشورى– أستاذ النقد الحديث بجامعة الملك سعود)

(الطبعة الأولى، نادي جازان الأدبي: ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م)



مقدمة

- ١ -

وُلد الشاعر سلمان بن محمّد بن قاسم الحَكَمي الفَيْفي في فَيْفاء، بُقعة الخَشْعَة، جبل آل بِلْحَكَم (أبي الحَكَم): سنة ١٣٦٣هـ= ١٩٤٣م. وتلقّى تعليمه الأوّليّ في مدرسة الخَشْعَة[١]، في فَيْفاء[٢]، إذ التحق بها سنة ١٣٧٣هـ. ثم انتقل للدراسة بمعهد ضَمَد العلمي. ثم عاد إلى فَيْفاء، فعُيّن مدرِّساً في مدرسة الخَشْعَة، وكانت تُسمى (معهد الخَشْعَة)[٣].

[١] الخَشْعَة: البقعة المركزية من جبل آل أبي الحكم في فَيْفاء، حيث كان مترل الشاعر والمدرسة التي تلقّى تعليمه الأوليّ فيها.

[٢] فَيْفاء: منطقة جبلية، في جنوب المملكة العربية السعودية، شرقي مدينة جازان. تقطنها قبائل تعود في نَسَبها إلى خَولان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة.

[٣] معهد الخَشْعَة: أسّسه الوالد الشيخ أحمد بن علي بن سالم الفَيْفي، في جبل آل أبي الحَكَم، سنة ١٣٧٣/ ١٣٧٤هـ. وكان مَدْرَسَة للبنين والبنات، استمرّ عمله إلى آخر سنة ١٣٧٧هـ، وخرّج عددًا من المتعلّمين والمتعلّمات في فَيْفاء. وكان من مدارس المنطقة التي حظيت برعاية الشيخ عبد الله القرعاوي.

وبعد إلغاء مدارس القرعاوي[١]، التي كانت تُعدّ مدرسةُ الخَشْعَة إحـداها، انتقـل الشاعر للالتحاق بمعهد سامطة العلمي. فدَرَسَ في معهد سامطة في قـسمه التمهيـدي، فالمتوسط، فالثانوي، وحصل على شهادة المعهد، (القسم العامّ)، سنة ١٣٨٦هـ.

ثم التحق بكلية اللغة العربية في الرياض، وحصل على شهادة الليسانس سـنة ٨٩/ ١٣٩٠هـ. ليلتحق بالتدريس في معهد الرياض العلمي سنة ١٣٩١هـ. وبعد عمله هناك سنة دراسية، انتقل للعمل مدرِّسًا في المعهد العلمي في عَرْعَر[٢]. واستمر في التعليم في معهد عَرْعَر العلمي، ليشغل فيه بعد سنوات وظيفة وكيلٍ للمعهد، ثم مديرٍ للمعهـد، قبـل أن يَطلب التقاعد المبكّر، نظراً لظروفه الصحّيّة.

عانى الشاعرُ الأمراضَ منذ صِباه. وكان آخرها أن اكتشف الأطباء، في بداية سنة ١٤٢١هـ، إصابته بتورّم خبيث في الكبد، تبيّن أنه حالة متأخّرة لسرطان، أُعلـن عـن استحالة علاجها. فكابد مرضه ومضاعفاته بصبرٍ عجيب، حـتى توفّـاه الله في بـيتي في الرياض، في شهر رمضان من السنة نفسها، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

عرفتُ الشاعر شغوفاً باللغة العربية وآدابها. فلقد تتلمذتُ على يديه، ثم خَبرْتُهُ عن كثب، في مُقامه وسفره، وذلك بحُكم القرابة؛ فبيني وبينه ما كان بين طَرَفة والمُـتلمِّس، أو بين الأعشى والمسيّب بن علَس.. ثم بحُكم رابطة التخصّص والاهتمام المـشترك. فكـان

---

[١] الشيخ عبد الله بن محمّد بن حَمَد القرعاوي: مُصْلِح دينيّ، يُنسب إلى قرية القرعا شماليّ بريدة بالقصيم، وُلـد سـنة (١٣١٥هـ= ١٨٩٨م). قَصَد تهامة ١٣٥٨هـ، فأنشأ المدارس في سامطة وما جاورها، وأعان علـى إنـشائها، وامتدّت مدارسه إلى عسير. توفي بالرياض سنة ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م. (يُنظر: الزركلي، خير الـدين، *الأعـلام*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)، ٤: ١٣٥).

[٢] عَرْعَر: مدينة على الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية مع العراق.

المثقّف، المطّلع، القارئ من الدرجة الأولى، الحافظ، حاضر الذاكرة، سريع البديهة. حتى إن بعض زملائه كانوا يلقّبونه بــ"الموسوعة"؛ نظراً لتردّدهم عليه- كلما حزبهم ســؤال لغوي أو أدبي- أعيتهم إجابته. وكان إلى ذلك شديد التواضع والزهد في الأضواء. ومن آثار ذلك عدم اهتمامه بنشر شعره في حياته، مع كثرة ما كان يلحّ عليه في ذلك أصدقاؤه ومحبوه.

كما كان كريماً، جميل المعشر، خفيف الظلّ، يُشيع الدُّعابة والفرح أينما حــلّ أو ارتحل، وإنْ في أحلك الظروف. وفي أجواء مرضه الأخير- الذي يكفي ذكــره ليبعــث الفزع والأسى والحزن- كان سلمان صورة أخرى من الناس، ونسيجًا فريدًا من النفوس. إذْ أبى إلا أن يكون شجاعاً، صابراً، محتسبًا، كبير النفس إلى آخر لحظة.. يذكّرك بقول أبي الطيب المتنبي:

وإذا كانت النفوسُ كباراً تعبتْ في مُرادها الأجسامُ

وكان حاد الذكاء، لّماحاً، لَبِقًا، محبوباً من كل من عَرَفَه. كما كان ساخراً بالحياة وتقلّباتها.. واستمرّ على ذلك حتى آخر أيامه. ولعل في نصوصه الشعرية ما يدلّ على تلك السجايا فيه.

وكان- رحمه الله!- ذا همة عالية، جعلته ملجأ القاصــي والــداني، وفي مختلــف الظروف، رغم ما كان عليه من حالةٍ ملازمةٍ من الضَّعف والمرض. فكان الجميع يعوّلون عليه- علميًّا، واقتصاديًّا، واجتماعيًّا- فما عرفتُ أحداً من الأقارب إلا كان يعتمد علــى

الأستاذ سلمان في شأن من شؤون الحياة، في حين لم أعرف عنه يومًا اعتماده على أحدٍ من الناس:

وإنما رَجُلُ الدُّنيا وواحدُها   مَنْ لا يُعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ

حتى لقد عاش- بحكم الظروف- متفرّداً في الحياة، لا صاحبة ولا ولدًا. فصدق فيه- رحمه الله- ما عبّر عنه شقيقه (الأستاذ يحيى بن محمّد الفَيْفي) في وصفه: "كان يحبّ الغربة، عاش مغترباً، ومات مغترباً".

- ٢ -

ولئن لم نكن هاهنا بصدد تقديم دراسة فنّيّة عن شعره، إلا أنه لا مناص من بعض ملحوظات، في ضوء ما ذيّلنا به القصائد من شروح وتعليقات متفرّقة.

فلقد بدا الشاعر من حيث اللغة والأسلوب يراوح بين الجزالة- إلى حدّ الإغراب في بعض الحالات- وميلٍ في بعض نصوصه إلى سهولة الأسلوب، حد الاقتراب من اللهجة الدارجة، كاستعماله صيغة "عيوني"، مثلاً، بدل "عينيّ"، أو "متون"، بدل "متنين".. ونحو هذه من الاستعمالات التي تجاري محكيَّ اللغة. هذا فضلاً عن استعمالاتٍ عاميّة خالصة في بعض النصوص، يحاكي بها لغة الناس اليوميّة، كما في قصيدة "رنين وأنين"، (ص٢٦٩)، مثلاً. وجميع الشروح على هذا- أو التعليقات على غيره- هي من محقّق

الديوان، سوى النـــزر اليسير، الذي نَبَّهْنا فيه إلى أنه من وضع الشاعر نفسه. إلا أننـــا لم نعمد إلى شرح الغريب، إنْ وُجِد، إلاّ حيثما ظهر فيه إشكال دلاليّ، ولاسيما إن ارتـــبط باللهجة المحلّية، أو جاء يحمل إشارة تستدعي الإيضاح. وما عدا ذلك لم نَرَ الـــشَّرْحَ إلاّ قيدًا على النصّ، الأَولى تركُ شأنه لتعدّد القراءات، بمستوياها المتنوّعة.

وفي مجال الموسيقى الشعريّة، يُلحظ ثراء الإيقاعات لدى الشاعر. فلقد اســـتخدم معظم البحور الشعرية، ونَظَمَ على شتى القوافي، وزاوج بينها ونوّع. وكان بذوقه يُلـــبِس الوزن القديم خفّة تُذهب عنه غُلواء الجَرْس، حتى إنه في استخدامه البحر المديد مثلاً- وهو من بحور استثقلها القدماء وتخفّفوا منها- يستعمل منه محذوف العَروض والضرب مخبوهما، في قصيدة "لوحة من بلدي"، (ص٧٢)، فيأتي وزنه في غاية العذوبة والانسياب.

غير أنها قد لوحظت بعض ظواهر اختلال في الوزن في بعض النصوص، يمكن القول إنه يكمن وراءها أحد السببين الآتيين، أو كلاهما:

١) بعض الزحافات هي أصلاً نتيجة تحوّل المنطوق إلى مكتوب؛ إذ إن الشاعر يتّكئ على طريقة الإلقاء، التي قد تُشبَع فيها حركة، أو يُمَدّ فيها صوت، فينجبر الكسر، أو ينتفي الثِّقَل، وهو ما لا يُتاح تمييزُه لقارئ النصّ، كما يُتاح له لو تلقّاه سماعًا. ولعل هذه الظاهرة تُلحظ شائعةً لدى جيلٍ مضَى، يَغلب عليه إرث الثقافة الشفاهيّة، تلقَّى الشعر سماعًا، قبل أن يقرأه، ونَظَمَهُ صوتيًّا، قبل أن ينظمهُ مكتوبًا. وتلك إشكاليّة بين المنطوق والمكتوب قديمة، قِدَم الشعر العربي.

٢) في بعض الحالات تَصْدُقُ على الشاعر المقولة المنسوبة لأبي العتاهية، حينما أخذ عليه العروضيّون خروجه عن قواعد العَروض، فقال: "أنا أكبر من العَروض!". وذلك كاستخدام شاعرنا (الخبن) في البحر السريع، في قصيدة "بيروت"، (ص٢٧٧). إذ إن الخبن- بحسب العَروضيين- يكثُر ويحسُن في تفعيلة "مستفعلن"، في بحر الرَّجَز، في حين أن (الطيّ) يكثر ويحسُن في التفعيلة نفسها من البحر السريع. لكن الشاعر استخدم (الخبن) في السريع كذلك. بل جمع بينه والطيّ في تفعيلة واحدة، وهو ما كان العَروضيون يستثقلونه حتى في الرَّجَز.

على أنه ينبغي عدم إغفال عامل آخر وراء بعض ما قيل حول المستوى اللغوي أو الموسيقيّ لدى الشاعر. وهو أن الرّجل- فيما يبدو- كان يعوّل أحيانًا على السليقة، دون إعادة النظر في القصيدة. بل ربما كانت بعض النصوص بمثابة تجارب أولى لم ينقّحها الشاعر. فنحن هنا- إذْ نتصدّى لنشر ما لم يُبادر الشاعر نفسه إلى نشره- إنما نتعامل مع مخطوطات، لعل بعضها لم يصل إلى درجة الرضى الفنيّ التامّ من قِبَل الشاعر.

أمّا إذا تجاوزنا جانب العَروض من البناء الموسيقي، فسنقف على وعي الشاعر بما للغة الشعريّة من صنعةٍ خاصّة، وذلك من خلال احتفائه، غير المتكلّف، بموسيقى الشعر الداخليّة. وظاهرة الموسيقى الداخلية لديه كانت تُضفي على شعره غنائيّة عذبة، حتى في قصائد المناسبات، كقصيدة "في رحاب الشمال"، (ص٤٢)، على سبيل المثال. كما يمكن الإشارة إلى مثال آخر واضح أيضًا في توظيف صوت (الفاء) في آخر نصّ "مواقف

متوهجة"، (ص١٧٢)، وما أدّاه هناك من وظيفة إيحائية في تصوير التغيّر والتصوّح، الذي جاء النص معبّرًا عنه.

وعلى صعيد الصورة الشعريّة ظلّ الشاعر أقرب إلى المحافظة على التقاليد الفنّيّة، ضمن "كلاسيكيّتها" الحديثة. حتى إنه في غَزَله قد يميل إلى وصف التجربة الواقعيّة بشكلٍ مباشر. بل لقد عَبَّر في بعض نصوصه الشعريّة- كما ورد في مقابلةٍ معه (النموذج المخطوط رقم ٩)- عن موقفه النقديّ والثقافيّ الحادّ من التحديث في الشعر، حسب التيارات المعاصرة. ولذلك لم يكن مُسْتَغْرَبًا أنْ لم يكتب قصيدةً تفعيليَّة قط. فقد بقي أمينًا لبيئته المعرفيّة الأُولَى وانتمائه التراثي الخالص.

- ٣ -

وعلى الرغم من حرصنا على إثبات نصوص الشاعر كاملة، فقد كنّا أمام بعض النصوص التي استدعتْ التوقّف. منها:

أولاً، مخطوطات لمطالع أو لقصائد لم يستكملها الشاعر، وما زالت تحمل تشوّش البدايات. فاستُبعدت؛ إذ ما نظنّ الشاعر كان ليرضى عن نشرها بصورتها تلك. أمّا ما رأيناهُ جديرًا بالإثبات، كقصيدته بعنوان "الشاعر"، (ص٧٩)- ولعلّها آخر ما كتبه- فقد اجتهدنا في صياغته وترتيب أبياته، منوّهين عن تفاصيل ذلك في مواطنه من الديوان.

ثانيًا، مخطوطات أُخرى بدا من الواضح أن الشاعر ما كَتَبَها ليُذيعها في الناس، وإنما كَتَبَها على سبيل التفكّه في لحظات عابرة، أو لمعابثات شخصية، فهي رهينة المواقف الخاصّة جدًّا من حياة الشاعر. فعددناها من جملة أوراقه الخاصّة، التي لم نر من حقّنا إعلانها ونشرها. على أن من نصوص هاتين الفئتين (أوّلاً وثانيًا) ما أُدرج ضمن صور مخطوطاته، اللاحقة نماذجها بعد هذه المقدمة.

ثالثًا، ما يدخل من النصُّوص في باب الإخوانيات، وطابع الارتجال فيه غالب على التجويد الفنّي. فأُخذ منه ما قُدّر أن الشاعر كان سيَقبل نشره.

رابعًا، وجدنا من نَظْمه للمناسبات ما صاغه على ألسنة تلاميذ المدارس، وذلك للإلقاء، أو الإنشاد في أثناء حفل مدرسي، أو استقبال ضيف ما. فأُثبت منه ما بدا صالحًا للنشر، دون غيره.

ما عدا تلك الاستثناءات– وهي لا تعدو بضعة نصوص قليلة العدد والأهمية– جُعل جميعًا بين يدي القارئ، بوصفه مادة توثيقية شاملة لتجربة الشاعر، في تنوّعها، واختلاف درجاتها.

– ٤ –

ولّما وقفتُ على المادّة بعد جمعها، ألفيْتُ بين يديّ من القصائد ما يتطلّب التصحيح والضبط. فأجريتُ عليه ذلك. ومنها كثيرٌ ما زال مخطوطًا بالقلم، أو بالآلة الناسخة،

فقُمتُ على طباعته، باذلاً الجُهد في ضبطهِ، وتخريج ما قد يكون من اختلاف النصوص بين المخطوطات، حسبما هو مثبتٌ في حواشي القصائد. فلقد كُنتُ أتوخّى الدّقّة والأمانة في إثبات ما كتبَهُ الشاعر، دون التدخّل بتعديل أو تحوير، إلاّ في أضيق الحدود، وحينما تدعو الضرورة الفنّيّة إلى ذلك، مع الإشارة إلى ما في الأصول. ذلك لأنني وجدتُ من القصائد ما مرّ بين يدي الشاعر بأطوار مختلفة، هي في حقيقتها أطوار من حياته نفسها، ولعل أبرز النماذج التي تُمثّل ذلك قصيدة "جدبٌ وسراب"، (ص٢٣٦). فأثبتُّ في المتن صيغة الشاعر التي بَدَت لي الأخيرة- إذ لم يكن الشاعر عمومًا يُعنى بإثبات تواريخ النصوص- ثم ذكرتُ الاختلافات، أو الزيادات، في حواشي الصفحات. بل لقد تبدّى خلال هذا أن الشاعر كان يستلّ بعض النصوص من قصائد قديمة، لتُوافق مناسبات لاحقة؛ فلم يكن من الأمانة الفنّيّة ولا النقديّة إهمال المادّة الشعريّة في صورها الكاملة، ولاسيما حينما يبدو الاختلاف بين النُّسَخ كبيرًا وجديرًا بالتنويه، كما في النصّ المشار إليه.

ولقد كان في سابق علاقتي، شبه الملازمة للشاعر، ما أفادني في عملي على بعض نصوصه. ففضلاً عن صلة القرابة، وقضائي قِسْطًا من صباي في كنفه، كنتُ قد صحبته سنوات في الرياض، كما رافقته في حِلّه وسفره داخل المملكة وخارجها. فسمعتُ منه كثيرًا، وشاركته القراءات كثيرًا، وكانت بيني وبينه من شؤون الثقافة ما يتعدى شؤون القرابة، حتى لأزعم أنني من أكثر الناس معرفةً به. وهذا ما هيّأ لي إدراكًا للظروف التي أحاطت ببعض النصوص، وإلمامًا بالسياقات التي قيلت فيها. كما أتاح لي معرفة الزمان والمكان اللذين قيلت فيهما بعض القصائد، وما قد يكون لحقها بعدئذٍ من تغييرٍ أو تطوير.

وقد جاءت الأغراض الشعريّة التي نظم الشاعر فيها من التنوع بحيث شملت: السياسيّ، والوطني، والعاطفيّ، والاجتماعي، إلى غيرها من المجالات. ولا غرو، فهذا نتاج قرابة أربعين سنة من الشعر. مع أني لا أشكّ في أن الشاعر قد ضيّع من نتاجه ما يعادل ما أَبْقَى، وربما أكثر؛ إذ لم يكن مهتمًّا بجمع شعره في ديوان. وبالرغم من هذا الحضور الموضوعي وراء نصوص الشاعر، فقد آثرنا في ترتيب القصائد منهاج الترتيب الهجائيّ- بحسب القوافي- على التصنيف بحسب الموضوعات أو الأغراض؛ كي يسهل وصول القارئ إلى النصّ في مكانه من الديوان. أمّا القصائد متنوعة القوافي، فأُدرجتْ في مكانها وفقًا لقافية المقطع الأول منها. واتُّبِع في ترتيب القصائد من قافية واحدة المنهاج المتعارف عليه لدى المحققين، بدءًا بالقوافي المقيدة، فالمنصوبة، فالمضمومة فالمكسورة. ثم تُرتّب القصائد ضمن كل حرف مقيّد أو متحرّك بالنظر إلى ترتيب البحور الشعرية في علم العَروض، بدءًا بالبحر الطويل، فالمديد، فالبسيط.. وهلم جرًّا.

* * *

وقبل أن نُقدّم إلى القارئ مادة هذا الديوان، بدا من المفيد، والدالّ معًا، أن نأخذه في رحلة مع سجلّ الشاعر من المخطوطات الشعريّة. وليس الغرض من ذلك هاهنا إظهار الأصول المخطوطة التي انطلق منها العمل المنشور- كما هو العُرف العلمي- فحسب،

ولكن أيضًا أن تكون تلك الصور بمثابة معرضٍ فنّيّ لقلم الشاعر الأنيق، وهو يعايش آلامه وآماله وكلماته، عبر أطوار مختلفة، وتفاعلات متعدّدة مع المحيط الشخصيّ والعام.

* * *

وبعد، فإن هذا العمل لم يكن له أن يرى النور لولا الاهتمام البالغ من قِبَل شـــقيق الشاعر، خالي الأستاذ يحيى بن محمّد الفَيْفي، الذي حافظ على تلك النصوص التي تركهـــا الشاعر، حتى دفع بها إليّ، للعمل على تحقيقها وإعدادها للنشر. كمـــا كـــان في حثّـــه ومتابعته، وحرصه على خروج العمل بالصورة اللائقة، الدافع الأول للشروع في العمـــل والاستمرار فيه. وكان بعض أولاده- بنات وبنين- قد بـــادروا إلى نَـــسْخ كـــثير مـــن القصائد، بهدف التداول الشخصي، فكان ذلك الجهدُ لَبِنَةً في إنجاز هذا العمل على صورته الحاليّة. فلأولئك جميعًا جزيل الشكر وخالص الدعاء.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات الشاعر، وأن لا يحرمنا- وكـــلَّ من أسهم فيه- الأجر، كِفاء ما ابتغيناه وراء إخراجه من خدمة اللغة، وحِفْظِ مـــأثورات التراث والأدب.

د. عبدالله بن أحمد الفَيْفي
aalfaify@yahoo.com

❑ ❑ ❑

رحلة الحرف

سِجِلٌّ لنماذج من مخطوطات الشاعر

تجربة أوّلية بخط الشاعر

نموذج ١

معمعة التكوين الأوّل

نموذج ٢

نموذج ٣

نموذج ٤

ولربما صارت ورقة الفحص الطبي ورقة فحص شعريّ أيضًا !

DALLAH HOSPITAL

URINE ANALYSIS

Ward/Clinic: | Date: | Time:

Physician: | Status: ☐ Emerg ☐ Routine

History & Diagnosis:

Test Required:
☑ L 815 ROUTINE ANALYSIS

PHY 12-373 08-04-99
NEGATIVE
NEGATIVE
NEGATIVE
CHE <=1.005
NEGATIVE
6.5
NEGATIVE
0.2 E.U./dL
NEGATIVE
SMALL

COMMENTS

☐ L 820 MICROSCOPIC ANALYSIS
EPITHELIAL CELLS .... MODERATE
BACTERIA
CRYSTALS
RBC .... /HPF
WBC >100 .... /HPF
CASTS
HYALINE
WAXY
GRANULAR .... NEG
PUS CELLS
RBC

PATHOLOGIST:
TECHNICIAN:
DATE 8/4/99

DH. ML 120

نموذج ٥

وهذا سلمان المحبوب في الشمال كالجنوب؛ قصيدة للشاعر صغيّر غريب عبدالله، ألقاها في حفل ثقافي أقامه نادي بدنة (عرعر)، لتكريم الشاعر، في رمضان ١٤١٢هـ



"سلمان"

====

شعر / صغير غريب عبدالله

هذه القصيدة ألقيت في الحفل الثقافي الذى اقامه نادى بدنه في رمضان عام ١٤١٢هـ والذى تم خلاله تكريم الأديب والشاعر الاستاذ سلمان محمد الفيفي مدير المعهد العلمي في عرعر

لا تحدث عن ندرة الأوفياء ** في زمان يضج بالأدعياء

عالم مترف وروح غريب ** وقلوب مشحونة البغضاء

كم يعدون كم يقولون زيفا ** كم يحشون خطوهم للسوراء

ايه سلمان أنت فيهم غريب ** والوفاء بضاعة الشيماء

ايه سلمان لست من زمرة الغرب ** بىء من عالم الأثرياء

أنت من عالم يؤرقه الجرح ** ويسمو بروحه للنقاء

شاعر المجد لم نكرمك نحن ** أنت كرمتنا بطيب اللقاء

امتطى المجد شاعر لا يبارى ** وتعلو في صهوة الجوزاء

ألمعي يسابق القول فهما ** وفريد في عالم الأذكياء

وأديب يغض عنه حياء ** واعترافاً فطاحل الأدباء

ايه ياشاعر الشمال أعرني ** قافك اليوم كى أبوح وفائى

قد تلعثمت قد شعرت وعذرى ** رؤيتي فيك أنبل النبلاء

*****
****
***
**
*

نموذج ٦

وكانت للمربّي الفاضل الشيخ عثمان الصالح مآلِكُهُ الشعريّة ومخاطباته الإخوانيّة مع الشاعر

Executive Office

الشيخ عثمان الصالح

تحيّاتٌ إلى الفينيقيّ منّا
لهُ قلبي إليهِ اليومَ حنّا
ذكرنا كمْ ولو لمْ تذكرونا
ولمْ تسألْ إذا ما زرتَ عنّا
- رياضُ المجدِ عاصمةٌ تجلّتْ
لنا بدرًا إذا ما الليلُ جنّا
فهل سِرْتُمْ إلينا عَصْرًا فإنّا
صباحًا نحوَ قلبِ الجوفِ سِرْنا
لكم في عرعرٍ ذكرٌ طريٌّ
إلى هذا "النسيمِ العذبِ" جئنا

نموذج ٧

رسالة من الشيخ عثمان الصالح إلى الشاعر

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان الصالح

(٢)

أخي – سلمان الفيفي – عرعر. المعهد العلمي

إني [أنا طرب] للرسائل حشوها

أدب نفيس في العلوم له شذى

يجلو لنا من فكره مألوفة

نفح الرياض من شيرط أو هكذا

الخميس ٢/٩/١٤١٥هـ

نموذج ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان الصالح (١)

إن الرسائل والترسل، والخطابات التي لها دورها في أمتنا العربية
التي لغتها الفصحى مثار الإعجاب فقد نزل القرآن حلاها. وتجلببت الحديث دثارها
ورداها. فكان القرآن لها حافظاً... وكانت السنة لها وعاء وظرفاً
حديثاً جزيا... وأدباً نقياً. والرسائل كانت وما زالت من
النبي الكريم سليمان الحكيم صلى الله عليه وسلم كرسالته التي أوجز رسالته وأعظم
إلى ملكة سبأ. وأعظم كلمة نطق الكريم المنان في القرآن إنه من
سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم إلى آخرها الرسالة التي سُطّرت
في القرآن وفعل من الرسول العظيم في رسائله إلى قادات وسادات
الأمم وروادها. وإلى أن انتشر الإسلام فكانت الرسائل
المعجزة.. والخطابات الموجزة إلى أرباب الصولجان والملك
باهرة بجمالها أولئك بالأسلوب البليغ والمعنى الكريم تلقاها
ملك الروم وغيره من الملوك والرسائل هي التعبير الحي الذي يخلب
العقول ويسحر الألباب بما لمعنى المتدفق :-

إن الرسائل سحرها ومكانها :: في القلب ينبض نبضه المتدفق
ولها أداء جلالة بفصاحة :: تأثيرها بنفوسنا يتحقق
يا أيها [الأفيقي] عشت معاناً :: وبساحة التقليم أنت موفق
ذكرتنا برسائل الماضين في :: عصر مضى بجلاله لا يلحق

إن رسائل الهمذاني الأديب.. والمأثور من الجاحظ العالم المتبحر
أديب العصور مرت الأيام والشهور والدهور وذكرها ممن
كانوا المعلمين لنا والكلام تحاورهم ومتناول من علمهم

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الموقر – سليمان العنيفي (ح)

عثمان الصالح

إنه للذة تعلو على رسالة من أخ في الله وصديق وفي عرفناه عندما التقيناه في منطقة حبيبة هي عرعر .. المدينة الصحراوية ذات الأثر والآثار والجميل من الأخبار لو نطقت لأنطقتنا من رسائل الماضي خصيب المعاني وجيد المباني

فإن أوّلونا أصلحوها :: لقرآنه نبني جنينا سلاما
وسنة أحمد شرحت معانيه :: رسائل جعلناها أماما
وما العنيفي إلا رقوم :: معنونة لنا ما كانوا أماما
بلى تاريخ أمتنا سيحيى :: شعورك صادقا فينا نامي
وعهدكم سينجب في بلادي :: رجالا في مرافقنا عظاما

أخي الكريم – سليمان – إنني كنت عرفتك إماما .. ولم تكن مع الأسف أياما فقد ذكرتني الأدب ومنحه .. والعبه وأعذبه .. شربت منه في رسالتك كأسا رويا .. وأدبا سنيا .. يذكرني بالأدب السليم والفكر القويم الذي أرجو أن ينتشر ويتمثل ليكتسح الأدب الحداثي الذي ذر قرنه .. فحطم قرنه؟ الأصيل بأدبنا اللباب والذي حفظته لنا السنة والكتاب...

أخي الأستاذ سليمان .. أشعر عبر التعبير .. في هذه الرسالة التي أبعثت منها ينالها ثوبا قشيبا .. وكسوتني فيها صفا كريما .. وجعلتني في الأدب صميما .. دعاما عليما .. وبهذا خلعت في خالي لديّ منه لا أصل ولا ذوبه .. ولا بشيء رذاذ ولا وصوب .. :-

خلعت على أوصافا عظاما :: وما أنا منه في شيء أكونه
وما قد صغته فينا فضلكم :: لعمر الله – محمدة – سمينة
كسوت إخاء منك صفات علم :: بعبيركم – لشأنكم – ثمينة

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤)

عثمان الصالح

لا شك أيها الفتى العظيم .. والأستاذ الفهيم وبابتسامته الحليم .. خلفاً ورثته
إن لقاء الأخيار يرسخ في أفق الذاكرة .. ذلك أن تلاقي الأفكار وتجاذبها
وتوادها لا يحتاج إلى وقت طويل بل في لحظات من هذه اللقاءات يثبت
ثبات الجبال .. لا تمحوه السنون .. ولا تزيله أي حديث .. وما ذكرته
من هذا اللقاء الحبيب في بلد غريب - هو من هو - هو نفس الذي مكث
في نفسي. ولما جئت لقائي بك ما زال ماثلاً. فذكرته بلقاء في ربوعنا
الزين الغالي في مدينتنا - درة الصحراء. والواحة الخضراء .. ثم جئت محباً
يحب الأخيار والصلحاء ... ويزداد في تقدير المعلم تقديراً .. وإكباراً :-

[يا أيها الرجل المعلم] أنت في :: [illegible] ذا المنار الساطع
أو جبلنا من مثل تخصصك عالماً :: يبلص ويغرس كل نبت نافع

عزيزي - العفيفي - المعلم في [illegible] - في [illegible] .. فما أنت إلا
القطرة الأولى من الطينة الطيبة .. والصالحة للأنبات والتي يتولاها
رب قدير ومعلم بارع. ومفكر مواطن .. لا تفوته الحكمة والعمل،
ويحضرني قول القائل :-

وتقدم عما قل أدباً فتجفو :: وتنسبه إلى غلظ الطباع
وتترك ما تأتي من أديب :: كترك السلاح من الشجاع

وما أنت في - نظري - إلا شجاع في التعليم وصارم (باني) في التربية .. والعلم
والتعليم سلاح وكياسة يذلل بها شائك الأحزان وحاد الطباع
وأنت ذلك الرجل. وأتمنى لكم - بإذن الله - زيارتكم زيارة
خاصة ولا أغفل كلمة في حقكم الغالي وتمد بها حبل العبد بإذنه

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

عثمان الصالح

في يوم تتقدم عليه نرى فيه الأدب والأدباء والعلماء النجباء أتى دخن زهو بعد والآن نعود إلى مواقفك الندية وكلماتك الشذية .. وتفكيرك العبقري فهذه المواقف الشذى والتفكير والعلم الغزير والأدب الكبير والفن وضعتها في شخص ألبستني حلاها ووصفتني بأزكاها ما أنا منها في شيء ولا قليلا وكثيرا :

ألبستني ما ليس في وإنني :: لا قل مما قد ذكرت وأضأل
ووصفت مني في الكمالة آية :: أضعاف في ما قلته وسناك

واستشهد بقول الشاعر وهو كل ما أنا فيه وعليه من قبل ومن بعد :-

أحب الصالحين ولست منهم :: وأرجو أن أنال بهم شفاعة

أيها الأخ النبيل والزميل الكريم - الفيض الجميل .. إنه زمنا قضيتها محبا وصديقا .. يقول فيه :- هذا زمانك إني قد مضى زمني حتى مع لقاء الأصحاب في داره داري وبلد هو بلدك .. بقيت هي تفعله تتقصى الأخبار وتحس الديار .. وأنت منذ وقت ولا ما له بسيف العلم والتربية جنود للجهل فأصبحت أستاذا في تربية شبيبة هم اليوم طلبة وغدا - كتيبة لهم دور مهم في بلاد أصبحت اليوم كلها فخر قضية تزرع العلم وعبق المعرفة وصدق الوعي

وإنني لك شاكر ذاكر هذه العارفة السنية والتحية الأدبية . والنفس الذكية والفكرة الواعية واستشهد في شكري لك وتقديري بقول القائل :

إذا أنا لم أعرف لذي الفضل فضله :: ولم أكم الخبء للعلم الذمما
فهم عرفت المجد والثريا سمة :: ومن [illegible] المسامع والقضا

وأضيف إلى ذلك قول القائل :-

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد :: لعزة ملك أو علو مكان

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان الصالح (٥)

لا بد بأن العباد لشكره :: فقال: أشكرني ربي بشكرانه

وأختم كلماتي مع هذا بقول العتابي :-

فلو كان للشكر شخص يبين :: إذا ما تأمله الناظر

لمثلته لك حتى تراه :: فتعلم أني امرؤ شاكر

وختام الختام أيضاً قول البحتري :-

من لا يقول بشكر نعمة غيره :: حتى يقوم بشكر نعمة ربه

العلي وإلى زملائك في التعليم فزيدك الله السلام ما أزهر البشام

مع الدوام لي ولك وللأولاد .. لا زلت مسدداً .. ومجدداً في

سبيل تنشئة الشباب

المحب المخلص والمنتظر منك الزيارة

عثمان الصالح

وتلك بطاقته الشخصيّة كما اختار أن يُعبِّر عنها، مع الاعتذار ليوسف الخال وأدونيس!

المشفوعات : ....

ج-١- البطاقة الشخصية:

أنا على هامش الأيام مرتحل ∴ وحدي وزادي وريقاتي وأقلامي
أسير في الدرب فردًا للمعالي هدفي ∴ محملًا بالأسى يا بؤس أيامي
للمعالي الهدف الأبقى ويا فزعي ∴ إن كنت لم أستطع تثبيت أقدامي
فلو حسبت وبالأرقام ما اقترفت ∴ نفسي لزادت على الأعداد أرقامي.

ج-٢- أميل إلى الشعر الموزون المقفى، المعبر عن مكنون النفس من خلجات وأفكار وعواطف.

أ- (إذا الشعر لم يهززك عند سماعه ∴ فليس حريًا أن يقال له شعر)
ب- (وإن أجمل بيت أنت قائله ∴ بيت يقال إذا أنشدته صدقا).

ج-٢- مقياس الشاعر:

الشعراء فاعلمن أربعة
فشاعر يجري ولا يُجرى معه
وشاعر يخوض وسط المعمعة
وشاعر لا تشتهي أن تسمعه
وشاعر لا تستحي أن تصفعه.

ج-٤- أقرأ النثر في جميع العلوم ∴ ولي الشعر كالرياض الشذيّة

ج-٥- بداية الشعر تلفيق وثرثرة ∴ بشرط من خيال غير محدود.

ج-٦- رنين وأنين، هاتفي ضج في الدجى بالرنين ∴ وأنا منه في خصام مبين.

ج-٧- ولا أتمنى ما يكون حصوله ∴ بعيدًا ولكني أحب الروائعا.

ج-٨- الشعر وجدٌ وإحساس وموهبة ∴ وبسمة وانطباعات وأهواء

ج-٩- (إذا لم تستطع شيئًا فدعه ∴ وجاوزه إلى ما تستطيع)

ج-١٠- سمال على أفنانها الشعر بازغ ∴ قصائد عشر فتقتها البراعم

التنبؤ لها: (إن الهلال إذا رأيت نموّه ∴ أيقنت أنْ سيصير بدرًا كاملا)

ج-١١- هم الرعيل الأول مثل: محمد حسن فقي / حسن القرشي / عبدالله بن خميس / عبدالله بن إدريس.

ج-١٢- (ذهب الذين يعاش في أكنافهم ∴ وبقيت في خلف كجلد الأجرب).

نموذج ٩

كلمة أخيرًا :

شكرًا على تقبلكم في العبد الضعيف، وأرجو ألا تكونوا قد استسمنتم ذا ورم، أو نفختم في غير ضرم . وعذرًا إن قسوت على طلاب اليوم في الشطر الثاني من بيت الشعر، وعذري ما أشاهده فيهم من حيرة، وتمرد، وقلة حيلة، وضياع هدف، ولا زلت متفائلًا « تفاءلوا بالخير تجدوه » .

والعفو إن زللت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شعر الحداثة مأخوذ من الحدث … يا يوسف الخال مت بالحمق والرفث

ويا أدونيس هاك الشعر منفردًا … مدنس في ثياب الرجس والخبث

أخرا الشعر عبقريا نقيا … يمتع النفس كالرياحين الشذية

ولعلّ قصيدة "السلام عليكم" هي آخر ما خطّت يمينه

/ بسم الله الرحمن الرحيم / السلام عليكم / شعر سلمان محمد الفيفي

تأنّ في الطعنة النجلاء في كبدي   فأتقيها بذكر الواحد الصمد

أحسّ يا بارئي التمزيق في بدني   فاجعل لهيب الحُمّى يارب كالبرد

كأن قلبي على السّفّود يحرقه   في جاحم النار يوماً كف مفتئد

يقول لي حضرة الدكتور للأمل   فقلت: لكنّ على ذي العرش معتمدي

ثم السلام عليكم ليس لي قِبَل   مما أتاني من الرحمن يا ولدي

ولا ألومك يا دكتور لا عتب   رغم الجلافة والإعراض والصّيَد

لا تيئسنْ أيها الآسي فأنت على   ما قدر الله لم تنقص ولم تزد

إن المنايا لكل الناس مرصدة   فهل هنالك من ينجو من الرصد

والموت حق فلا أخشى بوادره   وسوف ألقاه بالتوحيد والجلد

وكيف أخشى سهام الموت تفترسني   ولست أملك لا روحي ولا جسدي

وليس خلفي من أخشى تيتّمهم   بعدي ولا لي من الأموال ملء يدي

وقد أخذت من الدنيا بهارجها   وغرّني مثل غيري كثرة الزبد

في كل جارحة ذنب يؤرقني   رباه لم أستقم واعتدى أودي

يا رب لو عُدّ ذنبي كالمحيط لما   ردّدتني خائباً غرقان في العدد

يا منقذي من لهيب النار يا أملي   يا خالقي صب نور العفو في خلدي

والمسرفون على أنفسهم فزعوا   فقلت: لا تقنطوا من رحمة الأحد

يا سعد من نعمة الإسلام تغمره   ومن خلا قلبه من وصمة الحسد

نموذج ١٠

يا قابل التوب امح الذنب عني فقد — مذ جئت بين طريق الغي والرشد

لكن يقيني بعفو الله يحفزني — ألا أخاف من التعذيب يوم غد

فالله معتصمي بل منتهى أملي — والله ملتجئي والله مستندي

يا رب إن كان خيرا لي البقاء فهب — لي من دوائك ما يشفي من الكمد

فأنت أذهبت عن أيوب محنته — في شدة الكرب منًّا منك بالمدد

يا ذا الطبيب الذي أعلنت فاجعتي — أما ترى أنني كالضيغم الحرد

لم أهتزز عندما قالوا كذا مرضي — بل زادني قوة إذ لم يطل أمدي

وقد يموت الفتى من غير ما مرض — بل كان يختال في النعماء والرغد

لكن موت أخي قد شل مقدرتي — وكاد يخنقني حبل من المسد

بكيت سرا وجهرا عندما سمعت — أذني بنعي أخي لله يا عضدي

والحمد لله ملء الكون خالقنا — ثم الصلاة على الهادي مدى الأبد

إلا أن كراسة شعره تحمل قصيدةً أخرى بعد "السلام عليكم"، لم تكتمل، قد تكون هي آخر ما كَتَب



نموذج ١١

ديوان

مرافئ الحُبّ

ملهماتُ الشِّعْر

يا مُلْهِمَ الشِّعْرِ أين البَحْـــرُ والمــــاءُ؟   أين الرَّواجُ وسُوقُ الشِّعْرِ غَوْغـــاءُ؟

أين الأزاهـــيرُ ألوانـــاً تُفَـــتِّـــــقُها   براعمٌ مثلما تَـــفْــتَـــرُّ غَـــــيْداءُ؟

أين البلابلُ قـــد كانـــتْ مُغِـــــرِّدَةً   جَذْلـــى تُناغِمُها في الأَيْكِ وَرْقاءُ؟

هل صَوَّحَ الرَّوْضُ؟ هل نامتْ بلابلُهُ؟   هل طَوَّحَتْهُ من الأرواحِ هَوْجــاءُ؟

ذِكْرَى تُؤَجِّجُ أفكــاريْ فأســكبُها   قصيدةً ملْءَ عينيْ، وهْـــيَ جَوفـــاءُ!

ماذا أَقولُ، وبحريْ كُلُّـــهُ نُطَـــــفٌ   في قَعْرِ كأسٍ، وبحرُ الشِّعرِ دَأْمـــاءُ؟

******   ******

الشِّعْرُ وَجْدٌ، وإحــساسٌ، ومَوْهِبَــةٌ، وبَــسْمَةٌ، وانطباعـــاتٌ، وأَهْـــواءُ
الشِّعْرُ حَرْفٌ، وأطيـــافٌ، وأَخْيِلَـــةٌ، ورَوْضَةٌ من رياضِ الفِكْـــرِ غَنَّـــاءُ
الشِّعْرُ بَـــذْلٌ، وإيثـــارٌ، وتَـــضْحيَةٌ، ونَبْضُ حُـــبٍّ، وأَنـــسامٌ، وأفيـــاءُ
الشِّعْرُ جَـــرْسٌ، وقيثـــارٌ، وأغنيـــةٌ، وحُرْقَـــةٌ، وانتمـــاءاتٌ، وحَـــوَّاءُ
الشِّعْرُ خَفْقُ فـــؤادٍ بـــاتَ مـــضطرباً يَغُطُّهُ في عميـــقِ الحُـــزْنِ إغمـــاءُ
الشِّعْرُ، ما الشِّعْرُ إلا فكرةٌ نَـــضَجَتْ وكان منها على القِرْطاسِ عَـــصْماءُ
كَـــم ذا أُعالجُـــهُ لأْيًـــا فيتـــركني حيرانَ، موهبتيْ صَـــحراءُ جَـــرداءُ
يَنِدُّ عَنِّيْ إذا مـــا جئـــتُ أُمْـــسِكُهُ كأنَّـــه- يـــا عبـــادَ اللهِ - عَنْقـــاءُ
ما حيلتيْ، والـــرُّؤَى تـــأتي مُلَوَّنَـــةً كما تَلَوَّنُ في الأغـــصانِ حِرْبـــاءُ؟
حاولتُ أنْ أَرْكَبَ التَّيَّـــارَ مُعْتَـــسِفًا أمواجَه، كيف ليْ، والكَفُّ شَـــلاَّءُ؟
سفينتيْ يا عبـــابَ البحـــرِ مُنْهَكَـــةٌ تَرْسُوْ على ساحلٍ ما فيـــهِ مينـــاءُ

****** ******

يا مُبْدِعَ الـــشِّعْرِ إنَّ الـــشِّعْرَ آيَتُـــهُ تَـــــوَهُّجٌ وانـــــدِفاقاتٌ ولألاءُ
رِفقاً بشِعْرِيْ فإنِّيْ لـــستُ مُحْتَرِفـــاً شِعْرِيْ مـــزاجٌ وإلهـــامٌ وأصـــداءُ
مِنْ مُهجتِيْ أَسْكُبُ الألفاظَ صـــافيةً شَفَّافةً ليس فيها- الدَّهْرَ- عَـــوْراءُ
نَزيفُـــهُ مِـــنْ خيـــالاتِيْ وأَبْدَعُـــهُ ما كان تُشْعِلُهُ بـــالوَهْجِ حَـــسْناءُ
هذا نشيديْ أنـــا لا أَدَّعِـــيْ طَرَبـــاً مِنْـــهُ، ولكنَّـــهُ دِفْءٌ وأَنْـــداءُ

أَبُثُّ فيهِ شـــجونيْ كُلَّمـــا عَــصَفَتْ بِــيَ الكـــوابيسُ والآلامُ والـــدَّاءُ
سَمُّوْهُ إنْ شِئْتُمو نَسْجـــاً مُهَلْهَلَـــةً أهدابُهُ ، غَزْلُـــهُ تَلْوِيْهِ خَرْقـــاءُ!

في رحاب الشَّمال

بمناسبة زيارة معالي مدير جامعة الإمام لمعهد عرعر العلمي

في رحابِ الشَّمالِ طابَ اللقـــاءُ ... يا شَذا الطِّيْبِ لَوْ يطولُ البقـــاءُ

في حَشا عَرْعَـــرٍ تحُلُّـــونَ أهـــلاً ... رَحَّبَ السَّهْلُ والرُّبَى والفَـــضاءُ

فاحَ منها القَيْصُوْمُ والشِّيْحُ لَمّـــا ... جاءَها الحَظُّ والمُنَـــى والرَّجـــاءُ

ردَّدَتْ مِنْ نَدَى التَّـــرَنُّمِ لَحْنًـــا ... حَمْدَلَتْ حِيْنَ رامَهـــا العُلَمـــاءُ

* * *

أَيُّها الراسخونَ في العِلْمِ طُـــوْبَى ... إذْ حَوَيْتُمْ مـــا وَرَّثَ الأنبيـــاءُ

حَبَّذا الإرْثُ فاضَ مِنْ قَـــسَماتٍ ... ناضَ منها التَّواضُعُ[١] والـــضِّياءُ

إنْ تَجَـــشَّمْتُمُ الـــصِّعابَ فإنَّـــا ... أُمَّـــةٌ لا تُلِيْنُهـــا الـــلأْوَاءُ

---

[١] حركة العين مشبعة ليستقيم الوزن.

أُمَّةٌ تَعْسِفُ الرِّمالَ وتَمْضِي   للعُلَى لا تُذيبُها الرَّمْضاءُ

أُمَّةٌ شَقَّتِ المفازاتِ غُزَّى   كالسَّراحينِ نَدَّ منها الشَّاءُ

أُمَّةٌ راضَتِ البِحارَ وراحَتْ   تَأْطِرُ المَوْجَ فاسْتَقَرَّ الماءُ

بِشِعارٍ مِنْ مَوْرِدِ الطُّهْرِ صافٍ   سَلْسَبيْلٍ يَثِجُّ منهُ الإخاءُ

ولِباسٍ مِنْ مُحْكَمِ الدِّيْنِ ضافٍ   مُبْرَمِ النَّسْجِ شُدَّ منهُ الرَّفاءُ

وإذا أُمَّةٌ لها الدِّيْنُ هادٍ   حَقَّقَتْ[1] بالعقيدةِ ما تَشاءُ

* * *

يا شُعاعَ الأمجادِ يا نِسْغَ أجدا   [م]   دٍ شِدادٍ سَمَتْ بهِمْ صَحْراءُ

مِنْ نَقاها ومِنْ شناخِيْبِها السَّمْـ   ـراءِ جاءَتْ وجُوْهُنا السَّمْراءُ

أَنْجَبَتْ كُلَّ ضَيْغَمٍ شَيْظَمِيٍّ   يَنْزَوِي مِنْ زَئِيْرِهِ الأَعْداءُ

أَقْدَسُ الأرْضِ في الدِّيارِ بلادٌ   جَلَّلَتْها الشَّريعَةُ الغَرَّاءُ

* * *

يا رِكاباً تسيرُ فيه المَعالي   والهُدَى والمَحَجَّةُ البَيْضاءُ

إنْ بَرَرْتُمْ بِوَصْلِنا فَوَفاءٌ   كَرِّرُوا، دَيْدَنُ الكريمِ الوَفاءُ

لا تخافوا بَرْدَ الشَّمالِ، ففيها   يُوْجَدُ الدِّفْءُ والنَّدَى والصَّفاءُ!

---

[1] حركة التاء مشبعة ليستقيم الوزن.

أو تقولوا: "بَعِيْـــدَةٌ"، لا بَعِيْـــدٌ عندنا اليومَ والطريقُ الـــسَّماءُ!

* * * * * *

يا معـــاليْ مديرِنا الحِبّ، أهـــلاً! رَدَّدَتْها السَّـــاحَاتُ والأرجـــاءُ

📖 📖

الوردة الفوَّاحة

جاءتْ كنَفْحِ المِسْكِ ذاتَ مـــساءِ ... خَجْلَى تُهامِسُنِيْ على استحياءِ

جاءتْ كزنبقةِ الرَّبيـــعِ، كبَـــسْمَةٍ ... مزهوَّة، كالدِّفْءِ، كالأَنـــداءِ

قالتْ: "مساء الخيرِ"، وانكشفَ الدُّجَى ... عن وَهْجِ وَجْهٍ مُشْرِقٍ وضَّـــاءِ

أَلْقَتْ ســـلاماً أريحيًّـــا وأَرْدَفَـــتْ ... حَيَّاكَ، أهلاً بالقريبِ النَّـــائي[1]

فاستَعْجَمَتْ عنديْ الحروفُ مهابــــةً ... حتى غدوتُ كنـــاطقٍ فَأْفـــاءِ

في صوتِها المخنوقِ رَجْفَةُ خـــائفٍ ... والخوفُ طبعُ الغادةِ الحـــسناءِ

مَدَّتْ- مصافحَةً- يَداً منْ عَـــسْجَدٍ ... يـــزدانُ بـــالبَلُّوْرَةِ المَلْـــساءِ

دَبَّتْ حـــرارةُ كفِّهـــا في مُهجـــتي ... كالكهرباءِ تَلامَـــسَتْ بالمـــاءِ

نامتْ أَنامِـــلُ راحـــتيْ في كَفِّهـــا ... يا وَيْلَ كَفِّي مِـــنْ دَمِ الحِنَّـــاءِ

غاصتْ نوازعُ خاطريْ في حُسْنِها ... كيما تَفُـــوْزَ بـــدُرَّةٍ عـــذراءِ

---

[1] كذا الشطر الأول في المخطوط والمطبوع من القصيدة، واستقامة الوزن: "ألقتْ سلامًا أريحيًّا. أردفتْ"، بحذف الواو.

قُلْتُ، وقد مَلَكَ الجمالُ مشاعريْ، ... مَنْ أنتِ؟ أنتِ تُوْءَمُ الجَوْزَاءِ![1]

أُدْنِيْ، اجلسيْ يا شمسُ، يَنْقَلِبُ الدُّجَى ... نُوْراً أَقِيْمِيْ بواحتيْ الجَـرْدَاءِ[2]

أُدْنِيْ لِيَفْـرَحَ مَـرَّةً "محـسوبُكُمْ" ... أُدْنِيْ لِيَسْعَدَ بالضياءِ شـقائي[3]

خَلِّيْ بساطَكِ "أَحْمَـديًّا"، رَدِّديْ ... عَذْبَ الكلامِ ولَطِّفيْ أجوائي

قالـتْ: بَعيـدٌ ذاكَ إنَّ حـرارتي ... تشويكَ ثُمَّ تموتُ في أفيـائي

قلتُ: الشَّذَا الفوَّاحُ ضَـوَّعَ ريحُـهُ ... عنديْ قُبَيْلَ مجيئـكِ الوَضَّـاءِ

مَنْ أَنْتِ؟، قالـتْ: وردةٌ فوَّاحـةٌ ... مِنْ روضة محميَّـةِ الأرجـاءِ

الوردُ فيها لا يُـبـاحُ لعابـثٍ ... في الشَّـمِّ أو في اللُّعْبَةِ العَمياءِ

ما مُسَّ زنبقُ روضِهـا مِنْ طامـعٍ ... إلاّ وعـادَ براحـةٍ شَـلاّءِ

---

[1] تجنّبًا للخزل- أي اجتماع الإضمار والطيّ، وهو قبيح في البحر الكامل- لا بُدّ من إشباع حركة التاء من كلمة "قلتُ". وكذا إشباع حركة التاء في كلمة "أنتِ"، الثانية، تجنّبًا للوقص، أي حذف الثاني المتحرّك من "متفاعلن"، وإن كان الوقص صالحًا هنا حسب العروضيين.

[2] لا يستقيم الوزن إلا بحذف ياء "أقيمي". ويمكن جعله: "نوراً يقيمُ بواحتي الجرداءِ"، أو "نوراً يقيمُ بواحتي الظلماءِ". وكان الشاعر قد كتب في نسخة أخرى: "نوراً وتنبت واحتي الجرداءُ"، ومعناه في هذا أبلغ، غير أنه تجنّبًا للإقواء عَدَل إلى الصيغة الأخيرة.

[3] "محسوبُكُمْ"، كذا! وقد تكون: "محبوبكم".

قلتُ، احتراماً، يا مشابهةَ اســـــمِها ... مرحَى وعاشتْ روعةُ الأسمــاءِ!

إني عرفــتُكِ قبـــلَ أنْ تتكلَّمـــــي ... أنتِ الشَّـــذا مِنْ روضتيْ الغَنَّـــاءِ

أنتِ الزميلـــةُ في ملاهـــي طفـــولتي ... وصبابـــتيْ وربابتيْ وغنـــائـــي[1]

قالتْ- وما صَدقَتْ، ولم تَكُ أَنْصَفَتْ ... فيما تُؤَمِّلُ-: أنـــتَ كالحربـــاءِ

لا تفهمِ الأشـــياءَ عَكْـــسَ مُرادِهـــا ... حاســـبْ ومَيِّـــزْ دقَّـــةَ الأشـــياءِ

مـــا جئـــتُ إلاّ للـــسلامِ ولا تَـــرِمْ ... شيئاً ســـواهُ فلـــستُ بالبَلْهـــاءِ

لـــستُ مراهقـــةً تـــذوبُ فترتمـــي ... بينَ الذئابِ ولـــستُ بالحمقـــاءِ[2]

بلْ لـــستُ ممّـــنْ تـــستبيها غرائـــزٌ ... مثل السرابِ، تَلِـــيْنُ للإغـــراءِ[3]

الحُبُّ أسمَـــى مِـــنْ حبائـــلِ مـــاكرٍ ... يرمي الشِّباكَ رخيـــصةَ الأهـــواءِ

لولا القرابـــةُ ما تَرَكْتُ مشـــاعري ... تَلْهُوْ لديـــكَ بعِـــزَّتيْ الشَّـــمَّـــاءِ

---

[1] لا يستقيم الوزن إلا بحذف ياء "ملاهي".

[2] تلافيًا للخزل في التفعيلة الأولى من البيت، تراعى ضرورة إشباع حركة التاء في كلمة "لستُ".

[3] لا يستقيم الوزن إلا بحذف ألف "تستبيها".

قلتُ: السَّماح، يا مــلاكُ، فــإنَّني ... أَسْمُوْ بكِ عنْ مَزْلَــقِ الإغــواءِ[1]

كيفَ الحياةُ؟ وكيفَ مَنْ في دارِكُمْ؟ ... هل ما يزالُ كــصخرةٍ صَــمّاءِ؟!

غُــوْلٌ تَرَبَّــعَ في خيــاليْ دائمــاً ... أنيابُــهُ مِــنْ أعظــمِ الأعــضاءِ

حتى المــشاعرُ غالهــا في مهــدِها ... هل ما يزالُ كســائرِ الأحيــاءِ؟!

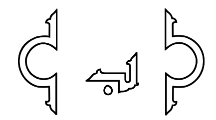
قالتْ: وداعاً سوفَ أَحْبِسُ عَبْــرَةً ... حَرَّى سَتَفْضَحُنيْ لَدَى الأعــداءِ

عادتْ تَعُسُّ الدَّرْبَ تَسْرِقُ خَطْوَها ... وكأنها تَمْــشِيْ علــى أَشــلائي

باتَــتْ قريــرةَ عَيْنِهــا في بَيْتِهــا ... مَعَ أَهْلِها جَذْلَــى وبِــتُّ بدائي



[1] حدث في تفعيلة البحر الكامل في الشطر الأول الوَقْص، إلا إنْ أُشبعتْ حركة الحاء في "السماح"، والوقص زحــاف ثقيل، حكمه عند العَروضيين: أنه "صالح"، لكن الأفضل اجتنابه. وكان بإمكان الشاعر أن يقول مــثلاً: "قلــتُ: السَّماحةُ يا ملاكُ فإنَّني"، أو " قلتُ: اسمحي لي يا ملاكُ فإنَّني".



حال الشباب

مهداة للشيخ الشاعر/ عيد النعيم

وقد سأل في إحدى قصائده عن حال الشباب وعن مدى تحصيلهم العلمي وزوَّدَهم بنُصح قَيِّم

يا ناظماً مِنْ خِيارِ الــدُّرِّ أَرْوَعَــهُ ... يَزْهُوْ بهِ الرَّقُّ، في تنظيمه، العَجَبُ[١]

فيه الجزالــةُ يُزجيْهــا مُحَلِّقــةً ... فيه السُّهولــةُ والإيقاعُ والطَّــرَبُ

فيــه الصياغــةُ يُسديْهــا مُرَنَّمَــةً ... فيه النَّصيحَةُ والإرشادُ والعَتَــبُ

فيــه البلاغــةُ يُهْديها مُجَنَّحَــةً ... فوَّاحــةً بأريــجِ المِسْكِ تَنْــسَرِبُ

جاءَ القَريضُ بفَيْضِ النُّصْحِ يدفعُــهُ ... الحُبُّ والصِّدْقُ والإخلاصُ والحَدَبُ

---

[١] العجب: صفة "الرَّقّ".

يحلُو بإنشادهِ في فِـــيِّ قـــارئــــــه | كما حلا رازقيٌّ الكَرْمِ والرُّطَـــبُ[1]
*****

يا سائلاً كيف حالُ النَّشْءِ في وَلَـــه | شعارُهُمْ- يا صديقي- النَّوْمُ والهَرَبُ
اســـألْ خبيرًا لهُ عِلْــمٌ وتجربـــــةٌ | شبابُنا— إنْ تَمادَى— بيتُهُ خــــَربُ
أبناؤكـــُمْ- ياعزيـــزي- هَمُّهُمْ أَبَداً | النَّصرُ هل فازَ أم هل فازَ مُنْتخَــبُ؟
أبناؤكَ الغُرُّ إنْ تســـألْ فهُـــمْ نَفَــرٌ | العلْمُ منْ هَجْرهمْ يبكي ويَنْتَحــبُ
دروسُهُمْ دَرَسَتْ آثارُها وبـــَـدَتْ | أطلالُها، صاحَ فيهـــا البُوْمُ والخَرَبُ
تمزَّقَتْ صفحاتُ الكُتْبِ منْ عَبَــث | بها وصارتْ عليها النارُ تَلْتَهـــــبُ
كَمْ مُهْملٍ غارق في اللَّهْوِ مُنــدَفعٍ | يغوصُ في غَمرات ما لَها سَبَـــبُ
وبعضُهُـــمْ مُفْعَمٌ بالَمكْرِ داهيــــةٌ | كحَيَّـــة ما لهـــا رَأْسٌ ولا ذَنَـــبُ
في الفصلِ يَعْبَثُ والأستاذُ ينـــصَحُهُ | وبالنصيحَةِ زادَ الهَزْلُ والـــشَّغَـــبُ
*****

وَيْحَ الُمدَرِّسِ، ما هذا الجزاءُ لــــَهُ؟ | إنَّ العدالةَ أَنْ يُعطَى كما يَهَـــبُ
أينَ الوفاءُ؟ وما هذا الجَفـــاءُ لـــهُ؟ | أليس من نَبْعه الرَّقْراقِ قد شَـــرِبُوا؟
داءٌ عُضالٌ تَفَشَّى في الشَّباب، وقـــد | نالَ المعالجَ منْ جَرَّائـــه العَـــصَــبُ
فـــي أَوَّلِ العـــامِ إهمالٌ ومَضْيَعَـــةٌ | كحاطبِ الليلِ ضاعَ الجُهْدُ والحَطَـــبُ

---

[1] الرازقي: نوع من الزبيب اليماني الأصفر.

وآخرُ الــعامِ أفــواجٌ مُــنَــظَّمَةٌ على"الخصوصيّ" وقامَ العَرْضُ والطَّلبُ[١]

*****

يا طالبَ العلْــم خُذْهُ منْ مضامنه بهمَّة وابْتَعدْ عَــنْ مَــنْ بــه جَــرَبُ

هل يَستويْ طالبٌ في اللَّهْوِ مُنْغَمسٌ يَقودُهُ للرَّزايــا الطَّــيْشُ والَــصَّخَــبُ؟

في رأسه عَشْعَشَتْ أفكارُ مُنْحَرِف يعــيشُ "كــالثَّوْرِ" لا علْــمٌ ولا أَدَبُ

وطالبٌ باتَ طُوْلَ الليلِ مُنْهَمكــاً يبدو على جــسْمه الإرهــاقُ والوَصَــبُ

يَغُوْصُ في غَمَرَاتِ العِلْمِ مُلْتَمِســاً أصدافَهُ، ياللهُ! كَــمْ نالَــهُ التَّعَــبُ؟!

*****

العلْمُ، يا صاحِ، رأسُ المالِ يَكْنــزُهُ أهــلُ المعارفِ لا مــالٌ ولا نَــشَبُ

لكَــنَّ أيــنَ النحاريرُ الذيــن لَهُمْ منابرٌ يرتقيهــا الــشِّعْرُ والخُطَــبُ؟

بل أينَ مَنْ تَفْخَرُ الدُّنيا بهمْ وهُــمُ نُوْرُ الدَّياجيْ بُحُــوْرٌ ســادَةٌ نُجُــبُ؟

في كُلِّ فَــنٍّ قواميــسٌ جهابــذةٌ تَعْلُــوْ بِهِمْ رُتَــبٌ مِنْ بَعْــدِها رُتَــبُ

---

[١] الخصوصي: يقصد الدرس الخصوصي.

وأيـــنَ كُلُّ عِصامِيٍّ أخـــــيْ أَدَبٍ ... لا يكتفيْ بِمَنالٍ فُوْقَهُ الـــشُّهُـــبُ؟
يَهْوَى المعاليْ ويَهْفُو للسُّـــمُوِّ ومـــا ... يَثْنِيْهِ عَنْ عَزْمِهِ عَذْلٌ ولا نَصَـــبُ
عَصْرُ التَّعَلُّمِ للعِلْمِ الصَّحِيْحِ مَـــضَى ... ظَهْرُ المِجَنِّ لــذاكَ العَصْرِ مُنْقَلِبُ

*****

يا مَنْ تُريدُ الجَناءَ الحُلْوَ هل حَدَثَتْ ... أَنْ يُجْتَنَى مِنْ ثِمارِ الحَنْظَلِ العنَبُ؟
ثَبِّتْ أساسَكَ لا تَتْـــرُكْ بِهِ خَـــــلَلاً ... البيتُ يَسْقُطُ ما لَم تَثْبُتِ الطُّنُـــبُ
وفي الخِتـــامِ فلسنا يائسينَ وقـــــد ... يَكْبُوْ الجوادُ ويَنْبُوْ الصَّارِمُ الـــذَّرِبُ
يا عِيْدُ ، عادتْ بِكَ الأيـــّامُ مُزْهِرَةً ... أَسْدِ النَّصيحَةَ عَلَّ الصَّدْعَ يَنْشَعِبُ

📖 📖

أيّها العرب...![1]

تَعَادَوا أيُّها العَـــرَبُ تفانَوا، بَيْنَكُمْ نَـــسَبُ!
ومَنْ أَوْلَى بِطَحْنكُمُ إذا لَمْ تَطْحَنِ النُّجُبُ؟!
ترامَوا واهْرَعُوا قُدُمًا حثيثًا وقتُكُمْ ذَهَـــبُ!
وزيدوا في معاطِنكُمْ[2] لعلَّ الأرضَ تلتـــهِبُ!
صِلُوا منها قـــرابتَكُمْ فأنتمْ وَسْطَها الحَطَبُ!
وأَعطُوا جزْيَةً صُغُرًا فهذي أرضُكمْ تُهَبُ!
رجعتُمْ مثلَ أَوَّلِكُـــمْ يعيشُ الثأرُ والطَّلَـــبُ!
أعيدوها[3] كما بَدَأَتْ حروبًا ما لها سَـــبَبُ!

---

[1] أبياتٌ وجدت على قصاصة بين أوراق الشاعر، كأنها مشروع قصيدة لم تكتمل.

[2] كان الشاعر قد كتب: "وزيدوا من قذائفكم"، ثم كتَب فوقها: "في معاطنكم".

[3] في الأصل: "أعدتمها".

مِنْ عَبَقِ الشَّمال

سما نجمُكُمْ بالسَّعدِ والمَجْدِ والحُبِّ ... يُضِيْءُ دُرُوْبَ الفَخْرِ في البُعْدِ والقُرْبِ

أبا خالد مَنْ رامَ مغناكَ لم يَجدْ ... سِوَى صَفْوَةِ الإبْرِيْزِ والسَّلْسَلِ العَذْبِ

وفينانةً فيها السَّنَى مُتَأَلِّقٌ ... يَمُدُّ شُعاعَ اليُمْنِ في الأُفُقِ الرَّحْبِ

على جِيْدِها عِقْدُ الوَفاءِ مُرَصَّعٌ ... بواسِطَةٍ لمَّاعة صنعةِ الرَّبِّ

نَمَتْ في محيط الرَّمْلِ مَدَّتْ شراعها ... يباري هُبُوْبَ الرِّيْحِ بالخَيْرِ والخِصْبِ

يَشُقُّ بها رُبَّانُها المَوْجَ رافعاً ... شعارَ الوَفا والودِّ والذَّوْدِ والحَدْبِ

ويَحْكُمُها بالعَدْلِ والنُّبْلِ والتُّقَى ... ويَحْكُمُها بالعَقْلِ والصَّارِمِ العَضْبِ

قَطَعْتَ بها شَوْطاً مِنَ الحُسْنِ فائقاً ... وزِدْها فقد تاقَتْ ولمَّا تَقُلْ حَسْبِي

كأنِّي بها تَخْتَالُ جَذْلَى قَرِيْرَةً ... لها أَمَلٌ في العِزِّ أَعْلَى مِنَ السُّحْبِ

تُموسِقُ أزهارَ الربيعِ قصائداً ... وتُوْقِدُ جَمْرَ الطِّيْبِ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ

وتَنْسُجُ مِنْ عَزْمِ الرِّجالِ سَوابغاً ... وتَغْزِلُ أفوافاً مُذَهَّبَةَ الهُدْبِ

فَتَنْداحُ أصداغُ الرِّمالُ حضارةً ... ويَنْثَالُ أَغْلَى التِّبْرِ مِنْ مَنْجَمِ التُّرْبِ

تُسَبِّــحُ مِــنْ أفــراحِها اللّهَ رَبَّها — وقد دَفَنَتْ أتراحَها أَعْصُــرَ الجــَدْبِ
حَماها مِنَ التَّعْوِيْقِ في سَيْرِها الذي — حَمَى يُوْسُفَ الصِّدِّيقَ في وَحْشَةِ الجُبِّ

****** ******

وليْ فــي بداياتــيْ وفيها حكايةٌ — أُمَتِّعُ نفسيْ مِــنْ تباريحِهــا دَأْبــي
فما إنْ بَدَا لِيْ رَسْمُها، قُلْتُ:بُعْدُها — كبيرٌ، وبيْ منها كثيــرٌ مِنَ الرُّعْــبِ
ووجَّهْتُ باسمِ اللهِ رَكْبِيْ تجاهَهــا — وأَسْأَلُ نفسيْ: أينَ مُتَّجِــهٌ رَكْبِــي؟!
ومَنْ كان يَهْدِيْنِيْ لأَكنافِ عَرْعَرٍ؟! — وكنتُ على بيدائهــا تائــهَ الــدَّرْبِ
ولكنْ، وفي وقــتٍ قصيرٍ، أَلِفْتُها — وأَصْبَحْتُ أَدْعُوْهَــا بمُتَّكَــإِ الجَنْــبِ
رَبِيْبٌ لها بِضْعاً وعِشريــنَ حِجَّةً — أَهيْمُ بها عَصْمَاءَ مَعْشُوْقَــةَ القَلْــبِ
ولا عَجَبٌ أَنِّي تَوَطَّنْتُ ظَهْرَها — تأَلَّفْتُهــا جدًّا فــأَصْفَيْتُها حُبِّــي
فإنَّ بها سَمْــحَ الشَّمائلِ ماجداً — مِنَ آلِ سُعُوْدٍ إخوةِ السِّلْمِ والحَــرْبِ[١]
مِنَ الدَّوْحَةِ الغَنَّاءِ غاصَتْ جُذُوْرُها — لِتَنْــداحَ مِنْ أَعْرَاقِهــا ســادةُ العُرْبِ

---

[١] الهمزة الأولى من "آل" تسقط في مثل هذا الموضع ضرورة، بحيث يصبح هذا المقطع هكذا: "مِنَاْلِ سُعُوْدٍ". ونظيره قول أبي الأسود الدؤلي، مثلاً:

لَعَمرُكَ مَرسوعٌ مِن آلِ مُجالدٍ — لَخَرشَبتَ لي يَومَ التَقَينا جَوابَكا

دمـــاثـــةُ أخـــلاقٍ ونُبْلٌ وعِفَّةٌ	وقُوَّةُ إيمانٍ ومنهـــمْ أبو الـــشَّعْـــبِ
ومِنْ هذه الصَّحْراءِ أَثْرَى تراثُنـــا	صناديدَ صِيْدٍ في المَسَرَّاتِ والكَرْبِ
وعَرْعَرُ في البيـــداءِ غَرَّاءُ حُـــرَّةٌ	تَشُقُّ المَدَى بالعَزْمِ في المَرْكَبِ الصَّعْبِ
تُشَمِّرُ مِـــنْ مِضْمارِها يَعْرُبِيَّـــةً	مُحَجَّلَةً مَـــوَّارَةً فَـــذَّةَ الـــوَثْـــبِ
بَنَتْ مِنْ حُبَيْباتِ الرِّمالِ مآثِراً	على صَدْرِها تَخْتالُ راسِخَةَ الكَعْبِ
حلتْ مِنْ سُمُوْطِ العاشقينَ قلائداً	على جيدِها تَسْبِيْ اللَّبيبَ وقد تُصْبي[1]
وفي شمسِها ظِلٌّ وفي بَرْدِها دَفًا	وفي روضِها الأنسامُ تُغْني عن الطِّبِّ
ويسألُنِيْ قومِـــيْ لمـــاذا عشقتَها	فقلتُ: لها سِرٌّ معَ المُدْنَفِ الصَّـــبِّ
فقالوا: وهل فيها منَ الحُسْنِ مَطْمَعٌ	فقلتُ: أَرَى فيها سَنَى الشَّرْقِ والغَرْبِ
على خَدِّها قُبْلاتُ عِشْقٍ سَكَبْتُها	وكَحَّلْتُ مِنْ ذَرّاتِها طُرَّةَ الهُـــدْبِ
وإنْ غِبْتُ عنها ضَجَّ بِيْ الشَّوْقُ والهَوَى	إذا كُنْتُ مدفوعاً إليها فما ذَنْبي؟!
ورَبِّكَ إنْ جادَ الرَّبيعُ تَـــزَيَّنَـــتْ	بأزهارِها العـــذراءِ فَتَّانَـــةً تَسْبِـــي
وليس بعيداً أنْ تَكُوْنَ رِحَابُهـــا	ظلالاً ونَلْهُـــوْ في حدائقِها الغُلْـــبِ
ونَدْعُوْ لِمَنْ كانتْ تَدِيْنُ لِجَهْـــدِهِ	نَقُوْلُ: اجْزِهِ بالخَيْرِ والبِرِّ يا رَبِّـــي!

---

[1] في نسختين من القصيدة بالآلة الكاتبة: "حلتْ"، (بالحاء)، وقد تكون الكلمة "جَلَتْ"، (بالجيم).

ما هكذا كنتِ يا بغداد !

بغدادُ، يا مِنْبَرَ الأَشْعَارِ والخُطَبِ
كانتْ لنا نَجْمَةً تَسْمُوْ على السُّحُبِ

بغدادُ، أين الرشيدُ اليومَ يُنقذها
من عُصْبَةِ الزَّمْرِ والتطبيلِ والطَّرَبِ

ماذا دَهاها؟ لُعَابُ الفُحْشِ مُنْسَدِلٌ
على شفاه سَفيْه سَيِّءِ الأَدَبِ

يَصُبُّ مذْياعُها المَوْبُوْءُ نقْمَتَهُ
بالسَّبِّ والبُهْتِ والتَجريحِ والصَّخَبِ

ما هكذا كنت يا بغدادُ فادَّكري
دارَ الخلافةِ والآثارِ والكُتُبِ

يا أَيُّها النَّاعِقُ المِهْذَارُ مَعْذِرَةً
لا نُتْقِنُ الشَّتْمَ والإِقْذَاعَ بالكَذِبِ

نُسْدِيْ الحَقَائِقَ أَسْطَارًا مُصَوَّرَةً
كُنْهَ الحوادثِ بالبُرْهَانِ والسَّبَبِ

* * *

يا أرضَ دجْلَةَ- رحماك- كفَى دَجَلاً
تمسَّكيْ بعُرَى الإسلامِ واحتسبي

ما حزبُ تكريتَ إلا شَوكةٌ زُرعتْ
في تُرْبك الطاهرِ المزروعِ بالعنَبِ

ثُوري على البَغْيِ والإجرامِ وارتقبي
نصراً منَ اللهِ ذيْ الإجلالِ والغَلَبِ

ثُوري على المارقِ الأفّاكِ وانتظري
يوماً عَدُوَّ المَلا يجثوْ على ا لرُّكَبِ

* * *

يا نخلةَ المَجْد في بغدادَ ليْ أَمَلٌ ... أنْ تَنْفَحيْ الجَوَّ بالكافورِ والرُّطَبِ

عَيْنٌ على سيرةَ المنصور ما رَقَأَتْ ... وفي الرُّصافة أعيانٌ بلا هَدَبِ

عودي إلى مَجْدكِ المَهْدُوْرِ في عَجَلٍ ... يا أُمَّةَ المَجْدِ والإسلامِ والحَسَبِ

ذُرِّيْ غُبارَ الإباَ في عَيْنِ مُضطَّهدٍ ... ولَقِّنيْه دُرُوْسَ الذُّلِّ والحَرَبِ

* * *

غَدَرْتَ بالجارِ يا صَدَّامُ في غُدُرٍ ... منَ الليالي "أهذي شيمةُ العربي"؟!

وأنتَ تزعمُ– مَزْهُوًّا ومنتفخاً– ... بأَنَّ أجدادكَ الأشرافُ، يا عَجَبي!

إنْ أنتَ– زَعْماً– تكونُ منْ قريشَ فقد ... تَمُتُّ– حَتْماً – بعرْق منْ أبي لَهَبِ!

أَوْبَاشُكَ العُمْيُ يا مغرورُ قد وَقَعُوا ... في وَصْمَةِ العارِ إذْ لَبَّوكَ للطَّلَبِ

أَوْلَغْتَهُمْ منْ كُؤوسِ الإثْمِ مِنْ عَفَنٍ ... تَبًّا لكُمْ يا بَنِيْ حَمَّالةِ الحَطَبِ

* * *

يا سادراً في طريقِ الغَيِّ مُرْتَفقاً ... وَطَاوطَ البَعْث لا تَغْتَرَّ بالنَّسَبِ

يا صِنْوَ شَمْشُوْنَ إنْ تَعْمَى فلا عَجَبٌ ... أَنْ يُفْرِزَ البَعْثُ تمثالاً منَ النُّصُبِ

لم يقترفْ عربيٌّ مثلما اقترفتْ ... يداكَ مِنْ سُوْءِ تَدْبِيْرٍ مَدَى الحقَبِ

أشقيتَ نَفْسَكَ يا مصدورُ رُمْتَ إلى ... بحرٍ محيط عميقٍ هادرٍ لَجِبِ

سيُصْبِحُ سيفُكَ المَسْلُوْلُ عَنْ كَثَبٍ ... بإذْنِ رَبِّ الوَرَى عُوْدًا منَ الخَشَبِ[1]

* * *

[1] لاستقامة الوزن لا بُدَّ من إشباع حركة الحاء في "سيُصْبِحُ".

يا شعبَنا في الكُوَيْــت الحُــرِّ أُغْنــيَتِي ... اللهُ أكـــبرُ في الـــسَّرّاءِ والكُـــرَبِ

لا يُرْجـــعُ الحَـــقَّ إلا صـــارمٌ ذَربٌ ... في كَفِّ أَرْوَعَ مَرْقيٍّ مـــنَ العَطَـــبِ

لَعَلَّكُمْ أَنْ تُحِلُّوا – عنْدَ عَــوْدَتكُمْ– ... أَرْضَ الكُوَيْت منَ الأَدْرَان والجَـــرَبِ

رُدُّوا إليها سَـــنَى الإسْـــلامِ مُؤْتَلقـــا ... بالحُبِّ مُنْبَثِقاً منْ صَـــدْرِهَا الرَّحِـــبِ

* * * ... * * *

يا جَذْوَةً في شَباب الـــدِّيْنِ أجَّجَهـــا ... غَزْوُ الكُوَيْت فَثَارَ النَّقْــعُ باللَّهَـــبِ

منْ هذه الأرضِ شَعَّ النُّوْرُ وانطَلَقَـــتْ ... جحافلُ الفَتْحِ في الآفاقِ عَنْ رَغَـــبِ

إلى التَّطَوُّعِ يُـــرْوُوْنَ الثَّـــرَى بِـــدَمٍ ... منَ الفُؤاد على الأَقْـــدامِ مُنْـــسَكبِ

جُذُوْرُكُمْ في تُخُوْمِ الأرضِ راســـخةٌ ... منْ نُسْغها أَوْرَقَ التـــاريخُ بالـــذَّهَبِ

تَحَفَّزُوا بــــاركَ اللهُ مــآرِبَكُـــمْ ... نَيْلُ الشَّـــهادةِ فينا غايــــةُ الأَرَبِ

* * * * *

طال سُهدي[١]

طالَ سُهدي وهَمْهَمَتْ كلمـــاتي	في فؤاديْ بـــالآهِ والحَـــسَراتِ
صارَ لَيْلِـــيْ كأنَّـــهُ أَلْـــفُ شَـــهْرٍ	في بحارِ الأفكارِ والـــذِّكْرَياتِ
تُجْهِشُ النَّفْسُ في سُكونٍ رَهيْـــبٍ	وأرَى العَيْنَ تُـــسْبِلُ العَبَـــراتِ
لِمَ يا نَفْـــسُ ما أصابَـــكِ هـــلاَّ	تَرْعَوِيْ[٢] عن مسالكِ التُّرَّهاتِ؟

---

[١] عُثر على هذا النصّ في أوراق الشاعر، وليس منه نسخة أخرى. ومن الواضح أنه تجربة أوّلية غير منقّحـــة، (راجـــع صورة المخطوط: نموذج رقم ١). ولذا كانت فيه بعض هنات سيشار إليها.

[٢] ترعوي: على سبيل الالتفات من المخاطب "النفس" إلى الغائب. أما لو كانت العبارة للمخاطب، فالصواب نحـــوًا: "ترعوين".

ثُمَّ يا عَيْنُ هــل رُزِئْــتِ بخَطْــبٍ — يَجْعَلُ الدَّمْعَ كالمَسِيْلِ الفُراتِ؟[١]

أَفــــرَاقٌ أَمْ غُرْبَـــــةٌ أَمْ بُعَـــــادٌ — عَنْ رُبُوْعِ الخِلاَّنِ؟ قُوْلِيْ وهاتي

أَمْ هَوًى في الفُؤَادِ أَجَّجَـــهُ الـــشَّو — قُ حَنِيْنًا إلى البُنـــاةِ العُـــلاةِ؟[٢]

أَمْ هُوَ الطَّيْشُ في نُفُوْسٍ ضِــعَافٍ — غَيْـــرِ أَهْـــلٍ لِقُـــوَّةٍ وثَبَـــاتِ؟

أَمْ لَعِـــيْنٌ مِـــنَ الـــشياطينِ غِـــرٌّ — قادكِ عاجلاً إلى الـــشَّهَواتِ؟[٣]

خبّريني بربِّـــكِ واصـــدُقيني الــــــ — ـــقَوْلَ مِنْ قَبْلِ أنْ تَشيْبَ شَواتي

أَ وَلَسْتِ يَوْمًـــا تَقُـــوْلِيْنَ فَخْـــرًا — ليسَ في الكَوْنِ مَنْ يَفُلُّ قناتي؟!

أَ وَلَسْتِ يَوْمًـــا تَقُـــوْلِيْنَ فَخْـــرًا — أنا أَقْوَى مِنْ شامخِ الرَّاسِيَاتِ؟!

قالت النَّفْسُ: ما دهـــانيْ عَظِـــيْمٌ — مُؤْلِمٌ فـــادِحٌ جَليـــلٌ وعَـــاتِ

ذاك أَنَّ الإسلامَ أَضْـــحَى غَرِيبًـــا — بَعْـــدَ عِـــزٍّ ومَنْعَـــةٍ وحُمـــاةِ

لَهَبُ الحُزْنِ في ضَمِيْرِيْ شُـــواظٌ — مَنْ يُعِيْـــدُ إليَّ مَجْدَ الأُبـــاةِ[٤]

---

[١] في الأصل ما قراءته: "يجعل الدمع كمسيل الفراتِ"، وهو مكسور الوزن.

[٢] في الأصل ما قراءته: "إلى بني العلاتِ"، فعُدّل.

[٣] لا بُدّ من إشباع كسرة الكاف في كلمة " قادكِ".

[٤] لا بُدّ من إشباع ضمة الدال في كلمة " يُعيدُ ".

أَيْنَ عَمْرٌو وخالدٌ وصلاحُ الـ ـدِّينِ؟! آهًا يا هاذمَ اللَّذات!

كيفَ ترضَى لأُمَّتِي بهيامٍ في متاهات فُرْقَةٍ وشَتاتِ؟!

فرّقَتْ جَمْعَنا مذاهبُ شَتَّى وانْطَلَقْنا نَكْبُوا مِنَ العَثَراتِ

ذاكَ حُرٌّ، وذاكَ يَلْهُوْ، وهذا سابحٌ في غَيَاهِبِ الظُّلُماتِ

والأَطَمُّ الأَطَمُّ من ذا وهذا انحطاطُ الأَخلاقِ والمَكْرُماتِ

والتَّفانِيْ في كُلِّ عَيْبٍ مشينٍ والتَّماديْ في الكِبْرِ والنَّعَراتِ

ظَهَرَتْ دولةُ الخنافسِ، قالوا: هِيَ فَنٌّ مِنْ أَحْدَثِ الموظاتِ

ثم قالوا تَقَدُّمٌ وارتقاءٌ لم يَكُنْ في عُصُوْرِنا الماضيات

كلاّ واللهِ لم تَكُنْ لِرِجَالٍ وَضَعُوا السَّيْفَ في نُحُوْرِ العُداةِ[1]

لا ورَبِّي لَيْسَتْ بِفَنٍّ ولكنْ هِيَ داءٌ لِلشَّرِّ والنَّكَباتِ

هِيَ عارٌ ومَنْظَرٌ تَشْمَئِزُّ النَّـ ـفْسُ منْهُ ووَصْمَةٌ في الحياةِ

لَيْتَ شِعْرِيْ الجُعْلانُ في أَيِّ وَقْتٍ تَنْبَرِيْ في ثِيَابِها المُسْبَلاتِ

تَتَهَادَى مِثْلَ الخنافسِ تِيْهًا تَتَبَاهَى بالعِزِّ والأُبَّهاتِ

---

[1] لاستقامة الوزن لا تُنطق ألف "كلاّ"، في: "كلاّ والله...".

تَتَعَالَى آنافُها الشُّمُّ زَهْوًا … وتُناديْ هَيَّا اقْبلُوا[١] يا لِداتي!

أُمَّةَ المَجْدِ ما دهاكُمْ أَلَمّا … تَسْتَفيْقُوا منْ غَفْلَةٍ وسُباتِ

صَرْخَتِيْ في الشَّبابِ هَلْ مِنْ مُجيْبٍ؟ … ها أنا ذا أَهُمُّ بالزَّفَراتِ!

عَوْدَةً يا شَبابَ أَرْضِيْ لِدِيْنٍ … وَحَّدَ الكَوْنَ مِنْ جميعِ الجِهاتِ

لم يُفَرِّقْ و لم يُباعدْ ولكنْ … جاءَ نُوْرًا ورَحْمَةً وعِظاتِ

هذه دَعْوَةٌ لَمجْدٍ أَثيْلٍ … دَعْوَةٌ لا كسائرِ الدَّعَواتِ

حارَ فِكْرِيْ ولَيْسَ في القَلْبِ يَأْسٌ … منْ بُناةِ الهُدَى وعَصْرِ مَواتِ

وصُقُوْرٍ تَنْقَضُّ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ … ولُيُوْثٍ عِنْدَ اللِّقَا ضارياتِ

سَنَراكُمْ، يا نَشْءُ، أَضْوَاءَ نُوْرٍ … فاسْتَعِدُّوا وكُلٌّ آتٍ آتِ

وغَدًا والغَدُ القريبُ كَفيْلٌ … بِسُراةٍ وقُدْوَةٍ وهُداةِ

فطُموحُ الشَّبابِ أَسْمَى وأعْلَى … مِنْ جبالٍ شُمِّ الذُّرَى شامخاتِ

وسلاحُ الإيمانِ أَقْوَى سلاحًا … مِنْ هَزِيْمِ الصَّارُوْخِ والطَّائرَاتِ

---

[١] تُنطق همزة القطع في "أقبلوا" هنا كهمزة وصل.

للمُقاعَدين فقط..!

قالوا: تَقَاعَدَ، قُلْتُ: لا، بل أُقْعِدا
ما ضَرَّ لو قالوا: عجوزًا أُبْعِــدا

ما انفكَّ يَعْصِرُ فِكْرَهُ حتى غَــدا
متبخِّرًا كدُخانِ جَمْــرٍ أُخْمِــدا

يبدو كمَمْسُوسٍ يَهِيْمُ بلا هُدًى
أنسامُهُ الحَرَّى تُــذيبُ الجَلْمَــدا

يا ذا المُقاعَدَ، والتَمسْ عُكَّــازةً
آنَ الأوانُ لــسَيْفِكمْ أنْ يُغْمَــدا

حانَ الوداعُ، ويا لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ
تلكَ الدُّمُوْعُ تساقطتْ مِثْلَ النَّدا

دَقَّتْ على الوَتَرِ الحزينِ كآبــةً
تَرثي الضَّميرَ أذابهُ صوتُ النِّــدا[١]

* * *

* * *

[١] في الأصل: "ترثي ضميرًا أذابهُ صوتُ النِّدا". ولا يستقيم الوزن إلا بضرورة تسهيل همزة "أذابه". ولعل تعديله على النحو الذي عُدِّلَ عليه أوفق.

يا مَن تَوَهَّمْتَ البقـــاءَ مُوَظَّفًـــا   طُوْلَ الحَياةِ، وَصَلْتَ بابًا مُوْصَدا
هذا وُرُوْدُكَ لا تَقُلْ تَعْـــسًا لَـــهُ   ماذا يُفِيْدُ إنِ اجْتَوَيْتَ المَـــوْرِدا؟!
قد جاءَ بالخَبَرِ المُفِيْدِ ولم يَكُـــنْ   طُوبَى، ولكنْ جاءَ يَنْعَى المُبْتَـــدا
أيامَ رَيْعانِ الشَّبَابِ، وكُنْتَ أُمْـــ   ـــلُوْدًا يَميْدُ، وكُنْتَ أنتَ الأَسْعَدا
إذْ كان نسجُكَ مُبْرَمًا مُسْتَحْكمًا   القلبُ لُحْمَتُهُ وعَينـــاكَ الـــسَّدا
ستُّونَ عامًا مثْلُ طَيْـــفٍ عـــابرٍ   نلْتَ الزَّعامةَ عَبْرَهـــا والـــسُّؤْدَدا
واليومَ يَقْليْكَ الهُجُوْعُ وعنـــدَما   يأتِيْ الدَّوامُ كأنَّهُ وَقْـــتُ الـــرَّدَى

* * *

ياويحَ ذا الرُّبَّانِ أَمْـــسَى غارقًـــا   في لُجَّةِ الأَحـــزانِ يَبْدُوْ أَنْكَـــدا
أرثي لَهُ حَيْرانَ يَرْمـــي طَرْفَـــهُ   في الخافقَينِ ولا يَرَى غَيْرَ المَـــدَى
يَرْنُو إلى الأُفُقِ البَعِيْدِ وقـــد دَرَى   أنَّ المُقاعَـــدَ لا يَنـــالُ الفَرْقَـــدا
مَنْ ذا يُحاربُ جَحْفَلاً منْ هَمِّهِ؟!   كيفَ السُّلُوُّ ووَقْتُهُ يمضي سُدَى؟!
تَغْزُو كـــوابيسُ المَنـــامِ وِســـادَهُ   وتَـــأُزُّهُ حـــتى يُجـــافِيَ المَرْقَـــدا
كان الأميرَ، فما لَهُ أَضْحَى بـــلا   أمرٍ ولا نَهْيٍ؟ وكـــان المُرْشِـــدا
كانتْ أريكتُهُ حريـــرًا ناصـــعًا   والآنَ يَفْتَرِشُ الحَصِيْرَ الأسْـــوَدا
عندَ التحامِ المعضلاتِ وحبْكِهـــا   كانتْ أناملُهُ تصوغُ العَـــسْجَدا

تلكَ الأناملُ قد عَلَتْهــا رِعْــشَةٌ أمّا اليراعُ فقدْ أبَــى أَنْ يَجْمُـــدا
نوْرُ الشَّبِيْبَةِ قد تَــوارَى بعــدَما كانتْ نضَارتُهُ غُــصَيْنًا أَغْيَــدا
كالنَّجْمِ مِنْ خَلْفِ السَّدِيْمِ تَضاءَلتْ أنوارُهُ يَبْغِي الظُّهُوْرَ ومــا بَــدا
أَخْفَتْ تَلألُؤَهَ السنينُ وأَخْمَدَتْ مِنْهُ الشُّعاعَ وكانَ جَمْرًا مُوْقَــدا

* * *

يا مَنْ تُريدُ الاحتجــاجَ تَظَلُّمًــا اصرخْ! فما لكَ غَيْرَ ترجيعِ الصَّدَى
والرَّدُّ يَهْتِفُ ما الــذي خَلَّفْتَــهُ مِنْ قُدْوَةٍ؟ هل كُنْتَ رَمْزًا للهُدَى؟
هل كُنْتَ تَرْأَفُ بالذينَ رَأَسْتَهُمْ؟ أو كُنْتَ فَوْقَ رقابِهِمْ مِثْلَ المُدَى؟
أَرْضَى غُرُوْرَكَ مَنْــصِبٌ قُلِّدْتَــهُ فَظَنَنْتَ كُرْسِيَّ الإدارةِ سَــرْمَدا

* * *

افْتَحْ مغاليقَ الشُّعُوْرِ فقد تَــرَى طَيْرَ السَّوانحِ عَبْرَ هذا المُنْتَــدَى
واقْنَعْ بما قَسَمَ الإلهُ وما قَــضَى واصْبِرْ وقُلْ: يا رَبِّ كُنْ لِيْ مُنْجِدا
يا ربِّ عَوْنَكَ، قَوِّ عَزْمِي عندَما أَلْقَاكَ مُنْكَسِرًا وحيــدًا مُفْــرَدا
يا ربِّ عَفْوَكَ، ليس لِيْ مِنْ مُنْقِذٍ إلاكَ مِمَّا قَدَّمَــتْ نفســيْ غَــدا

أَلْقِ السَّكِيْنَةَ في فُؤاديْ واكْفِنـــي يا ربّ أَهْوالاً تُـــشيِّبُ الأَمْــرَدا

لُذْتُ ببابِكَ مُسْتَجِيْرًا مُخْـــبِتـــًا إذْ إنَّ بابَكَ لا يكونُ مُوْصَدا![1]

⏲ ⏲ ⏲

[1] تلافيًا للخزل، وهو قبيح في البحر الكامل، لا بُدّ من إشباع ضمة التاء في "لُذْتُ". و تلافيًا للوقص، رغم أنه صـــالح في البحر الكامل، لا بُدّ من إشباع ضمة النون في "يكونُ".

تعويذة

نَلُوْذُ بِــكَ اللــهُمَّ مِــنْ كُــلِّ حاقِــدِ ونحتاطُ بالتَّعْوِيْذِ عَنْ كُلِّ حاسِــدِ

فأنتَ الذي تَمْحُوْ الــسَّخِيْمَةَ والعَــدَا وأنتَ الذي تَقْتَصُّ مِنْ كُلِّ جاحِدِ

وأنتَ الذي يَهْفُــو لَــهُ كُــلُّ راكِــعٍ وأنتَ الذي يَعْنُو لهُ كُــلُّ ســاجِدِ

ومَنْ ذا الذي يُعْطِــيْ الجَزِيْــلَ تَفَــضُّلاً سِواكَ على رُغْمِ الجَحُوْدِ المُعانِــدِ

* * *

أَقُوْلُ وقَدْ ثَرَّ الثَّــرَاءُ وأَغْــدَقَ الــسَّـ ـحابُ بِوَبْلٍ دَائِمِ الوَدْقِ جَائِــدِ

لكِ اللهُ يــا أرْضًــا تَفِــيْضُ جَــداوِلاً مِنَ الخَيْرِ تُزْجِيْهِ جميــعُ الرَّوافِــدِ

بــلادٌ حَباهــا اللهُ بــالوَفْرِ والغِنَــى يَعُمُّ الفَيافِيْ مِــنْ طَرِيْــفٍ وتالِــدِ

حَباها بــهِ ذو المَــنِّ والجُــوْدِ والثَّنــا فجادتْ بمَوْفُوْرٍ مِنَ العَيْشِ راغِــدِ

وكانــتْ يَبَابًــا قَفْــرَةً مُكْفَهِــرَّةً تُذيْبُ البَوَادِيْ في جَحِيْمِ الفَدافِــدِ

مَوَامٍ مــعَ الإهْــلاكِ تُــدْعَى مَفــاوِزًا وفيْها الرَّدَى في سَهْلِها والقَــرادِدِ

تَجُوبُ السَّوافِي السَّهْلَ والحَزْنَ والرُّبَــى بأرضٍ فَــلاةٍ حَرُّهــا كالمَواقِــدِ

فتاها على الأحــداث جَلْــدٌ مُــدَرَّبٌ ... سقاهُ إباءَ الضَّيْمِ صُــمُّ الجلامِــدِ
فَتًــى أرضــعتْهُ البِيْــدُ نُــبْلاً وعِــزَّةً ... فشَبَّ أَبِيًّــا مِــنْ أُبــاةٍ أماجِــدِ

* * *

بلاديْ جُــذُوْرُ المَجْــدِ فيهــا عَرِيْقَــةٌ ... مَنارٌ مِنَ التَّــاريخِ لــيسَ ببائِــدِ
فإنْ أَخْصَبَتْ كانتْ مَراحًــا ومَــسْرَحًا ... وإنْ أجدبَتْ كانتْ مثارَ التَّباعُــدِ
ويستبشرُ البــاديْ بهــا عنــدَما يَــرَى ... سحابًا ويسترعيْ أَزِيْــزَ الرَّواعِــدِ
لعــلَّ كــبيرَ الــسِّنِّ قــدْ ذاقَ مُرَّهــا ... وليس بعَيْبٍ ذِكْرُ تلــكَ المَــشاهدِ

* * *

جفاها بَنُوْهــا يــومَ كانــتْ بَئِيْــسَةً ... أشاحُوا بوَجْهٍ فاترِ الطَّرْفِ زاهِــدِ
ونالــتْ عُقُوْقًــا وازْوِرارًا وهجْــرَةً ... كَفِعْلِ وَلِيْدٍ تاهَ عَنْ حَــقِّ والِــدِ
وما كان إلاّ أنْ رَبَــتْ ثُــمَّ أَحْفَلَــتْ ... بِمِدْرارِ خَيْــرٍ مِــنْ وَلِيِّ المَحامِــدِ

* * *

حَلَى أرضَها صَــقْرُ الجَزِيْــرَةِ عَــسْجَدا ... وقَلَّدَها بــالأَمْنِ أَزْهَــى القَلائِــدِ
وطَهَّرَها مِــنْ كُــلِّ شِــرْكٍ وبِدْعَــةٍ ... وزَكَّى ثَراها مِنْ خَؤُوْنٍ وحاسِــدِ
فقامتْ علــى أُسٍّ مَتِــيْنٍ مِــنَ التُّقَــى ... مَدَى الدَّهْرِ محبوكٍ قَوِيِّ القَواعِــدِ
وأصْــــبَحَتِ البيــــداءُ دارَ إقامــــةٍ ... خَلَتْ مِنْ هواديْ وَحْشِها والأوابِدِ
تَوَشَّحَتِ الــصَّحْراءُ واخْــضَرَّ رَمْلُهــا ... وأَخْصَبَتِ الجَدْباءُ بَعْــدَ الــشَّدائِدِ

وحَلَّــقَ في أرجائهــا الطَّيْــرُ مُــشْبَعًا   وقد كان خمصانًا عَدِيْمَ الطَّرائِــدِ

* * *   * * *

وسارَ سُعُوْدُ السَّعْدِ بالرَّكْــبِ ســالِكًا   طريقًا على مِنْهاجِه غَيْــرَ حائِــدِ

وكَمَّلَها الصَّمْــصامُ بــاليُمْنِ والهُــدَى   فراقَــتْ لمُرتــادٍ وراقَــتْ لرائِــدِ

وأَخْلَــدَ للــرحمنِ في عِــزٍّ أَوْجِهــا   شُمُوْخًا وفيها مِنْ لذيــذِ الموائِــدِ

وقــد صــانَ أبعــادَ الأمانــةِ بالوَفــا   وأَوْدَعَها في كَفِّ أبــيضَ ماجِــدِ

فآتتْ أَلَذَّ الأُكْــلِ مِــنْ يــانِعِ الجَنَــى   وأَثْمَرَتِ الضِّعْفَيْنِ في عَهْدِ خالِــدِ

* * *   * * *

ويا فَهْدُ، يا أنــشودةً في فَــمِ الــدُّنَى   تُحيْطُ بكَ الأَحْداقُ، يا خَيْرَ قائِــدِ

أَحَبَّــكَ شُــبَّانٌ وشِــيْبٌ ونِــسْوَةٌ   لأَنَّكَ نَبْضُ الحُبِّ مِنْ قَلْبِ والِــدِ

سيُنْصِفُكَ التــاريخُ إنْ عَــزَّ مُنْــصِفٌ   لأَنَّــكَ للتعلــيمِ أوّلُ رائِــدِ

وتَذْكُرُ دُوْرُ العِلْمِ مَنْ شــادَ صَــرْحَها   مُمَثَّلَــةً بالجامعــاتِ الــشَّواهِدِ

بــرَزْتَ بهــذيْ الأرضِ أُمًّــا كريمــةً   حَصَانًا رَزانًا مِنْ كِــرامِ الخَرائِــدِ

* * *   * * *

ومِــنْ نِعْمَــةِ اللهِ الجليلــةِ أَنْ نَــرَى   حمَى الدِّيْنِ يُحْمَى بانتشارِ المساجِدِ

وتَنْفِيْذَ حُكْمِ الــشَّرْعِ في كُــلِّ مُجْــرِمٍ   وتقْويْمَ مُعْــوَجٍّ وتَعْــدِيْلَ حائِــدِ

وما كُنْتُ مَدَّاحًا، ولَنْ تَجْتَــدِيْ يَــدِيْ   نَوالاً على ما قُلْتُهُ مِــنْ قَــصائِدِيْ

ولكنَّــــهُ الإخــــلاصُ أَنَّـــى رأيْتُـــهُ ... يَهُزُّ شُعُوْرِيْ حينَ تَنَأَى شــوارِدِي

* * * ... * * *

فيا مَوْطِنَ الأمجــادِ يــا خَيْــرَ مَــوْطِنٍ ... ويا أُمَّةً تَسْمُو بــسُمْرِ الــسَّواعدِ

حَذارِ! فما عَيْنُ القَــذَا تُــضْمِرُ الرِّضــا ... فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ أَسْوَدِ القَلْبِ حاقدِ!

وكم مُظْهِرٍ- زَعْمًا- سُــرُورًا وغِبْطَــةً ... ومنْ قَلْبِهِ يَنْسابُ سُــمُّ الأســاوِدِ!

يَغــصُّ بأحقــادٍ ويُبْــدِيْ بَــشَاشَةً ... نفاقًــا لمَــسْؤُوْلٍ وتُقْيَــةَ حــارِدِ

وإنْ تَسْبُرِ الغَــوْرَ العَميــقَ تَجــدْ بــه ... أحابيْلَ مَصْدُوْرٍ خَبَيْــثِ المَقاصِــدِ

يُعَرْبِدُ في التَّشْكِيْكِ، يا بَحْرُ قــلْ لُــهُ: ... أَرِحْ واسْتَرِحْ، فالفُلْكُ ليسَ بمائِــدِ

نَعيْ مَنْ يَدُسُّ السُّمَّ في الشَّهْدِ يَبْتَغِيْ الشَّــ ... ــتَاتَ ونَنْأَى عَنْ طَرِيْقِ المَكَائِــدِ

ونُرْدِيْ- بِفَــضْلِ اللهِ- كُــلَّ مُخَــرِّبٍ ... فيُمْسي ذَلِيْلاً في شِــباكِ المَــصائِدِ

فما عُهِــدَتْ أرضُ البُطُولاتِ والإبــا ... تَليْــنُ لِغَــدَّارٍ لَدُوْدٍ مُزايِــــــدِ



لوحةٌ من بلدي [1]

وَشْوَشَاتُ الزَّرْعِ في بَلَــدِيْ   وصَــدَى الأَمْطَــارِ والبَــرَدِ
واخْـــضِرَارُ الأَرْضِ مُزْهِـــرَةً   في رَبِيْعِ الخِصْبِ والرَّغَـــــدِ
ورذاذُ الطَّـــــلِّ مُنْعَقِـــــدًا   في صــــباحٍ مُفْعَــــمٍ بِـــدَدِ [2]
وحَفِيْـــفُ الـــرَّوْضِ أُغْنِيَـــةٌ   فَذَّةٌ مِـــنْ عَـــزْفٍ مُنْفَـــرِدِ
وشُـــرُوْقُ الـــشَّمْسِ حالمـــةً   في صَباحٍ نـــامَ في الـــصَّرَدِ
وأَزِيْـــزُ الرَّعْـــدِ يُطْـــرِبُني   كهَدِيْلِ الـــصَّادِحِ الغَـــرِدِ

[1] للقصيدة نسخة أخرى، أجرى عليها الشاعر تعديلات، ثم أعاد خطّها بيده، فاعتمدتُ هنا تلك النسخة المعدّلة.

[2] الدَّد: اللهو، قال صلى الله عليه وسلّم: "لستُ من دَدٍ، ولا دَدُ منّي". (شرح الشاعر). وجاء في (الجوهري، صحاح اللغة، (دد)): "الدَّدُ: اللَّهْوُ واللَّعِب، وفي الحديث: "ما أنا من دَدٍ ولا الدَّدُ منّي". وفيه ثلاث لُغات، تقول: هـــذا دَدٌ، ودَدًا، مثل قَفًا، ودَدَنٌ."

أو عـصافيرٍ مُزَغْـرِدَةٍ ... أو حمـامٍ هـاجَ للثَّمَـدِ
ولَمْيـعُ البَـرْقِ مُؤْتَلقًـا ... وانْـدفَاقُ المـاءِ والزَّبَـدِ
وضَـجيْجُ الـسَّيْلِ أُمْـسِيَةً ... راحَ منْ عَيْبَانَ أو ضَمَـدِ
ونـسيمٌ غـبَّ غاديـةٍ ... طابَ منْـهُ مُـزْمِنُ الكَبَـدِ
واحتـدامُ الأُفْـقِ بالـشَّفَقِ ... وامتزاجُ الليـلِ بالـسُّهُـدِ
ونـداءُ الـصَّوْمِ في الـسَّحَرِ ... صَوْتُهُ مـازالَ في خَلَـدي
وأذانُ الفَجْـرِ مُرتفعـاً ... بنـداءِ الواحـدِ الـصَّمَـدِ
وليـاليْ العِيْـدِ في مَـرَحٍ ... منْ شبابِ الزَّهْـوِ والجَلَـدِ
وغَـضِيْضُ الطَّـرْفِ فاتنـةٌ ... منْ بَنَـاتِ الـدَّلِّ والغَيَـدِ
هـذه الأَنْغَـامُ سـاكنةٌ ... في عميقِ الرُّوْحِ والجَـسَدِ
لَوْحَةٌ عَصْمَـاءُ مُحْكَمَـةٌ ... منْ حَكَيْمٍ ليس رَسْمَ يَـدِ

****** ******

يا بلاديْ مُهْجَتِـيْ سَـكَبَتْ ... دَفْقَ حُبٍّ غَيْـرِ ذيْ أَمَـدِ
ما نَسيْـتُ الأَرْضَ يا وَطَني ... في دَمِـيْ بالـوُدِّ والكَمَدِ
ما كَرِهْتُ العَيْشَ فـي دَعَـةٍ ... رُغْمَ ما فِيْـهِ منَ الكَبَدِ
لكنِ الأقـدارُ تَعْـصِفُ بِيْ ... كُلَّما قَرَّبْـتُ مِـنْ بَلَـدِي

****** ******

ما أُحَيْلَى الجَوَّ في جَبَـــــــلِ شـــامخٍ طَوْد مَـــدَى الأَبَـــدِ
يَوْمَ كان الـــشَّمْلُ مُجْتَمِعـــاً تَحْتَ ظِلِّ اللَّيْثِ ذيْ اللُّبَـــدِ
لَيْثِ غـــابٍ صـــانَ غَيْـــضَتَهُ بذكـــــاءٍ جـــــدٍّ مُتَّقِـــدِ
ما نَما فـــــي قَلْبِهِ وَجَـــــلٌ ضَيْغَمٌ مِنْ أَشْـــجَعِ الأُسُـــدِ
****** ******

شيخَنا، يا خـــالُ، مَعْـــذِرَةً تاهَـــتِ الأقـــزامُ بالـــصَّـــيَدِ
كُنْتَ سَـــيْفاً صـــارمًا ذَرِبًـــا حاسِـــمًا في ســـاعةِ الحَـــرَدِ
نافِـــذًا مِـــنْ كُـــلِّ مُعْـــضِلَةٍ بعميْـــقِ الفكْرِ والرَّشَـــــــدِ
ومُذِيْقـــاً كُلَّ مُنْحَـــــــرِفٍ ذُلَّ عَـــيْرِ الحَـــيِّ والوَتَـــــدِ
****** ******

يا نُفُوْســـاً كُنْـــتَ تُكْرِمُهـــا جاهرتْ بالحِقْـــدِ والحَـــسَدِ
زُمْـــرَةٌ فاحَـــتْ روائحُهُـــمْ بزَفِيْـــرِ النَّفْـــثِ في العُقَـــدِ
جَوْقَـــةٌ والزَّمْـــرُ دَيْـــدَنُهُمْ راقَبُـــوا مَثْـــواكَ كالرَّصَـــدِ
سَخِـــــرَتْ منكُـــــمْ مآثِرُهُ يا دُعـــاةَ الزَّيْـــفِ والفَنَـــدِ
****** ******

يا عُيُوْنًـــا كُنْـــتَ تَكْحَلُهـــا بالوَفَـــا والحُـــبِّ والمَـــدَدِ
أينَ ذاكَ الكُحْلُ؟ يا عَجَبِـــيْ! صـــارَ في العَيْنَـــيْنِ كالرَّمَـــدِ

لو تَرَى مَنْ كُنْــتَ تُــؤْثِرُهُمْ   بَــلْ تَــراهُمْ عُــدَّةَ العُــدَدِ
رَكِبُوا مِنْ دَرْبِهِــمْ شَــطَطًا   ومَــشَوا في المَهْيَــعِ القِــدَدِ
بَيَّتــُوا- خُبْــثاً- مُؤامــــرةً   وانْبَـــرَوا للكَيْـــدِ والنَّكَــدِ
******   ******

يا ابنَ مَنْ كانَــتْ مواقِفُــهُ [م] الغُرُّ لا تَخْــفَى على أَحَــدِ
رُغْمَ ما في الجَوِّ مِــنْ عَــتَمٍ   لا تَهُنْ بالفَــتِّ في العَــضُدِ
سِرْ- بحَبْــلِ اللهِ مُعْتَــصِماً-   في طريـــقٍ غـــيرِ ذي أَوَدِ
كُلُّ نَفْسٍ رَهْنُ ما كَسَبَــتْ   حَسْبُهـــا ما قَدَّمَــتْ لِغَــدِ

السَّلامُ عليكم..![1]

تأُزُّنيْ الطَّعْنَةُ النَّجْلاءُ في كَبِدِيْ … فأَتَّقيها بذِكْرِ الواحِدِ الصَّمَدِ

أُحسُّ يا بارئيْ التَّمْزِيْقَ في بَدَني … فاجْعَلْ لَهِيْبَ الْمُدَى يارَبِّ كالبَرَدِ

كَأَنَّ قَلْبِيْ على السَّفُّوْدِ يُحْرِقُهُ … في جاحِمِ النَّارِ يَوْماً كَفٌّ مُفْتَئِدِ

يَقُوْلُ لِيْ حَضْرَةُ الدُّكْتُوْرِ: "لا أَمَلٌ" … فقلتُ:"لكنْ على ذيْ العَرْشِ مُعْتَمَدِي

ثُمَّ السَّلامُ عليكمْ، ليس بِيْ وَجَلٌ … مِمَّا أتانِيْ مِنَ الرَّحمنِ يا وَلَدِي

ولا ألومُكَ يا دُكْتُوْرُ ، لا عَتَبٌ، … رُغْمَ الجَلافةِ، والإِعْرَاضِ، والصَّيَدِ

---

[1] لعلّ هذه هي القصيدة ما قبل الأخيرة من أعمال الشاعر. أما القصيدة الأخيرة- حسب دفتر شعريّ خَطَّهُ بيده- فقصيدته بعنوان: "الشاعر". وكُنْتُ حاضرًا إذ راجع الشاعرُ الطبيبَ قبل خمسة أشهر تقريبًا من وفاته، فأعلمه الطبيب- في جلافة- أن لا أمل في علاج حالة السرطان التي فتكت بكبده، قائلاً بالحرف: "الأعمار بيد الله!". وهكذا نعاه لنفسه (ذلك النموذج من الأطباء) قبل وفاته! والقصيدة تذكرنا برثاء مالك بن الريب لنفسه.

لا تُيْئِسَنْ أيُّها الآسي، فأنتَ على ما قَدَّر اللهُ لم تَنْقُصْ ولم تَزِدِ"

إنَّ المنايا لكُلِّ الناسِ مُرْصَدَةٌ فهل هنالكَ مَنْ يَنْجُوْ مِنَ الرَّصَدِ؟!

والموتُ حَقٌّ فلا أَخْشَى بوادرَهُ وسَوْفَ أَلْقَاهُ بالتَّوحيدِ والجَلَدِ

وكيفَ أَخْشَى سِهامَ المَوْتِ تَفْتِكُ بِيْ ولستُ أَمْلِكُ لا رُوْحِيْ ولا جَسَدي

وليس خَلْفِيَ مَنْ أَخْشَى تَيَتُّمَهُمْ بَعْديْ ولا لِيْ مِنَ الأموالِ مِلْءُ يَدي

وقَدْ أَخَذْتُ مِنَ الدُّنْيا بهارِجَها وغَرَّنِيْ مِثْلَ غَيْرِيْ كَثْرَةُ الزَّبَدِ

في كُلِّ جارحَةٍ ذَنْبٌ يُؤَرِّقُني رَبَّاهُ، لَمْ أَسْتَقِمْ، وامْتَدَّ بِيْ أَوَدي

يا رَبِّ لَوْ عُدَّ ذَنْبِيْ كالمُحيْطِ لَمَا رَدَدْتَنِيْ خائبًا غَرْقَانَ في العَدَدِ[1]

يا مُنْقذيْ مِنْ لَهَيْبِ النَّارِ يا أَمَلي يا خالقِيْ صُبَّ نُوْرَ العَفْوِ في خَلَدي

والمُسْرِفُونَ على أَنْفُسِهِمْ فَزِعُوا فقُلْتَ: "لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الأَحَدِ"

يا سَعْدَ مَنْ نِعْمَةُ الإِسلامِ تَغْمُرُهُ ومَنْ خَلا قَلْبُهُ مِنْ وَصْمَةِ الحَسَدِ

ياقابلَ التَّوْبِ امْحِ الذَّنْبَ عَنِّي فَقَدْ مَزَجْتُ بَينَ طريقِ الغَيِّ والرَّشَدِ[2]

لكِنْ يَقِيْنِي بِعَفْوِ اللهِ يَحْفِزُني أنْ لا أَخافَ مِنَ التَّعْذيْبِ يَوْمَ غَدِ

فاللهُ مُعْتَصَمِي، بَلْ مُنْتَهَى أَمَلِيْ، واللهُ مُلْتَجَئِيْ، واللهُ مُسْتَنَدي

---

[1] في نسخة أخرى، جاء هذا الشطر: " ضاقت ميادينك الجُلَّى عن العددِ"، والصياغة المعتمدة هنا هي المعدّلة من قِبَل الشاعر.

[2] لضرورة الوزن تُنطق همزة "امْحِ" كهمزة قطع. كما ينبغي في كلمة "عَنِّي" عدم نُطق الياء، وإلاّ كانت العَروض تامّة، غير مخبونة، خلاف المعهود في البحر البسيط.

يا رَبِّ، إنْ كانَ خَيْرًا لِيْ البَقاءُ، فَهَبْ ... لِيْ مِنْ دَوائِكَ ما يَشْفِيْ مِنَ الكَمَدِ

فأَنْتَ أَذْهَبْتَ عَنْ أَيُّوْبَ مِحْنَتَهُ ... فِي شِدَّةِ الكَرْبِ مَنًّا مِنْكَ بِالْمَدَدِ

يا ذا الطَّبِيْبُ الذي أَعْلَنْتَ فاجِعَتِيْ ... أما تَرَى أَنَّنِيْ كالضَّيْغَمِ الحَرِدِ؟!

لِمْ أَهْتَزِزْ عندما قَالُوا كذا مَرَضِي ... بَلْ زادَنِيْ قُوَّةً إذْ لم يَطُلْ أَمَدِي

وقد يَمُوْتُ الفَتَى مِنْ غَيْرِ ما مَرَضٍ ... بل كان يَخْتَالُ فِي النَّعْماءِ والرَّغَدِ

لكِنَّ مَوْتَ أَخِيْ قَدْ شَلَّ مَقْدِرَتِي ... وكادَ يَخْنُقُنِيْ حَبْلٌ مِنَ المَسَدِ[1]

بَكيتُ سِرًّا وجَهْرًا عِنْدَما سَمِعَتْ ... أُذْنِيْ بِنَعْيِ أَخِيْ.. للهِ يا عَضُدي!

والحَمْدُ للهِ مِلْءَ الكَوْنِ خالِقِنا ... ثُمَّ الصَّلاةُ على الهادِيْ مَدَى الأَبَدِ

---

[1] وكان- بعد نبأ مرضه الميئوس من شفائه- تلقَّى نبأ وفاة شقيقه الأكبر: قاسم بن محمّد، رحمهما الله!

الشاعر

(قصيدة لم تكتمل، لعلها من آخر ما كتب الشاعر، إن لم تكن آخر ما كتب)[١]

لا أَرَى في الوَرَى رَقِيْقَ المَـــشاعِرْ ... مثلَ قَلْبِ الحزينِ أو قَلْبِ شاعِرْ

أو مُحِبٍّ قَدْ صَيَّرَ الحُـــبُّ مِنْـــهُ ... حَبَّةَ القَلْبِ مِثْلَ جَمْرِ المَجـــامِرْ

لَمْ يَجِدْ مَنْ يَبُثُّـــهُ الـــشَّوْقَ إلاّ ... شامِتًا، لَمْ يَقُمْ بتَطْيِيْبِ خَـــاطِرْ

أو يَتِيْمٍ في أُسْرَةِ اللُّـــؤْمِ حامَـــتْ ... فَوْقَ أَحْزانه النُّسُوْرُ الكَواسِـــرْ

يَنْزِعُوْنَ كَـــوامِنَ الخَيْـــرِ عَنْـــهُ ... ويُغَذُّوْنَـــهُ المُـــدَى والخَنَـــاجِرْ[٢]

صارَ يَقْتاتُ مِنْ فُتـــاتِ البَقايـــا ... أو يَبِيْتُ على الطَّوَى لَيْلَ ساهِرْ[٣]

فإذا شَبَّ شَـــبَّ لِـــصًّا خَبِيْثًـــا ... يَسْرِقُ الكُحْلَ مِنْ مُحِيْطِ المَحَاجِرْ

---

[١] وَجدتُ النصَّ مخطوطًا، وغير مكتمل الصياغة والتنقيح، (راجع: النموذج ١١ مـــن صـــور المخطوطـــات: "رحلـــة الحرف")، فاجتهدتُ في بنائه، كما هو هاهنا. فما كان فيه من ضعف فمن عندي، وما كان من قوة فمن الشاعر.

[٢] لا بُدَّ من إشباع فتحة النون في "يَنْـــزِعُوْنَ".

[٣] لا بُدَّ من إشباع ضمة التاء في "يبيتُ".

هكـــذا قَلْبُــهُ الرَّقِيْـــقُ تَرَبَّـــى　　مُحِيْطِ المَحَاجِرْ في سُوَيْدائه سَفِيْهٌ

لكنِ الـــشَّاعِرُ الحَـــزِيْنُ يُغَنِّـــي　　ومَاكِرْ　　كُلَّ حِيْنٍ مِلْءَ اللُّهَى

ويُذِيْبُ الجَمَادَ في كُـــلِّ لَحْـــنٍ　　والخَنَاجِرْ بَعْدَ أنْ ذابَ في أَفَانِيْنِ

يَنْقُشُ الحَرْفَ مِثْلَ نَقْشِ لُجَـــيْنٍ　　سَاحِرْ صُبَّ في قالبٍ مِنَ الحِسِّ

يَجْمَعُ الحُبَّ والشُّعُـــورَ ويَهْوَى　　بَاهِرْ عَبْقَرِيَّ الجَمـــالِ لَوْ كانَ غادِرْ

☙ ☙

معالم النهضة المباركة

يقولونَ أَيْنَ الشِّعْرُ؟ ماذا دَهَى الشِّعْرَا ... ومَوْجٌ حَضارِيٌّ هُنا يَقْذفُ الـدُّرَّا؟!

يَرُوْحُ ويَغْـدُو هائِجًـا مُتلاطِمًـا ... تَعَوَّدَ دَفْقَ المَـدِّ لا يَعْـرِفُ الجَـزْرا

ألا يَبْعَثُ الإحْسَاسَ في قَلْبِ شَاعِرٍ ... فيَنْثُرَ فَوْقَ الأَرْضِ مِنْ شِعْرِهِ عِطْرا؟!

أَصَوْمٌ وقَدْ فَاضَتْ يَنَـابِيْعُ نَهْـضَةٍ ... ومَدَّتْ يَدَيْها تَحْضُنُ البَدْرَ والنَّسْرا؟!

وعانَقَت الأَرْضُ السُّهَى في عُلُـوِّهِ ... وشَعَّتْ نُجُوْمُ العَصْرِ ما أَجْمَلَ العَصْرا!

فقُلْتُ لَهُمْ: مَهْلاً فما الشِّعْرُ كاسِدٌ ... وما تُؤْخَذُ الأَغْرَاضُ عَسْفًا ولا قَسْرا

ولا أقْفَرَتْ مِنْهُ العواطفُ والـرُّؤَى ... ولا ماتَ وِجْدانٌ ولا خانَت الذِّكْرَى

ولا خَلَجَاتُ النَّفْسِ مِنِّـي تَبَلَّـدَتْ ... ولا نامَ إِحْسَاسِيْ ولا الجَهْلُ بِيْ أَزْرَى

ولكنَّنـا في قِمَّـةٍ مِـنْ حَـضَارةٍ ... مُحَصَّنَةٍ قَدْ فاقَتِ الـشِّعْرَ والنَّثْـرا

وفاقَتْ ترانِيْمَ القَـوافِيْ وأَجْهَـدَتْ ... بتَحْلِيْقِها الأَقْلامَ والـرَّقَّ والحِبْـرا

سِبَاقٌ مَعَ الأَيّـامِ في كُـلِّ بَلْـدَةٍ ... بحَشْدٍ مِنَ العُمْرانِ أَفْواجُـهُ تَتْـرَى

* * *

خِراشٌ حَوالَيْه الظِّبــاءُ تَكــاثَرَتْ   عليه فقَدْ أَعْيَـا وأَنْـتُم بِــه أَدْرَى[١]

ففي كُلِّ مَيْدانٍ صُــرُوحٌ مَــشيْدَةٌ   مُمَرَّدَةٌ تَختالُ مِـنْ عُجْبِهــا كِبْــرا

جُسُوْرٌ وأَنْفَــاقٌ، دُرُوبٌ سَــرِيْعَةٌ   ومُسْتَشْفَيَاتٌ تَبْعَثُ النُّوْرَ والبُــشْرَى

ودُكَّتْ عِقابٌ شامخَاتٌ شَــواهقٌ   فسِرْنا بها شَفْعًا وسِرْنا بهــا وِتْــرا[٢]

وأُحْيِيَت الأَرْضُ المَواتُ فأَخْــصَبَتْ   وأَنْبَتَت الرُّمَّـــانَ والكَــرْمَ والبُــرّا

ومَاءٌ أُجَاجٌ قَــدْ تَرَكْنَــاهُ مَــوْرِدًا   نَمِيرًا زُلالاً سَلْسَلاً سَــائغًا طُهْــرا

على عُنْفُوانِ البَحْرِ والهَوْلِ والــرَّدَى   أَتَيْنَا به يَنْقــادُ مِــنْ عَزْمِنَــا قَهْــرا

وصُيِّرَ مِنْهُ المــاءُ عَــذْبًا وذُلِّلَــتْ   مَصَاعِبُهُ مِنْ بَعْدِ ما كَــانَ مُــزْوَرّا

وفيهِ جَــوارٍ مُنْــشَآتٌ شَــوامِخٌ   على رُغْمِ غَدْرِ البَحْرِ تَــأْطِرُهُ أَطْــرا

تَشُقُّ عُبَابَ الماءِ شَــقًّا وتَمْتَطِــيْ   مِنَ السِّيْفِ بَرًّا لاحِبًا تَنْهَــبُ البَــرّا

* * *   * * *

على صَفْحَةِ الصَّحْرَاءِ تَجْرِيْ جَدَاوِلٌ   تُحَوِّلُ رَمْلَ البِيْدِ مِنْ خَيْرِهــا نَهْــرا

---

[١] مأخوذٌ من قول الشاعر:

تكاثرتِ الظِّباءُ على خِراشٍ   فما يَدْرِي خِراشٌ ما يَصِيْدُ

(خراش: اسم رجل). وقد تكاثرت معالم النَّهْضَة حتى إن الإنسان لا يدري أيّ معلم يتحَــدّث عنــه. (تعليــق الشاعر).

[٢] إشارة إلى خطوط الطُّرق المزدوجة والمفردة. (تعليق الشاعر).

فتُضْحِيْ بهِ الصَّحْراءُ حَقًّا مَفازَةً ... ويُصْبِحُ ذاكَ العُسْرُ في عَيْشِها يُسْرا

غَذَتْها يَدُ الإِخْلاصِ بالحُبِّ والوَفَا ... بِوَقْت قياسيٍّ غَدَتْ رَوْضَةً زَهْرا

عَرُوْسٌ، عَفَافَ الطُّهْرِ قَدْ ضَمَّ بُرْدُها، ... حَصَانٌ- حماها اللهُ- طاهِرَةٌ عَذْرا

تُفَضُّ على اسمِ اللهِ والحَقِّ والتُّقَى ... وتَحْمِلُ آمالاً ولَمَّا تَزَلْ بِكْرا

وفَوْرَ تَمامِ الأَرْضِ بالحَمْلِ أَنْجَبَتْ ... منَ الخَيْرِ أنْهارًا ومِنْ تُرْبِها تِبْرا

وكانَتْ لقُطَّاعِ الطَّرائقِ مَلْجَأً ... مَقِيْلاً لَهُمْ حِيْنًا وحِيْنًا لهُمْ مَسْرَى

يُجَلِّلُها الإرْهابُ والخَوْفُ والرَّدَى ... تَجُرُّ مآسِيْها لِسَالِكِها جَرّا

* * *

يَقُوْلُ لنا الآباءُ عِشْنا على الشَّقَا ... فكُنَّا مَعَ الإمْلاقِ نَفْتَرِشُ الغَبْرا

وكُنَّا نَعِيشُ النَّهْبَ والسَّلْبَ والأَذَى ... وكَفُّ الأَذَى قَدْ كانَ في عُرْفِنا نُكْرا

نُغِيْرُ على ابْنِ العَمِّ والجَارِ لا نَرَى ... سِوَى الغَزْوِ في الصَّحْراءِ نَرْضَعُهُ دَرّا

فأَمَّنَها مَنْ كانَ مِلْءَ إهابِه ... وَفَاءً وإخلاصًا رَحِيْمًا بِها بَرّا

وأَعْلَنَها أرْضِيَّةً وَحْدَوِيَّةً ... عَرِيْنَ لُيُوْثٍ لا تُبَاعُ ولا تُشْرَى

بلادٌ بِفَضْلِ اللهِ قُدْسِيَّةُ الثَّرَى ... على مَوْكِبِ التاريخِ لا تَحْمِلُ الوِزْرا

يَدٌ مِنْ بَنِيْ الصَّحْراءِ عِملاقةُ الهَوَى ... مَحَتْ مَرَضَ الإنْسَانِ والجَهْلَ والفَقْرا

تَحَدَّتْ سَوَافِيْ الرَّمْلِ والبُؤْسَ والأَسَى ... تَبَوَّأَتِ المَوْمَاةَ والقُرَّ والحَرّا

وَلَمَّتْ شَتاتَ القَوْمِ بالأَمْنِ والرَّخَـــا ... ووَحَّدَتِ الأَهْدافَ بالوِحْدَةِ الكُبْرَى

* * *

تعالَوا تَرَوْها اليومَ في عِـــزٍّ أَوْجِهـــا ... ولا زالَ نَهْرُ الحُبِّ يَغْمُرُهَـــا غَمْـــرا

ومَنْ نالَ منها بالأَذَى سُدَّ نَحْـــرُهُ ... وجُرْثُومَةُ الإفـــسادِ نَبْتُرُهـــا بَتْـــرا

ففي الأرضِ آسادٌ تَشُلُّ يَدَ العِـــدا ... إذا جُوْبِهَتْ بالُمرِّ تَـــسْتَعْذِبُ الُمـــرّا

وفي الجَوِّ تَبْدُو الطـــائِراتُ عـــصائبًا ... يُزَيِّنُها التَّوْحيْـــدُ والرَّايَـــةُ الخَـــضْرا

عليها مِنَ ابْنـــاءِ الـــبِلادِ ضـــراغِمٌ ... ضَواريْ فَلاةٍ تُتْقِنُ الكَـــرَّ والفَـــرّا[١]

* * *

وجيشٌ مِنَ التَّعليمِ يُزْجِـــيْ رِكابَـــهُ ... لِنَنْهَلَ عَذْبًا صافيًا يُـــنْعِشُ الفِكْـــرا

رَسَـــمْنا طَرِيْقًا واضِحًـــا غَيْرَ مُلْتَوٍ ... رَصَفْناهُ تَوْحيْـــدًا فنِلْنَـــا به الفَخْـــرا

وما الجامعاتُ الـــسَّبْعُ إلاّ شـــواهِدٌ ... ومَنْ غاصَ بَحْرَ العِلْمِ أَلْفَى بِهِ الـــدُّرّا

نَغُوْصُ ولا نَخْشَى الهَـــلاكَ وإنَّمـــا ... بأَقْوَى مِنَ الفُولاذِ نَسْتَأْسِرُ البَحْـــرا

* * *

[١] همزة "أبناء" سُهّلتْ للضرورة.

غَزَوْنا الفَضاءَ، عَزْمُنا، وذَكاؤنا، نُسَطِّرُ في طِرْسِ الفَضاءِ لنا ذِكْرا
بِشِبْلٍ جَرِيْءٍ مِنْ عَماليقِ أَشْبُلٍ غَزَا يَنْشُدُ الإنصافَ والعَدْلَ والنَّصْرا[1]
إذا جالَ مِنْكَ الفِكْرُ في أَيِّ بُقْعَةٍ رَأَيْتَ مِنَ الإِنْجَازِ ما يُشْبِهُ السِّحْرا
وفي زَمَنٍ قَدْ يُشْبِهُ الحُلْمَ ما يُرَى بِبِضْعَةِ أعوامٍ خَلَتْ تُعْجِزُ الدَّهْرا
مشاهِدُ نَحْياها ونُعْمَى نَعِيْشُها ومهما عَدَدْناها فَلَنْ نَبْلُغَ الحَصْرا
أَرُوْنِيْ مِنَ الدُّنيا بِلادًا تَسَنَّمَتْ ذُرَى قِمَّةِ التاريخِ ناصِعَةً غَرّا
أَقُوْلُ لكُمْ هذيْ بِلادي تَغَلَّبَتْ على عَقَباتِ العَصْرِ تَسْتَسْهِلُ العُسْرا
فيا رَبِّ صُنْها واحْفَظِ القائِدَ الذي على الحُبِّ يَرْعاها ويَبْقَى لنا ذُخْرا

✠✠✠

[1] إشارة إلى رائد الفضاء العربي الأول: الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز.

رسالة إلى أطفال الحجارة

أَمْطِرُوْهُمْ مِنْ راجمَات الحِجارَةْ   وَابِــلاً مُلْهِباً يَذُوْقُــوْنَ نـَـارَهْ

حاصِرُوْهُمْ في كُلِّ صِقْعٍ وصَوْبٍ   طَارِدُوْهُمْ في كُلِّ حَيٍّ وحَارَةْ

أُبْصُقُوا في وُجُوْهِهِمْ واصْفَعُوْهُمْ   ثُمَّ خُطُّوا في كُــلِّ وَغْـــدٍ أَمَارَةْ

أُجْلُدُوْهُمْ بأَلْفِ سَوْطٍ وسَـــوْطٍ   واصْلُبُوْهُمْ على جدارِ المَرَارَةْ

أَفْهِمُوْهُـــمْ أَنَّ الحِجَارَةَ أَنْكَـــى   مِنْ صَوَارِيْخِهِمْ وأَقْوَى إِثَــارَةْ

عَلِّمُوْهُمْ أنَّ الحِسَابَ المُصَفَّـــى   حَانَ، والبَغْيُ لا تُقِرُّوا قَــرَارَهْ

رَدِّدُوا بالتَّكْبِيْرِ في عُـــنْـــفُوان   أَعْذَبَ اللَّحْنِ، ما أَلَذَّ شعَارَهْ!

أَزَلِيّ يَبُثُّ في الكَوْنِ طـــُهْـــراً   فَاضَ مِنْ كُلِّ مَسْجِدٍ أو مَنَارَةْ

***   ***

يا فِلَسْطِيْنُ يا غِنَـــاءَ الـــدَّوَالِيْ   يا تُرَاباً يَفُـــوْقُ دُرَّ المَحَـــارَةْ

الجِهَـــادَ الجِـــهَـــادَ، واللهِ إِنَّـــا   قَدْ حَلَفْنا ما تُسْدِلِيْنَ السِّتَارَةْ

ما شَكَكْنَا يا أَرْضُ، واللهِ نَدْرِيْ أَنَّكِ سَوْفَ تَقْدَحِيْنَ الــشَّرَارَةْ[١]

***

يا حُثَالاتِ أَحْقَـــرِ النَّاسِ جِئْتُمْ مِنْ أُتُوْنِ السَّفَالَةِ والــقَـــذَارَةْ[٢]

هَلْ لَهُ الحَـــقُّ في البِـــلادِ لَقِيْطٌ مُجْرِمٌ جاءَ مِنْ بُيُوْتِ الدَّعَارَةْ؟!

اسْتَعِدُّوا فَقَدْ أَتَاكُمْ شَـــبَـــابٌ مِنْ بُطُوْنٍ تَنُثُّ مِنْهَا الطَّهَـــارَةْ

يَحْمِلُوْنَ شُـــوَاظَ نارٍ تَلَـــظَّـــى مِنْ شَظايا التَّارِيْخِ مِنْ كُلِّ دارَةْ[٣]

فَاجَؤُوْكُمْ مِنَ المَدَارِسِ إِعْصَاراً مُخِيْفـــاً لا مِنْ سِلاحِ الإِشَارَةْ

سَجَّلُوا في الدَّفَـــاتِرِ وَاجِبَـــاتٍ حَلُّهَا لَيْسَ مِنْ قَـــرَارِ الإِدارَةْ[٤]

قَـــرَّرُوا أَنْ يُعَـــبِّرُوا في حَمَاسٍ وانْتِظَامٍ بِـــغَارَةٍ إِثْـــرَ غـــارَةْ

ذلكَ الشَّعْبُ- يا أَذَلَّ البَرَايَـــا- كُلَّمَا هَـــبَّ تَجْمَعُوْنَ الـــوِزَارَةْ

---

[١] كسرة الكاف مشبعة في كلمة "أنّكِ".

[٢] كسرة التاء مشبعة في كلمة "السَّفالةِ".

[٣] فتحة النون مشبعة في كلمة "يحملونَ".

[٤] كسرة الراء مشبعة في كلمة "الدفاترِ".

تَخْرُجُوْنَ مِنْ الكَنِيْسَةِ أَقْزَامًــا صِغَاراً وتُنْكِرُوْنَ الخَســَــارَةْ[١]

*** ***

يا لَهُ مَنْــظَرَاً يَهُــزُّ الحَنَــايَــا بل يُثِيْرُ في النَّفْسِ أَحْلَى عِبَارَةْ[٢]

عَسْكَرِيٌّ مُدَجَّجٌ مُسْــتَــبِــدٌّ مِنْ جُنُوْدِ النَّذالَةِ والحَــقــَارَةْ[٣]

يَتَمَطَّى بَيْنَ الجُنُوْدِ افْتِخَــاراً رُبَّما كان مِنْ كِبَارِ "النَّظَارَةْ"

يَنْزَوِيْ إنْ رَأَى تَنَمُّــرَ طِفْــلٍ مِثْلَما تَنْزَوِيْ إلى الجُحْرِ فَــارَةْ

انْتَظِرْ- يا أَذَلُّ- كَأْسَ المَنَايَــا جَاءَكَ الطِّفْلُ والحَصَى والجَسَارَةْ

أَيْنَ تَغْدُوْ ؟ وراحَ مِنْكَ التَّعَــالِي يا ذَلِيْلاً كَثَعْلَبٍ فــيْ مَغــَارَةْ!

⊠

[١] فتحة النون مشبعة في كلمة "تخرجونَ".

[٢] ضمّة الراء مشبعة في كلمة "يثيرُ".

[٣] كسرة التاء مشبعة في كلمة "النذالةِ".

أبا فيصل .. !

مُهداة لفضيلةِ الشيخ اللَّبيب، الشاعر الأديب، علي بن قاسم الفَيْفي

سَماحُكَ يا شَيْخِيْ فَمِثْلُـــكَ يَعْـــذُرُ
لَكَ الحَقُّ إنْ تَعْتَــبْ فَـــإنِّي مُقَـــصِّرُ

أنا ثَمَرٌ مِنْ غَرْسِكَ الجَـــمِّ ناضِـــجٌ
سَأَذْكُرُ هذا الفَضْلَ دَوْمًـــا وأَشْـــكُرُ

فتَوْجِيْهُكَ المَحْفُوْرُ في القَلْبِ ثابِـــتٌ
مَدَى العُمْــرِ لا أَنْـــسَى ولا أَتَنَكَّـــرُ

وتَشْجِيْعُكَ المَسْطُوْرُ في الذِّهْنِ راسِخٌ
علـــى مَوْكِـــبِ الأَيَّـــامِ لا يَتَغَيَّـــرُ

* * *

أبا فَيْـــصَلٍ، واللهُ أَعْطَـــاكَ رِفْعَـــةً
فبُورِكْتَ بـــالتَّرْفِيْعِ تَـــسْمُوْ وتُحْبَـــرُ

وبُورِكْتَ بالتَّقْدِيْرِ والمَنْصِبِ الـــذي
حُبِيْتَ به إذْ أَنْـــتَ أَهْـــلٌ وأَجْـــدَرُ

وقَدْ كُنْتُ تَوّاقًـــا لتَوْدِيْـــعِ ماجِـــدٍ
وشَتّانَ فَيْفَا- يا عَزِيْـــزِيْ- وعَرْعَـــرُ

فإنْ تَبْتَعِدْ عَنْ دِيْرَةٍ أَنْـــتَ نُوْرُهـــا
فإنَّـــكَ ذِكْـــرٌ في الحَنَايَـــا مُعَطَّـــرُ

وإِنْ بِنْتَ عَنْ أَرْضٍ عَشِقْتَ تُرابَهـــا
فمَكَّةُ خَيْـــرٌ مِـــنْ ثَرَاهَـــا وأَطْهَـــرُ

* * *

سَمعْتُكَ إذْ تَتْلُــو وَدَاعًــا مُــؤَثِّرًا ... يَفِــيْضُ وَفَــاءً وانْتِمَــاءً ويَعْمُــرُ

يَفُوْحُ أَرِيْجُ الودِّ والصِّدْقِ والــصَّفَا ... كما فَاحَ رَيْحــانٌ ورَنْــدٌ وعَنْبَــرُ

عَزَفْتَ على قِيْثَارةِ النُّبْــلِ مَقْطَعًــا ... بَديْعًا عَــنِ الــذَّوْقِ الرَّفِيْــعِ يُعَبِّــرُ

وإِنِّيْ- رَعَاكَ اللّهُ يا شَيْخُ- مُعْجَــبٌ ... بنَهْجكَ في الــلأْوَاءِ بــالحَقِّ تَجْهَــرُ

حَلِيْمٌ، ولكــنْ لا تُــدَاسُ كَرَامَــةٌ، ... حَكِيْمٌ، عَفيْفُ النَّفْسِ، شَهْمٌ، مُظَفَّــرُ

إِخَالُكَ ملْءَ السَّمْعِ مُذْ كُنْتَ يَافعًــا ... قَرِيْنُكَ طُوْلَ الوَقْتِ طِــرْسٌ مُحَبَّــرُ

نَشَأْتَ عصَاميًّا طَمُوْحًــا مُكافحًــا ... شَقَقْتَ الطَّرِيْقَ الصَّعْبَ، تَصْبُوْ وتَصْبِرُ

وحَقَّقْتَ ما تَصْبُوْ إليه، وقَدْ غَــدَتْ ... بكَ الدِّيْرَةُ الجَــدْباءُ تَزْهُــوْ وتُزْهِــرُ

ظَهَرْتَ منَ الظَّلْماءِ كالبَدْرِ سَــاطِعًا ... إلى الجَبَلِ العِمْــلاقِ يَرْنُــوْ ويُنْــوِرُ

صَفَعْتَ جَبِيْنَ الجَوْرِ والبَغْيِ والخَنَــا ... وقُلْتَ لأَهْــلِ الكِبْــرِ: اللّهُ أكْبَــرُ!

هَزَزْتَ قَنَاةَ العَدْلِ في كَــفٍّ واثــقٍ ... وأَلْهَبْتَ ظَهْرَ الظُّلْمِ، والحَــقُّ يُنْــصَرُ

أَتَيْتَ مُحِيْطًا مُكْفَهِــرًّا فَــشَمَّرَتْ ... سَفِيْنُكَ ضِدَّ الرِّيْحِ بــالعَزْمِ تَمْخَــرُ

فيا رُبَّ صَــعْبٍ رُضْــتَهُ فتَرَكْتَــهُ ... ذَلُوْلاً وقَبْلاً كــانَ يَرْغُــوْ ويَهْــدِرُ

ورُبَّ حَرُوْنٍ قَدْ كَبَحْتَ جِمَاحَــهُ ... على لاحبٍ تَهْدِيْ خُطــاهُ وتَــأْطِرُ

فأَضْحَى وَدِيْعًا هادِئَ الطَّبْعِ طَائعًــا ... وكانَ لَجُوْجًــا في المَحَافِــلِ يَــزْأَرُ

ورُبَّ لَدُوْدٍ شَامِخِ الأَنْــفِ سَــادرٍ ... كَثيْرِ الأَذَى يَهْوَى العِنــادَ ويَفْخَــرُ

وضَعْتَ لهُ حَدًّا، وقُلْتَ لَــهُ: اتَّئِــدْ ... فإِنِّيْ الشَّجَا في حَلْــقِ مَــنْ يَتَعَنْتَــرُ

وكَمْ ظَالِمٍ أَوْدَعْتَهُ الـــسِّجْنَ بُرْهَـــةً ... لِيَشْعُرَ بالتَّثْرِيْـــبِ إِنْ كَـــانَ يَـــشْعُرُ

وقَلَّمْتَ أَظْفَـــارَ الجَبَـــابِرَةِ الأُلَـــى ... على ضُعَفَاءِ النَّاسِ دَهْـــرًا تَجَبَّـــرُوا

وذِيْ لَسَنٍ أَلْقَمْتَـــهُ حَجَـــرًا، وَقَـــدْ ... تَعَـــوَّدَ أَنْ يَـــأْتِيْ كَرَعْـــدٍ يُزَمْجِـــرُ

وثَكْلَى جَرِيْحٍ كُنْتَ- حَقًّا- طَبِيْبَها ... تُعِيْدُ لهـــا حَقًّـــا وتَأْسُـــوْ وتَجْبُـــرُ

وحَرَّرْتَها مِنْ عُصْبَةِ النَّهْـــبِ والأَذَى ... فَفَاءَتْ إلى الرَّحمنِ تَـــدْعُوْ وتَجْـــأَرُ

* * *

تَنَاذَرَكَ الأَقْـــزَامُ يَوْمًـــا ومـــا دَرَوا ... بأَنَّـــكَ فِـــيْهِمْ كَـــالقَوارِعِ مُنْـــذِرُ

وحاكُوا نَسِيْجًا مِنْ خَيَالاتِ مَـــاكِرٍ ... وباءَ بِذُلِّ النَّفْسِ مَنْ بَـــاتَ يَمْكُـــرُ

تَحَمَّلْتَ بَغْيَ الأَقْـــرَبِيْنَ وظُلْمَهُـــمْ ... ووَجْهُكَ في كُلِّ الغَيَاهِـــبِ مُقْمِـــرُ

"وظُلْمُ ذَوِيْ القُرْبَى أَشَدُّ مَـــضَاضَةً" ... وأَنْكَى جِراحًا مِنْ شَبَا السَّيْفِ يَجْزُرُ

وأَزْعُمُ أَنَّ الـــرَّهْطَ عَـــادُوا أَحِبَّـــةً ... بُعَيْدَ العَدَاءِ الْمُـــرِّ ثَـــابُوا وأَعْـــذَرُوا

وكُنْتَ كَرِيْمَ النَّفْسِ شَهْمًا مُسامِحًا ... وهُمْ- رُغْمَ ما في الأَمْرِ- أَهْلٌ ومَعْشَرُ

* * *

سيُنْصِفُكَ التَّارِيْخُ إِنْ عَـــزَّ مُنْـــصِفٌ ... ويَذْكُرُكَ الخصْمَان إنْ ضَجَّ مَحْـــضَرُ

تُزِيْلُ العَشَى عَنْهُمْ بِعَدْلٍ وحِكْمَـــةٍ ... وحُكْمُكَ- كالقِسْطَاسِ- سَهْلٌ مُيَسَّرُ

ويُنْصِفُكَ الأَيْتَامُ تَحْمِـــيْ حُقُـــوْقَهُمْ ... إذا قَامَ بَاغِيْ الـــزُّوْرِ يَلْغُـــوْ ويَفْجُـــرُ

كَأَنِّيْ أَرَاهُمْ سَاعَةَ البَـــيْنِ خُـــشَّعًا ... وأَعْيُنُهُمْ بالـــدَّمْعِ تَهْمِـــيْ وتُمْطِـــرُ

وَيَدْعُوْنَ بالتَّوْفِيْقِ والــيُمْنِ والرِّضَــا وحُبُّكَ في الأَحْشَاءِ يَنْمُــوْ ويَكْبُــرُ
هَنِيْئًا لَكَ الحُـــبُّ الكَبِيْرُ الذي بــَدَا جَلِيًّا ، مِنَ الأَلْمَــاسِ أَغْــلَى وأَنْــدَرُ



صرح على صدر السماء ..!

سَلامٌ عَلَيْكُمْ مِثْلَمـــا فَـــاحَ عَنْبَـــرُ
وكالدِّيْمَةِ الوَطْفَاءِ تَـــدْنُوْ فتُمْطِـــرُ

وكالحُرَّةِ الحَسْنَاءِ تَقْنِـــيْ حَيَاءَهـــا
وكالرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ تَـــصْفُوْ وتُعْطِـــرُ

وكالبَسْمَةِ البَيْضَاءِ مِنْ ثَغْرِ عَاشِـــقٍ
وكالوَرْدَةِ العَذْرَاءِ بالطِّيْبِ تَقْطُـــرُ

وكالعَسْجَدِ المَسْبُوْكِ في كَفِّ مُنْفِقٍ
وكالحُبِّ في الإِسْلامِ يَنْمُوْ ويَكبُـــرُ

* * *

حَلَلْنَا ضُيُوْفًا بَـــيْنَ أَهْـــلٍ أَعِـــزَّةٍ
قَرَوْنَا سُلافَ الشَّهْدِ .. للهِ ما قَرَوْا

عَلَيْهِمْ مِنَ الإِسْلامِ والنُّبْلِ والتُّقَـــى
دُرُوْعٌ لها وَشْـــيٌ وسَـــرْدٌ مُقَـــدَّرُ

إذا أُوْرِدَ الذِّكْرُ الجَمِيْلُ تَـــوَارَدَتْ
شَمَائِلُهُمْ ، والشَّيْءُ بالشَّيْءِ يُذكَرُ

* * *

بِلاديْ على أَكْتَافِها اليُمْنُ راسِـــخٌ
لها الحَقُّ أَنْ أضْحَتْ عَرُوْسًا تَبَخْتَرُ

على سَطْحِها أَرْتَاحُ للنَّجْمِ والدُّجَى
وتَنْـــزَاحُ أَشْبَاحُ الهُمُوْمِ وأَسْـــمُرُ

وتَغْمُرُنِيْ مِنْ لُطْفِهَـــا واحْتِفَائِهـــا
بِفَيْضٍ مِنَ التَّحْنَانِ يَزْكُـــوْ فيَعْمُـــرُ

وَيُطْرِبُنِيْ مِنْ رَوْضِهَا صَوْتُ سَاجِعٍ ... يُلِيْنُ الفُؤَادَ الصَّلْدَ إِنْ كانَ يَـشْعُرُ
بتَرْنِيْمَةٍ لَيْـسَتْ بِأَوْتَـارِ مُنْكَـرٍ ... ولا مِنْ مَزَامِيْـرِ ولا ثَـمَّ مِزْهَـرُ

* * *

وفي نَدْوَةٍ صُغْرَى سَـعِدْنا بفِتْيَـةٍ ... لَهُمْ بَيْنَ أَضْـلاعِ الْمُحِبِّـيْنَ مِنبَـرُ
وفَاضَتْ يَنابِيْعُ البَيَـانِ وضَـوَّعَتْ ... نُسَيْمَاتُ وُدٍّ مِنْ شَذا المِسْك أَذْفَـرُ
يُعِيْدُوْنَ مَجْدًا ناصِعًا مِـنْ مـآثِرٍ ... تُذَكِّرُنا التَّـارِيْخَ غَـضًّا فَنَفْخَـرُ
وما ذاكَ تَـارِيْخٌ ولكِـنْ لآلِـئٌ ... على البِيْدِ تَطْوِيْ الأَرْضَ واللَّيْلُ مُغْدِرُ
أُسُوْدٌ لَهُمْ في كُـلِّ أَرْضٍ رِوَايَـةٌ ... تُجَـذِّرُ مَبْنَاهَـا مَعَـدٌّ وحِمْيَـرُ
مَـصَابِيْحُ إِيْمَـانٍ مَتِـيْنٍ مُـؤَطَّرٍ ... تَسَامَتْ بِهِ الأَهْدَافُ وانْدَاسَ عُنْصُرُ
وقَدْ هِمْتُ بالأَفْذَاذِ مِنْ أُمَّتِيْ الـتي ... أَصَاخَتْ لها الآفَاقُ تَدْعُوْ وتَجْـأَرُ
أَبِيْتُ على سَفْحِ القَرَاطِيْسِ نَـاهِلاً ... مِنَ المَنْبَعِ الرَّقْرَاقِ أَرْوَى وأَصْـدُرُ
يُسَامِرُنِيْ بَرْدُ التَّبَـارِيْحِ والنَّـدَى ... وسُهْدِيْ وحُلْمِيْ والكِتَابُ المُطَهَّرُ
وتَنْقُلُنِيْ صَوْبَ الـصَّفَايَا مَـآذِنٌ ... يُفَتِّقُ آذانَ الـوَرَى : اللهُ أَكْبَـرُ!
ويُرْوِيْ عِطَاشِيْ يَوْمَ حَشْرِيْ وغُلَّتِيْ ... مَعَ المُصْطَفَى..يارَبّ..يارَبّ.. كَوْثَرُ

* * *

يُحَرِّكُ فِيَّ الشِّعْرَ، يا مَجْمَعَ التُّقَى، ... شُمُوْخُ الأَمَانِيْ والـسُّمُوُّ المُـوَقَّرُ
وصَرْحٌ على صَدْرِ السَّمَاءِ انْبِسَاطُهُ ... يُعَانِقُهُ فيهـا الـسَّحَابُ المُـسَخَّرُ

عَلَيْهِ مَدَى الأَيَّـــامِ تَـــاجٌ مُرَصَّـــعٌ وأَنْمَاطُهُ مِنْ نَسْجٍ ما حَاكَ عَبْقَــرُ
مَصَابِيْحُهُ تَحْكِيْ الدَّرَارِيَّ فِي الدُّجَى وأَنْوَارُهُ فَــوْقَ المَــسَافَاتِ تَبْهَــرُ
سَلامٌ عَلَيْكُمْ كُلَّمَا حَـــجَّ مُـــسْلِمٌ وصَلَّى، وما صَامَ العِبَادُ وأَفْطَــرُوا

معهد الخَشْعَة

في مَعْهَد الخَشْعَة المَرْحُومِ أَسْرَارُ   لِيْ في زَواياهُ أَصْدَاءٌ وتذْكَارُ

كَتَبْتُ أَوَّلَ حَرْف فَوْقَ تُرْبَتِه   والكَفُّ غَضٌّ ولا في الذِّهْنِ أَفْكَارُ

وكانَ يَمْشِيْ حَثِيْثاً للعُلَى عَجِلاً   فاغْتَالَهُ الدَّهْرُ إنَّ الدَّهْرَ غَدَّارُ

لو كانَ بُنْيَانُهُ للحَقِّ ما هُدِمَتْ   أَرْكَانُهُ كَيْفَ أَنَّ الحَقَّ يَنْهَارُ

* * *   * * *

هناكَ في مَوْكِبِ الأَطْفَالِ ما بَرِحَتْ   في القَلْبِ مِنْ سِرِّه نَارٌ وأَنْوَارُ

فالنُّوْرُ كانَ بما حَصَّلْتُ في صِغَرِي   مِنَ التَّعَلُّمِ ما للفَضْلِ إنْكَارُ

والنَّارُ كانتْ بما قاسَيْتُ مِنْ عُقَد   في مَعْهَد فيه أَشْرَارٌ و أَخْيَارُ

كُنْتُ المُقدَّمَ تَمْوِيْهاً وتَغْطِيَةً   وكانَ لِيْ مِنْ سِمَات القَوْمِ أَنْصَارُ

قالُوا تَصَدَّرْ مِنَ التَّدْرِيْسِ مَرْتَبَةً   وكانَ ظَنِّي بِأَنَّ القَوْمَ أَبْرَارُ

وكُنْتُ أَعْمَلُ مثْلَ الآخــرينَ ومــا قَصَّرْتُ يَوْماً وللأَتْعَــابِ صَــبَّارُ
وقد جَنَى كُلُّ فَرْدٍ غَرْسَــهُ جَــذلاً أَمَّا أنا فجَنَــائي حَــازَهُ الفَــارُ
كُلُّ المُحيْطِ حَوَى قَوْمــاً صَــيَارِفَةً آمالُهُمْ في الدُّنَى قِرْشٌ و دِيْنَــارُ
فالأَغنياءُ لَــدَيْهِمْ مــا لَهُــمْ مَثَــلٌ في الحِفْظِ والفَهْمِ فابْنُ البَطِّ بَحَّارُ
أمَّــا المَــشَائخُ فالــدُّنيا مُكَلِّلَــةٌ تِيْجَانَهُمْ "هيْه"[١] فابْنُ الشَّيْخِ أَمَّارُ
أمَّــا الفَقيْــرُ فَدَعْــهُ لا تُوَظِّفُــهُ إلاّ خدَاعاً لَهُ إنْ أَنْــتَ مَكَّــارُ
وفي التَّفاصِــيْلِ لَــوْ فَــصَّلْتُها أَلَــمٌ وسامَحَ اللهُ مَنْ بَارُوا ومَنْ خَارُوا
لا أُنْكِرُ فَضْلَ مَنْ رَدَّدْتُ مِــنْ فَمِــهِ آياً منَ الذِّكْرِ فالغَمْطُ هُوَ العَــارُ[٢]
فلَسْتُ أَحْملُ إلا الحُــبَّ مُبْتَهجــاً بِهِ فما لِيْ سِوَى الأَحْبَابِ سُــمَّارُ
هذيْ خَواطِرُ ذِكْرَى في الحَشَا عَبَرَتْ وليسَ لِيْ مِنْ وَرَاءِ النَّظْمِ أَوْطَــارُ
في لَيْلَةٍ غــَادَرَ النــَّوْمُ العُــيُونَ وقدْ طافَــتْ بفِكْــريَ أَخْــبَارٌ وآثَارُ

---

[١] "هيه" هكذا في أصل المخطوط الوحيد الذي عثرتُ عليه لهذه القصيدة. ولعل الكلمة هنا حكاية صوت يستعمل في اللهجة تمجيدًا لأبناء الشيوخ، المتفوّقين بالضرورة! بينما "هيه" في الفصحى كلمة تقال للاستزادة. وهــذا المعــنى الأخير وارد هاهنا أيضًا.

[٢] لا بُدَّ في البيت لكي يستقيم وزنه من إشباع ضَمّة الراء في "أنكرُ"، وضَمّة الطاء في "الغمطُ"، وكان يمكن أن يكون:

لا أُنْكِرَنْ فَضْلَ مَنْ رَدَّدْتُ مِنْ فَمِهِ آياً مِنَ الذِّكْرِ فالنُّكْرَانُ بِيْ عَارُ

اللهُ أكْبَر !

(في رثاء الشيخ محمّد بن أحمد الحَكَمِيّ، شيخ قبيلة آل بالحَكَم، رحمه الله)

اللهُ أَكْبَرُ! إنَّ المَوْتَ جَبَّارُ ... إنْ صَالَ صَوْلَتَهُ لم يَبْقَ دَيَّارُ

يَهْوَى هُواةَ العُلا مِنْ كُلِّ ذيْ شَرَفٍ ... يَأْتِيْ لأَكْرَمِ بَيْتٍ ثُمَّ يَخْتَارُ

آمَنْتُ باللهِ، كَمْ للهِ مِنْ حِكَمٍ ... في خَلْقِه! كُلُّ هذا الكَوْنِ أَسْرَارُ

ولا اعتراضَ على ما شَاءَ بارِؤُنا ... فما قَضَى عِنْدَهُ وَزْنٌ ومقْدَارُ

يا مَوْتُ أَزْهَقْتَ نَفْسًا طالما سَهِرَتْ ... دُعاؤُها في الدُّجَى شَفْعٌ وأَوْتَارُ

أَيُّ الشَّمَائِلِ نَبْكِيْها وقدْ طُوِيَتْ ... صَحِيْفَةٌ زانَها مَجْدٌ وأَنْوَارُ

بَدْرٌ هَوَى مِنْ عُلُوٍّ شَاهِقٍ فَثَوَى ... في حُفْرَةٍ كُلُّها تُرْبٌ وأَحْجَارُ

تَصَارَعَتْ لَهْجَةُ النَّاعِيْ يُؤَبِّنُهُ ... وهاتِفٌ قاصِمٌ للظَّهْرِ جَوَّارُ

وَقَفْتُ أَسْتَذْكِرُ الماضِيْ ورَوْعَتَهُ ... والشَّيْخُ يَكْسُوْهُ إِجْلالٌ وإِكْبَارُ

غَضَنْفَرٌ باسِلٌ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... على الأَعَاديْ غَداةَ الرَّوْعِ كَرَّارُ

حياتُهُ جُلُّها حَرْبٌ وتَضْحِيَةٌ ... حَمَى حِمَاهُ وفُلْكُ الحَرْبِ دَوَّارُ

في عُمْرِهِ المَوْجُ والإعصارُ مُحْتَدِمٌ   قادَ السَّفِيْنَةَ صَوْبَ البَرِّ بَحَّارُ

رُبَّانُها مَاهِرٌ في الغَوْصِ، يَحْفِزُهُ   رَأْيٌ سَدِيْدٌ إذا ما هَبَّ إعْصَارُ

يَجْلُوْ مَوازِينَهُ في كُلِّ مُعْضِلَةٍ   ما غَضَّ مِنْ نَهْجِهِ عُسْرٌ وإيْسَارُ

يَرَى الأُمُوْرَ بِعَيْنِ الفِكْرِ بارِزَةً   نُوْرُ البَصِيْرَةِ في عَيْنَيْهِ مِنْظَارُ

عَقْلٌ وفِكْرٌ وتَدْبِيْرٌ ومَقْدِرَةٌ   عَزْمٌ وحَزْمٌ وتَصْمِيْمٌ وإصْرَارُ

إنْ جَاءَهُ ماكِرٌ أَخْزَاهُ في عَجَلٍ   في كُلِّ حَادِثَةٍ ما فَازَ مَكَّارُ

وإنْ تَجَاوَزَ مَغْرُوْرٌ حَوَاجِزَهُ   أَبَى وأعلَنَ لا يَسْتَأْسِدُ الفَارُ

وإنْ رَأَى فارِسًا في القَوْمِ أَعْظَمَهُ   أو مُخْلِصًا نالَهُ بَذْلٌ وإيْثَارُ

كانَ الرُّجُوْلَةَ في أَسْمَى مراتِبِها   دَمُ الشُّجاعَةِ في الشِّرْيانِ فَوَّارُ

ما كانَ مُنْهَزِمًا يَوْمًا ولا وَقَرَتْ   في قَلْبِهِ رِعْدَةٌ إنْ هَاجَ هَدَّارُ

كَلاَّ ولا عَثَرَتْ في الدَّرْبِ خُطْوَتُهُ   ولا وَهَى عَزْمُهُ إنْ خَانَ غَدَّارُ

هذِيْ سَجَايَاهُ جَلَّ اللهُ آخِذُهُ   مَضَى ويَبْقَى لَهُ ذِكْرٌ وآثَارُ

فاسْأَلْ بِهِ (الرَّيْثَ) هَلْ خَارَتْ عَزَائِمُهُ   إذا تَأَخَّرَ عَنْ مَرْمَاهُ خَوَّارُ

أَيَّامَ كانَ المَقَامُ المُرُّ مُعْجِزَةً   والجُوْعُ والبَرْدُ والبَارُوْدُ والنَّارُ

لَيْثٌ لَدَى الحَرْبِ قَدْ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ   واللَّيْثُ (للقَهَرِ)[١] المَوْعُوْدِ قَهَّارُ

واسْأَلْ حُدُوْدَ بِلادِيْ عَنْ مَواقِفِهِ   هَلْ ضَاعَ في عَهْدِهِ عَنْ رَبْعِهِ ثَارُ

---

[١] القَهَر: المكان المعروف في بلاد (الرَّيْث). والإشارات إلى أيام مشكلة الرَّيْث، المعروفة في التاريخ السعودي.

يُقضُّ مضْجَعَ مَنْ داسُــوا لَــهُ شَــرَكًا ... كأنَّـــهُ في ظُهُـــوْرِ القَـــوْمِ منْـــشَارُ

واسْأَلْ مَشَايِخَ ذاكَ القُطْـــرِ أَجْمَعَهُـــمْ ... إنْ زَمْجَرَتْ صَيْحَةٌ هَلْ كَانْ يَحْتَارُ

وهَلْ يَضُمُّ جَنَاحَ الـــذُّلِّ مِـــنْ فَـــرَقٍ ... أَمْ هَـــلْ يُثَبِّطُـــهُ عَـــذْلٌ وإنْـــذَارُ

قَضَى وقدْ خَلَّـــفَ الأَشْـــبَالَ ســـاهِمَةً ... عِنْدَ الـــوَدَاعِ وتَـــصْدِيْقٌ وإنْكَـــارُ

قَدْ كُمَّ صَوْتٌ رَهِيْـــبٌ عِنْـــدَ غَـــضْبَتِه ... كَأَنَّ أَصْـــدَاءَهُ في الأَرْضِ إعْـــصَارُ

وضُمَّ في اللَّحْدِ سَـــيْفٌ صَـــارِمٌ ذَرِبٌ ... وخَنْجَرٌ في شِغَافِ الخَـــصْمِ بَتَّـــارُ

يا قَبْرُ، أَبْكَيْـــتَ عَيْنًـــا عَـــزَّ مَـــدْمَعُهَا ... سَقَى ثَرَاكَ مِنَ الـــشُّؤْبُوْبِ مِـــدْرَارُ

القَلْبُ يَرْجُـــفُ والأَبْـــصَارُ شَاخِـــصَةٌ ... جَلَّ الْمُصَابُ، خَلَتْ مِنْ شَيْخِهَا الدَّارُ

فالصَّبْرُ يا مَنْ كَوَتْكُمْ نَـــــارُ فُرْقَتِـــــهِ ... وادْعُوا لَهُ بالرِّضَـــى فَـــاللهُ غَفَّـــارُ!

☝ ☝ ☝

كابوس

حُلُـــمٌ ولَيْـــلٌ مُغْـــدِرُ   مافيهِ نَجْـــمٌ مُزْهِـــرُ

رَأَيْتُ أَنِّـــيْ جـــالِسٌ   مُنْفَـــــرِداً أُفَكِّـــــرُ

مُكْتَئِبـــاً مِـــنْ مَنْظَـــرٍ   لا عـــادَ ذاكَ المَنْظَـــرُ

رأيتُ أَرْضِيْ تَشْـــتَكِيْ   إِلَـــيَّ حُزْنـــاً يَقْهَـــرُ

رأيتُهـــــا شـــــاحِبَةً   "صـــاحِيَةً"[1] تكَـــدّرُ

مُجْدِبَـــــةً هامِـــــدَةً   يَعْلُوْ رُباهـــا الغَبَـــرُ

عابِـــــسَةً حَزِيْنَـــــةً   خاطِرُهـــا مُنْكَـــسِرُ

عَلِيْلَـــــةً حَـــــسِيْرَةً   وصَدْرُها مُنْفَـــــطِرُ

جِبَالُهـــــا مُعْتِمَـــــةٌ   وسَـــــهْلُهَا مُنْـــدَثِرُ

أَشْـــجَارُها ذابِلَـــــةٌ   ضَـــامِرةٌ لا تُثْـــمِرُ

---

[1] صاحية: جوّها صَحْوٌ.

أَعْـــشَابُها مَحْرُوْقَـــةٌ   جَفَّ البِسَاطُ الأَخْضَرُ

شَابَتْ نواصِيْها وغَـــا   بَتْ عَنْ ثَراها المَطَرُ[١]

فقُلْتُ يا أَرْضَ الغَـــوا   ديْ والنَّدَى ما الخَبَرُ؟

يا حَسْرَتِيْ ماذا أَرَى؟   اللهُ رَبِّـــيْ أَكْبَــــرُ!

ماذا دَهَى الوِدْيَـــانَ لا   تَنْسابُ فيها الأَنْهُرُ؟

أَيْنَ الـــسَّماءُ في زَمـــا   ن خَيْرُهـــا يَنْهَمِـــرُ؟

أَيْنَ الرُّعُـــوْدُ والبُـــرُوْ   قُ والسَّحابُ المُمْطِرُ؟

أَيْنَ اللَّيالِيْ السَّارِيَـــــا   تُ والسُّيُوْلُ الحُشَّرُ؟

أَيْنَ صَبَيْبُ الماءِ والـــ   ـــبَيْتُ سَرَى يُقَطِّرُ؟

وغَـــــرَقٌ وصَـــــرَدٌ   ورَجْفَـــةٌ وسَـــــهَرُ

نَصْحُوا على عَمَايَـــةٍ   يَضِيْعُ فيها النَّظَرُ[٢]

وتَنْجَلِي عَنْ "رَهْـــوَةٍ"   قَدْ عَنْقَدَتْها الشَّجَرُ[٣]

---

[١] أنّث الشاعر الفعل "غابت" هاهنا لأن كلمة "المطر" تستعمل مؤنثة في اللهجة. على حين أن الكلمة في الفصحى مذكّرة، وتؤنث على "مَطَرَة".

[٢] عَماية: ضَباب.

[٣] الرَّهْوَة: الطَلّ والنَّدَى. وفي إحدى النسخ المطبوعة: "قد عانقتها".

والأَرْضُ رَوْضٌ ناضِرٌ   تَفُوْحُ مِنْهُ الأَزْهُرُ

والطَّيْرُ يَشْدُوْ صَادِحاً   غَنَّى بصَوْتٍ يَسْحَرُ[1]

والعَيْشُ في هَنَاءَةٍ   ورَاحَةٍ لا تُحْصَرُ

الكُلُّ رُغْمَ الفَقْرِ مُرْ   تَاحٌ دَوَاماً يَشْكُرُ

كَمْ أُسْرةٍ مُحْتَاجَةٍ   لكنَّها لا تُخْبِرُ

الأُمُّ في سَعَادةٍ   على الرَّزَايَا تَصْبِرُ

فَلاَّحَةٌ تَحْرُثُ أحْـ   ـيانًا وحِيْناً "تُسْبِرُ"[2]

الفَقْرُ لا يَهُمُّها   قُوْتٌ وثَوْبٌ يَسْتُرُ

لم تَكْتَرِثْ مِمّا بِهِ   يأتِيْ الزَّمَانُ الأَغْبَرُ

فعَطْفُها وصَبْرُها   وحُبُّها يَنْتَصِرُ

أولادُها مِنْ حَوْلِها   كالعَيْنِ فيها البَصَرُ

تَقْسِمُ مِنْ لُقْمَتِهَا   ليَأْكُلُوا ويَكْبُرُوا

---

[1] في إحدى النسخ المطبوعة: "والطير يشدو كالمزامير بصوتٍ يسحرُ".

[2] تُسْبِر: تقوم بأعباء البيت.

تَجُـــوْعُ حتى يَشْـــبَعُوا وهُمْ صِغَـــارٌ ما دَرَوْا[١]

تَحُظُّهُم مَهْمَـــا تَـــــوا لَى البُؤْسُ أَلاّ يَـــصْغُروا[٢]

يَفيْـــضُ عَذْبـــاً صـــافياً مِنْها الحَنـــَانُ الُمْثمِـــرُ

تَـــــدُبُّ فيهـــا نَـــشْوَةٌ جَذْلَى وحُـــبٌّ يَغْمُـــرُ

تُرِيْــــدُ مِـــــنْ أولادهــــا أَنْ يَدْرُسُوا ويَظْفَـــرُوا

وأَصْـــغرُ الأَبْنَـــاءِ يَبْـــــ ـــكِيْ، أَتْعَبَتْهُ "الكَوْثَرُ"!

يَكْتُبُ طُوْلَ اللَّيْـــلِ مِـــنْ تِلْقائـــــه لا يُـــــؤْمَرُ

وكُلَّما يَكْتُـــبُ في الــــ ـــلَّوْحِ تَميْلُ الأَسْـــطُرُ

سِــــراجُهُ مِـــــسْرَجَةٌ ذَابِلَـــــةٌ والقَمَـــــرُ

دَوَاتُـــهُ مِـــنْ "نُـــوْرَةٍ" واللَّوْحُ فيهِ "مَعْشَـــرُ"[٣]

---

[١] في حركة الرويّ في قافية البيت ما يسميه دارسو القوافي: عيب (الإصراف)، وهو الانتقال في حركة الرويّ (الـــراء، هنا) من الضمّ إلى الفتح، في "دَرَوا". إلاّ أنه لا يُعدُّ عيبًا لديهم كالإقواء، وهو الانتقال بين الضم والكسر.

[٢] يصغروا: هنا من الصَّغار، أي الذُّلّ.

[٣] "المَعْشَر": في لهجة فَيْفاء، الدرس الواجب حفظه على التلميذ. وأصله: أن التلميذ يكلَّف بحفظ القرآن الكريم مَعْشَرَ مَعْشَرَ، أي عَشْرَ آياتٍ عَشْرَ آيات، أو عَشْرَةَ أسطرٍ عَشْرَةَ أسطر؛ كلّما حَفِظ ذلك، كان "مَعْشَرُهُ" حِفْظَ مثله ممّـــا يليه. وقد جاء في (ابن منظور، لسان العرب، (عشر)): "جاء القومُ عُشَارَ عُشَارَ، ومَعْشَرَ مَعْشَرَ. و عُشار، ومَعْشَر، أي: عشَرَةً عشَرَةً، كما تقولُ: أُحادَ أُحادَ، وثُناءَ ثُناءَ، ومَثْنَى مَثْنَى."

وكـانَ مِـنْ أَوْلادِهـا ... مُـدَرَّبٌ مُـشَمِّرُ

كُـلَّ صَـبَاحٍ جـاهِزٌ ... "يَمْخَنُ" أو "يُحَفِّـرُ"[١]

وواحِـدٌ مُنْهَمِـكٌ ... "يَفْـرُسُ" أو "يُزَبِّـرُ"[٢]

ومَـرَّةً يَحْـرُثُ لـكِنْ ... ثَوْرُهُ ما "يُيْسِرُ"[٣]

حتى غَـدَا مُعَـقَّـداً ... خاطِـرُهُ مكَـدَّرُ

عُيُونُـهُ مُحْمَـرَّةٌ ... يَقْدَحُ مِنْها الشَّرَرُ[٤]

يُعَـزِّرُ الثَّـوْرَ كمـا ... يُحَدُّ شَـخْصٌ يَسْكَرُ

---

[١] يَمْخَن: ينتزع الزرع الصغير الزائد والعشب المحيط بالزَّرْع؛ لتهيئة التُّربة والحيلولة دون تأثير النباتات علـى الـزَّرْع، وذلك في فصل الصَّيْف. وللكلمة أصلها في الفصحى؛ فالمَخْنُ: النَّزْعُ من البئر، ومَخَنَ الأَديمَ والسَّوْطَ: قَشَره ودَلَكه ومَرَنَه، وطريق مُمَخَّنٌ: وُطِّئَ حتى سَهُلَ. (انظر: ابن منظور، (مخن)). ويُحَفِّر: بلهجة الجبل الأسفل من فَيْفاء، بمعنى يَفرُس على الكِناب– وهو نوع من الزَّرع– فَرْسًا خفيفًا، في فصل الرَّبيع.

[٢] يَفْرُس: يُعْمِلُ مِعْوَلَه في الأرض. والفُرْسَة والمَفْرِس: المِعْوَل. وهي آلة حديدية مستطيلة مدببة الرأس، بهراوة قصيرة. والمَفْرِس كلمة مستعملة كذلك في اليمن. وفي الفصحى: فَرَس الشيءَ فَرْساً: فرّقه. يُزَبِّر: يُعِدّ الزُّبُر، جمع زَبِيْـر، وهو: ارتفاع ترابيّ ممتدّ، تحاط به المدرَّجات الزراعية من خارجها، ليكون عَقْماً يحفظ عليها ماءها.

[٣] يُيْسِرُ: يسير بسهولة ويُسْر.

[٤] "عيونه": جَرْيًا على الاستعمال الدارج، والصواب: عيناه.

و"السَّحْبُ" سَحْبٌ مُدْغَمْ   مُعَطَّـــفٌ مُتَغَّـــرُ[١]
و"قَتَـــبٌ" مُعَـــوَّجٌ   و" لأَمٌ" مُكَـــسَّرُ[٢]
و"لِلْجنَـــابِ" قـــصَّةٌ   مُبَعْثَـــرٌ مُبَتَّـــرُ[٣]
والثَّوْرُ يُمْـسِيْ جَائِعــاً   دُوْنَ عَشَاءِ "يُوْسَـرُ"[٤]
وراحَ يَوْمـــاً غاضِــباً   يَعُوْذُ مِنْهُ الحَجَــرُ!
راحَ مَـــسَاءً مُتْعَبـــاً   يَصِيْحُ أَيْـــنَ المنبَــرُ؟[٥]
أَيْـــنَ العَــشَاءُ؟ عَجِّلُــوا   يـــا نَـــاسُ لا يُـــؤَخَّرُ!
وحَوْلَـــهُ مِسْــكِـيْنَـــةٌ   تَطْحَـــنُ أو تُخَمِّـــرُ

---

[١] السَّحْب: حديدة المحراث، التي تَحْرُثُ الأرض. مُدْغَم: صار قصيرًا، ولم تَعُد شَباتُه حادَّة، أي السَّحْب. مُعَطَّـــف: مُثَنَّى. مُتَغَّر: مُثَلَّم.

[٢] القَتَب، واللأَم: أسماء لأجزاء في آلة المحراث الخشبيّة. هذا، وقد دخل تفعيلات البيت (الخَبْل)، وهو اجتماع (الخــبن والطيّ)، واجتماعهما ثقيل. ووقع هذا في مواضع أخرى من القصيدة.

[٣] الجِناب: الحِبال على جانبي الثور التي تشدّه إلى المِحراث.

[٤] يُوْسَر: يُرْبَط.

[٥] المنبر: سريرٌ صغير من الخَشَب (قعادة). وتبدو الكلمة مستخدمة في اليمن كذلك بمعنى السرير أو الكرسي، ومعروفة أغنية "يحيى عُمر قال"، لمحمّد مرشد ناجي، وفيها البيتان:

فقلـــت قصديْ أشــــاهدْ ذلكَ المَنْـــبَرْ   إنْ كان هذا مَلِكْ فالمملكةْ للـــهْ
... وهو كما البدر يِتاكيْ فوق ذا المَنْـــبَرْ   واربعْ وصايفْ لأجلهْ قايمـــةْ قُبْلَهْ

فِي سُـــرْعَةٍ مُـــذْهِلــَةٍ   تَعْجُـــنُ أو "تُجَمِّـــرُ"[١]
وأَحْـــضَرَتْ عَـــشَاءَهَا   لِنَـــائِمٍ "يُنَخِّـــرُ"[٢]
وفِي الغَـــدِ يـــَوْمٌ جَدِيْـــ   ـــدٌ حَظُّـــهُ مُيَسَّـــرُ[٣]
"نَـــشِيْرَةٌ" أو "عانَـــةٌ"   مِنْ "لابَةٍ" ما قَـــصَّرُوا[٤]
"هَزامِـــلٌ" طُـــوْلَ النَّهـــا   رِ صَـــوْتُها يُزَمْجِـــرُ[٥]
وفِي المَـــسَاءِ مَغْـــرَدٌ   أَلْفَاظُـــــهُ تُعَبِّـــــرُ
وصَوْتُ "نُبُّوْت" سَـــرَى   وحَـــاذِقٌ "يُعَـــشِّرُ"[٦]
وصَـــائِحٌ مُجَلْجِـــــلٌ   تَقُـــوْلُ قَـــامَ المَحْـــشَرُ
ويُرْسِـــلُ اللهُ سَـــحا   بــًا جائِـــدًا يَنْهَمِـــرُ
وعندمـــا يَبْـــتَـــدِئُ الـــ   ـــبَذْرُ يُشَـــدُّ المِئْـــزَرُ

---

[١] تُجَمِّر: تُعدُّ في الإثفاء نوعًا من الخُبْز، تُسَمَّى واحدته "جمّارية".

[٢] يُنَخّر: يَغُطُّ في نومه، وفي لهجات أخرى:"يُشَخِّر".

[٣] كسرة الدال في كلمة "الغد" مشبعة.

[٤] العانة: جماعة من الناس تتعاون على عملٍ ما تطوّعًا، وفي وقت واحد. وإذا انتَدَب الناسُ للقيام بالعمل مساءً، مُيّزوا باسم "نشيرة"؛ لأنهم "ينشرون"– أي يذهبون– إلى عملهم مساءً. واللابة: الجماعة.

[٥] هزامل: جمع هِزْمَيْلَة، والهَزْمَلة: الأزملة والهزج. جاء في (ابن منظور، لسان العرب، (زمل)): "أَزْمَلةُ القِسِيِّ: رَنِينُها؛ قال:

وللقِسِيِّ أَهازِيجٌ وأَزْمَلةٌ ، حِسُّ الجَنوبِ تَسوقُ الماءَ والبَرَدا."

[٦] يُعَشِّر: يُطْلق الرصاص، وربما كانت الكلمة في الأصل مأخوذة من إطلاق الرصاص عَشْرًا عَشْرًا.

يُشَمِّرُ الــزُّرَّاعُ في الـــ بِـــلادِ كُـــلٌّ يَبْـــذُرُ
ما ثَمَّ أَحْلَى مِـــنْ جَمَـــا لِ الـــزَّرْعِ لَمَّـــا يَكْبُـــرُ
وفي الخَرِيْـــفِ نَتَمَنَّـــى أَنْ تَطُـــوْلَ الأَشْـــهُرُ[١]
نَنْجَعُ للحَقْوِ وفي الـــ ـــحَقْوِ يَطِيْبُ السَّمَرُ[٢]
نَلْعَبُ "ساريْ اللَّيْلِ" يَحْـــ ـــلُوْ في العُيُوْنِ السَّهَرُ[٣]
في بَهْجَـــةٍ يـــا حَبَّـــذَا لَيْلُ الخَرِيْـــفِ الْمُقْمِـــرُ
وفي الـــشِّتَاءِ "طَابَـــةٌ" يَضِيْقُ عَنْهـــا البَيْـــدَرُ[٤]
وشَمَّرَتْ في كُلِّ رَيْـــ ـــدٍ غَادَةٌ "تُحَـــدِّرُ"[٥]
والعِيْـــدُ بالأَفْـــرَاحِ أَلْـــ ـــفًى والشَّبَابُ اسْتَبْشَرُوا
يَسْـــتَعْرِضُـــوْنَ في ثِيَـــا بِ العِيْـــدِ كُلٌّ يَفْخَرُ

---

[1] كسرة الفاء في كلمة "الخريفِ" مشبعة.

[٢] الحَقْو: سفوح الجبال وسهولها.

[٣] ساري الليل: من أنواع الألعاب الليليّة المعروفة في تهامة، يكوّن الأطفال فيها فريقين، مهاجمًا ومدافعًا، وللمهـــاجمين مكان محدّد، من بَلَغَه فاز، ومَنْ قُبِضَ دونه، انتهى دوره. وفي فَيْفاء لعبةٌ شبيهة يسمّونها: "سَرَنْ حَجَلَة".

[٤] الطابة: الحَبّ يُجمع في البَيْدَر، بعذوقه، ثم يُؤتى بثور يَجُرّ فوق ذلك الحصاد "مِجمَرًا"، وهو حجر كبير أملس، حتى يتخلّص الحبّ من العقوذ والزَّمَع.

[٥] التحدير: أنْ يُجمع القَصَب في حزَم كبيرة، تسمَّى واحدتُها "حِدْرَة"، ثم تضمّ تلك الحزَم أو "الحِدَر" لتكوّن ما يشبه هَرَمًا من الحِدَر، يسمونه: "مِرْماد"، وجمعه: "مراميد".

لِكُـلِّ بِنْـتٍ "كِرْتَـةٌ"   سَوْدَا وثَوْبٌ أَحْمَـرُ[١]
وتاجُهـا "مِقْلَمَـةٌ"   يُطِلُّ مِنْهـا الـشَّعَرُ[٢]
والحُسْنُ و"الأَلْبَـابُ" في   مَفْرِقِهـا والعَنْبَـرُ[٣]
والكُحْلُ والحِنَّاءُ والـ   ـكَاذِيْ وزِيْنٌ يُبْهِـرُ[٤]
وخَـاتِمٌ مِـنْ فِـضَّةٍ   تَذُوْبُ فِيْـهِ البُنْـصُرُ
وعَـزَبٌ مُـنَظَّمٌ   في مَـشْيِه تَبَخْتُـرُ
"مُـصَنْفُهُ" مُنَيَّـلٌ   و"كُوْتُـهُ" مُـزَرَّرُ[٥]
أو "مِبْـرَدٌ" مُهَـدَّبٌ   و"مِعْـدَلٌ" مُـشَجَّرُ[٦]
مَفْرِقُـهُ مُطَيَّـبٌ   وجِـسْمُهُ مُعَطَّـرُ
والكُـلُّ فـي تَـعَاوُدٍ   مِنْهُمْ تَمُوْجُ "الزُّبُـرُ"[٧]

---

[١] كِرْتَة: ثوب نسائيّ طويل. سودا: سوداء.

[٢] مِقْلَمة: طَرْحَة.

[٣] الألباب: نوعٌ من طيبٍ للنساء، كالخَلُوْق.

[٤] زِيْنٌ: جَمال.

[٥] المُصْنَف: نوع من الأُزُر المخطَّطة. مُنَيَّل: مصبوغ بالنيلة الزرقاء.

[٦] المبرد: نوعٌ آخر من الأُزُر البيضاء، له طَرَفان مهدّبان. والمِعْدَل: رداء يُتّخذ للزِّينة أو للدِّفء، ويسمّونه "اللِّحـاف" أيضًا.

[٧] الزُّبُر: راجع الحاشية السابقة على قافية "يُزَبّر".

وفي المَــــــسَاءِ طَرْبَــــــةٌ   و زَامِــــــــرٌ يُزَمِّــــــــرُ

و"هَصْعَــةٌ" ورَقْــصَــةٌ   وشــاعِــرٌ يُثَــرْثِــرُ[1]

هنا النُّفُــوْسُ الطَّاهِـــــ   ـــرَاتُ والعَفَافُ الأَطْهَرُ

أَيْنَ حَيَاةُ الحُـــبِّ وا لـــ   أَفْرَاحِ؟ مَنْ ذا يُخْبِرُ؟!

♦♦♦

[1] الهَصْعَة: رقصة شعبية.

عَرْعَر[1] والقَدَر!

كانـــتْ ابياتـــاً مِـــنَ الـــشَّعَرِ　　تحتَ أمواجٍ مِـــنَ الغَـــــبَرِ[2]

فَوْقَ سَطْحِ القَفْـــرِ نائمـــــــــةً　　فَوْقَ صَدْرِ الرَّمْـــلِ والكَـــدَرِ

في تُخُـــوْمِ الأرضِ جاثِـــــمَةً　　في عُبُوْسِ اللَّيْلِ والـــضَّجَـــرِ

في لَهِيْبِ الـــصَّيْفِ- مُتَّقِـــداً –　　تَنْفُثُ الأرواحَ مِـــنْ سَـــقَرِ

والجَمـــــادِ القـــرِّ- مُنْعَقِـــداً-　　زَمْهَرِيْـــــرٌ بـــــالغُ الأَثَـــــرِ[3]

جاهَدَتْ و الخَـــوْفُ يَـــسْكُنُها　　وانْبَرَتْ في مَوْعِـــدِ القَـــدَرِ

وإذا الأَهْـــــــــوالُ ذاهِبَـــــــــةٌ　　وإذا الأَرْزَاءُ في خَـــــــــــوَرِ

مَنْ رآها بَعْـــدَ مـــا بَلَغَـــــتْ　　دُرَّةً مِـــــنْ أَنْفَـــسِ الـــدُّرَرِ

لـــم يُصَـــدِّقْ أَنَّهـــا بُنِيَـــتْ　　فَـــوْقَ هامِ الرِّيْـــحِ والعَـــفَرِ

---

[1] عَرْعَر: المدينة المعروفة على الحدود الشمالية من المملكة، حيث قضى الشاعر فيها معظم حياته العمليّة.

[2] سُهّلتْ همزة القَطْع في "أبياتًا" لضرورة الوزن.

[3] الجماد: يقصد في شِدّة البرد. وكان الشاعر قد كتب: "في الجماد"، ثم عَدَّل.

دِيْرَةٌ طابَتْ لِقَاطِنِها ... مِنْ بَنِيْ قَحْطانَ أو مُضَرِ
أَظْهَرَ الوَادِيْ مَفَاتِنَهُ ... تَاهَ بالإِسْكَانِ والجُسُرِ

****** ******

عَرْعَرَ البَيْدَاءَ يا بَلَداً ... أَصْبَحَتْ مِنْ أَنْصَعِ الغُرَرِ
عَرْعَرٌ سَارَتْ على عَجَلٍ ... في ثِيَابِ الدَّلِّ و الخَفَرِ
دِيْرَةٌ جَاشَتْ بِنَهْضَتِها ... زَمْجَرَتْ بالمَدِّ لا الجَزرِ[1]
سُوْقُها فاضَتْ مَوارِدُهُ ... بِنَمِيْرِ الوِرْدِ والصَّدَرِ

****** ******

قادَها شِبْلٌ مِنَ الجَلَوِيْ ... مُسْتَنِيْرُ الرَّأْيِ والبَصَرِ
حاسِمٌ في كُلِّ نائِبَةٍ ... مِثْلُ حَدِّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ
جاءَها واللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ ... فانْتَشَتْ جَذْلَى بِمُنْتَظَرِ

---

[1] لا بُدَّ هنا من تحريك الزاي في "جَزْر"، وإلاّ انتقل الوزن إلى ضَرْبٍ أَبْتَر (فاعلْ)، ولا يجتمع مع الضَّرب المحذوف المخبون (فَعِلُن)– الذي بُنيتْ عليه القصيدة– في نصٍّ واحد.

مِثْلَ أُمٍّ "زَغْــرَدَتْ" فَرَحــاً | بوَلِيْدٍ عَــادَ مِــنْ سَـــــفَرِ
هَلَّلَـــــــتْ واللهُ أَنْقَـــــذَها | منْ حَيــاةِ البُــؤْسِ والخَطَـــرِ
والرِّمــَالُ الحُمْــرُ أَبْــدَلَهــا | جَنَّـــــةً للبَدْوِ والحَــضَـــــرِ

****** | ******

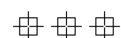
يا عَرُوساً قــد فُتِنْـتُ بهــا | زَهْرَةَ الرَّيْعـَانِ مِنْ عُمُـــــري
أَصْــبَحَتْ عَـــذْرَاءَ ســـاهِرَةً | في لَذيْذِ اللَّهْــــوِ والـــسَّـمَرِ
غـــادةً أَرْخَـــتْ ذوائِبَهـــا | فَوْقَ تَــاجِ الــنَّجْمِ والقَمَـــرِ
حُــــرَّةً غَيْــــدَاءَ غانِيَــــةً | تَزْدَهِــيْ بالحَــاضِرِ النَّــضِـرِ
تَــسْحَبُ الأَذْيَـــالَ رافِلَـــةً | في الأَمَــانِ الوَارِفِ الخَــــضِرِ
سَـــابَقَتْ أَتْرَابَهـــا وسَـــمَتْ | للعُــــلا، للمَجْــــدِ، للظَّفَــرِ
عَطَّـــــرَتْ أَرْدَانَ رَائِـــــدِها | مِنْ عَــبِيْرِ الشِّــيْحِ والزَّهَـــرِ
ضَاعَ مِــنْ أَفْوَافِــــها عَبَــقٌ | مِنْ نَسِيْمِ الرَّوْضِ في السَّـــحَرِ
يَتَغَنَّـــــى و انْتَـــشَى طَرَبـــاً | في رُباهــا صَــادِحُ الــشَّــجَرِ
يُبْــدِعُ الأَلْحــَانَ ساحِــرَةً | مِثْلَ صَوْتٍ سَالَ مِــنْ وَتَـــرِ

****** | ******

كَمْ حَدَانِيْ الــشَّوْقُ مُــسْتَعِراً　　　للرِّيــَاضِ الخُضْــرِ للمَطَـــــرِ
أَرْتَوِيْ مِنْ عَذْبِهــَـــا وكــذا　　　أَجْتَنِـــــيْ مِنْ يانِــعِ الثَّمَــــرِ

****** ******

عَرْعَرُ الجَــرْدَاءُ قد لَبِــسَـــتْ　　　مِنْ بَدِيْـــــعِ الخَـــزِّ والوَبــــَرِ
فاهْتفِيْ شَتَّانَ، يا بَلَــــــــدي،　　　بَيْـــنَ رَأْيِ العَيْـــنِ والخَبَـــــرِ



طرب الجريح

بَدَتْ في شَـمَارِيْخها تَسْجَعُ ... مُطَوَّقَةٌ بالغنَا تَصْدَعُ
علـى فَـنَنِ الـدَّوْحِ فَنَّانَـة ... صَدَى الصَّوْتِ مِنْ صَوْتها أَمْتَعُ
وَقَفْـتُ لتـسجيلِ تَغْرِيْـدها ... وقد طَرِبَ القَلْـبُ والمَـسْمَعُ
وقُلْتُ وقـد هَزَّنِـيْ لَحْنُهـا ... ومـا أَوْدَعَ الخَـالِقُ المُبْـدِعُ:
ألا يا ابْنَةَ الأَيْـكِ يـا مِزْهَـراً ... صَـدَاهُ تَـسِيْلُ لَـهُ الأَدْمُـعُ
حَمَلْت لنا مِنْ ضِيَاءِ الأَسَـى ... شُـمُوْعاً فَتَائِلُهَـا تَلْـذَعُ
تُـذَكِّرُنِيْ بِرَبِيْـعِ الـشَّبَاب ... وقد أَوْحَـشَ الـدَّارُ والأَرْبُـعُ
وتُطْرِبُنِيْ وجِرَاحِـيْ تَـثُـوْرُ ... وشَـوْقِيْ إلى صَبْـوَتِيْ يَنْـزِعُ

غنَاهَا نَزِيْفٌ مِــنَ الــذِّكْرَيَاتِ ... على قَلْــبِ سَــمَّاعِها تَطْبَــعُ
وَصَوْتُ القَمَارِيْ وعَهْدُ الشَّبَابِ ... إذا فاتَــكَ الفَــوْتُ لا يَنْفَــعُ
ومِنْ عَجَبٍ أَنْ يُثِيْرَ الشُّجُــوْنَ ... حَمَامٌ علــى شَــجَنٍ يَــسْجَعُ

* * * * *

ولِيْ قِصَّةٌ فَذَّةٌ مِثْــلُ حُلْــمٍ ... سَــخِيْف ولكنَّــهُ مُفْــزِعُ
نَأَيْتُ وقد رَابَنِيْ مِنْ عَــشِيْرِيْ ... نفَــاقٌ تَــذُوْبُ لَــهُ الأَضْــلُعُ
ووَجْهَانِ وَجْــهٌ أَرَاهُ مَلِيْحــاً ... ووَجْــهٌ بِــه كَلَــفٌ أَسْــفَعُ
خِدَاعُ الشَّيَاطِيْنِ تَحْتَ قِنَــاعٍ ... صَــفِيْقٍ ومِثْلِــيْ بِــه يُخْــدَعُ
فأَرْغَمْتُ قَلْبِيْ وبَــدَّلْتُ حُبِّــيْ ... وقد خَــانَنِيْ القَلْــبُ والمَهْيَــعُ
بمَحْمُوْمَةٍ مِنْ بَنَــاتِ الرِّمَــالِ ... تَبَرْقَــعُ لا حَبَّــذا البُرْقُــعُ
تَخَيَّلْــتُ في قُرْبِهــا بَلْــسَماً ... فَــأَهْلَكَنِيْ سُــمُّها المُنْقَــعُ
يَخُــضُّ النِّطَــاسِــيُّ تِرْيَاقَــهُ ... ولَــسُمٌّ مِــنْ طِبِّــهِ أَسْــرَعُ

* * * * *

أيا دَهْرُ، يا والغاً مِــنْ دَمِــيْ ... مَدَى العُمْرِ، قُلْ لِيْ مَتَى تَشْبَعُ؟!
وأَيْــنَ الوَلِيْجَــةُ في لَيْلَــةٍ ... مُعَرْبِــدَة رِيْحُهَــا زَعْــزَعُ؟
غُدَافِيَّة لــيسَ فيهــا بَــصِيْصٌ ... يَلُــوْحُ ولا نَجْمُهــا يَــسْطَعُ
وُفُــوْدُ الكَوابِيْــسِ تَجْتَاحُــنِيْ ... وفي كَبِدِيْ رُمْحُهَــا مُشْــرَعُ

سِهامٌ مِــنَ الجَمْــرِ مَــشْبُوْبَةٌ تَقُـــدُّ النِّيَـــاطَ ولا تَرْقَـــعُ
تُـــشَرِّحُنِيْ دُوْنَمَـــا رَحْمَـــة ويَنْشَبُ في جَــسَديْ المبْــضَعُ
وأَغْفُوْ على حَشْــرَجَات المُدَىً تَغُـــوْصُ تُمَـــزِّقُ أو تَقْطَـــعُ

* * * * * * * * * *

إلى اللهِ أَشْكُوْ صُرُوْفَ اللَّيَـــاليْ سَكَاكِيْنُها مِنْ دَمِـــيْ تَرْضَـــعُ
إلى مَـــنْ تَـــذلُّ الجبَـــاهُ لَـــهُ ومَنْ يَخْفِــضُ المَــرْءَ أو يَرْفَـــعُ
بِـــهِ أَسْـــتَجِيْرُ ولِيْ رَغْبَـــةٌ إليــه ولِيْ القَــصْدُ والمَطْمَـــعُ
يُغِيْـــثُ بِأَرْضِـــيْ نَبَاتــًا ذَوَى ويُمْرِعُ مِـــنْ فَــضْله البَلْقَـــعُ

* * * * * * * * * *

أيا رَبِّ يـــا غَـــافِرَ الـــسَّيِّئَات إلى ذَاتِـــكَ التَّـــوْبُ والمَرْجِـــعُ
أنا مُسْـــرِفٌ غَارِقٌ في الذُّنُوْبِ ومَنْ جَـــاءَ بَابَـــكَ لا يُمْـــنَعُ

♦♦♦

رثاء

في الأستاذ صالح القبيسي (مدير تعليم البنات بالحدود الشمالية) رحمه الله !

ناحَ حَرْفِيْ على سِنَانِ اليَــراعِ ... وانْثَنَــى في تَــرَنُّحٍ وانْــصِداعِ

نازِفَ الجُرْحِ مُثْخَنًــا بالرَّزَايَــا ... في خِضَمِّ الأَهْوَالِ مُطْوَى الشِّراعِ

مُطْرِقًا في عُيُونِهِ اليَــوْمَ حُــزْنٌ ... مِثْلَما الحُزْنُ في عُيُــونِ الجِيــاعِ

يَشْتَكِيْ مِنْ مُنَغِّصَاتِ اللَّيَــالِيْ ... هَدَّهُ الرَّكْضُ يا سَــرابَ البِقَــاعِ

أَيُّ دُنْيــا نَلُــوْكُ فيها لُعَاعــًا ... مِنْ حُطَــامٍ مُغَلَّــفٍ بالطَّمَــاعِ

* * *

يا فَقِيْدًا رَثَيْتُــكَ اليَــوْمَ إِنِّــي ... أَجْرَعُ الهَوْلَ يا كَــرِيْمَ الطِّبَــاعِ

والمنايا تَجُـــوْلُ في كُـــلِّ وادٍ ... يا عُبابَ النِّيْلِ دَعَـــا مِنْـــكَ داعِ[١]

هاتِفٌ مِنْ فَمِ الكِنَانةِ أَمْسَـــى ... يُحْرِقُ الحَرْفَ في شَـــرايِيْنِ نَـــاعِ

* * *

يـــا شَـــهِيْدًا أَثابَـــكَ اللهُ دارًا ... في مقاصـــيْرِها جَمِيْـــلُ المَتَـــاعِ

حِيْنَ تَبْدُو- أبا عَلِيٍّ- بِفِكْرِي ... يَنْفُثُ القَلْبُ حَـــسْرَتِيْ والْتِيَـــاعِي

إنْ أَلَمَّتْ مُسامَراتُ العَـــشايا ... هامَ بِيْ الحُزْنُ في قِفَـــارِ الـــضَّيَاعِ

وإذا جَالَ في النُّفُـــوسِ ادِّكَـــارٌ ... حَلَّقَ الخَيْرُ باسْـــمِكُمْ كالـــشُّعَاعِ

كُلُّ عامٍ زِيـــارةٌ واعْتِكـــافٌ ... لَكَ طُوبَى ولِيْ جَمِيْـــلُ الـــوَداعِ

* * *

أَجْدَبَتْ- يا أبا عَلِـــيٍّ- دَواتِيْ ... يا مِدادِيْ قد كُنْتَ خِصْبَ المَرَاعِي

إنْ فَقَدْناكَ- يا صديقِيْ- فإنّـــا ... سَوْفَ نَمْشِيْ على الطَّرِيْقِ المُشَاعِ

كُلُّ نَفْسٍ رَهِيْنَةُ المَوْتِ حَتْمًـــا ... لو خَلا المَرْءُ في حَصِيْنِ القِـــلاعِ

نَمْ قَرِيرًا تَرَكْتَ في الناسِ عِطْرًا ... طَيِّبَ النَّشْـــرِ يا حَمِيْدَ المَساعِي

♦♦♦

---

[١] كسرة اللام من كلمة: "نيل" مشبعة. والإشارة إلى "النِّيل" لأن الفقيد المرثي كان أودَى في حادث غرقٍ في النيل.

فـ

مرافئُ الحُبّ

مَنْ رَسُوْلِيْ لِمَرْتَعِ الأُنْــسِ فَيْفَــا؟ للذُّرَى، للسُّهُوْلِ، قَفْراً، ورِيْفا

للمَــسَاراتِ للــسُّرَى للَّيــالِيْ للثَّرَى يَنْثُــرُ التَّلِيْــدَ الطَّرِيْفــا

للشَّذا للنَّدَى لطُهْــرِ العَــذارَى للعصافيرِ حِيْنَ تَمْرِيْ الغَرِيْفــا[1]

للصَّباحِ البَلِيْــلِ في يَــوْمِ طَــلٍّ للمَسَاءِ العَلِيْل يَمْشِي دَفِيْفــا[2]

مَنْ لَهُ الطَّولُ يَرْتَقِيْ الطَّوْدَ حــتى يمتطيْ عُمْدَةَ الجبــالِ المُنِيْفــا؟

يَسْتَقِلُّ الرِّيَاحَ تَجْرِيْ رُخَــــاءً يَلْثُمُ المُــزْنَ والسَّــنَا والقَنِيْفا[3]

---

[1] يمري: يحتلب. والغريف: ضرب من الشجر، اختُلف فيه، وقيل: هو من نبات الجبال. (انظر: ابن منظور، لــسان العرب، (غرف)).

[2] دفيفًا: أي بطيئًا ثقيلاً.

[3] "القَنِيف: السحاب ذو الماء الكثير." (م.ن.، (قنف)).

يَزْرَعُ الشَّوْقَ في حَصَى كُلِّ رَعْنٍ	بَاتَ في الأُفْقِ للثُّرَيَّا حَلِيْفــا[١]

******

مَنْ يُنَاجِيْ مَرافِئَ الحُــبِّ إنِّــي	أَحْتَسِيْ ذِكْرَها خَيَالاً وَطَيْفــا؟
نَبَّهَتْ مِنْ خَوَاطِرِيْ غَافِــــلاتٍ	أَيْقَظَتْ حُبَّها دِمَاثاً وَخَيْفــا[٢]

******

هَزَّني مِنْ تَمَاوُجِ الفِكْرِ جَــيْشٌ	مِنْ طُيُوْفِ المَدَى يَزُفُّ زَفِيْفا[٣]
كُلَّما أَبْرَقَــتْ تَباشِــيرُ وَصْــلِيْ	وارْتَدَيْتُ الحَنِيْنَ رَخْصاً شَفِيْفا[٤]
مِخْمَلِيــًّا مُطَــــرَّزًا بالتَّدانــِيْ	فــَاقَ كُلَّ الجَمَالِ كَمًّا وكَيْفا

---

[١] الرعن: الجبل العالي.

[٢] الدِّماث: سهل الأرض، والخيف: مرتفعها.

[٣] يَزُفُّ زَفِيْفا: يُسرع إسراعًا.

[٤] رَخْص: ناعم.

تَسْحَقُ الرِّيْحُ والتَّبــاريحُ عَزْمــيْ والمسافاتِ والخُطَــى والرَّصِــيْفا

******   ******

كِدْتُ أَنْسَى مَــدَارِجِيْ وانْتِمَــائِيْ والتماعَ المُنَــى وظِلِّــيْ الوَرِيْفــا

والعَشِيــَّاتِ والرَّعايا وأَنْــسَــى مَنْجَعَ الأُنْسِ والرُّبَى والخَرِيفــا[١]

والجُــذُوْرَ الــتِ تَفَرَّعْــتُ منــها والتَّغَارِيْـــدَ والنَّمِيْــرَ النَّظِيْفـــا

كِدْتُ أَنْسَى التِي احْتَوَتْــنِيْ وَلِيْداً وارْتَضَعْتُ الحَلِيْبَ منها الصَّرِيْفا[٢]

عِشْتُ في حُضْنِها يَتِيْمــاً ولكــنْ لم أَكُنْ للضَّياعِ يوماً عَسِيْـــفا[٣]

كنتُ أَهْفُــوْ لِمَوْقِــعٍ في خَيَــالي أصطفيْ في حِماهُ عَيْــشاً شَــرِيفا

******   ******

يا عَرُوْساً تُخاصِــرُ الــنَّجْمَ لَــيْلاً ثُمَّ يَغْــدُو لهــا النَّهــارُ رَدِيْفــا

فَوْقَ أَكْتَافِهــا تَدَلَّيْــتُ شِــعْراً مُحْكَمَ السَّبْكِ عَسْجَدِيًّا حَصِيْفــا

---

[١] الرعايا: هاهنا الماشية المَرْعِيَّة. (انظر: م.ن.، (رعى)).

[٢] "الصَّرِيفُ: اللَّبَنُ الذي يُنْصَرَفُ به عن الضَّرْعِ حارّاً." (م.ن.، (صرف)).

[٣] العَسِيْف: الوضيع القَدْرِ في مجتمعه.

مِنْ نَوَامِيْـــسِها غَزَلْـــتُ الأمـــانيْ   سافراتِ الوُجُوْهِ غَـــزْلاً ظَرِيْفـــا
واعْتَصَرْتُ الأَوْهَامَ بـــالحُلْمِ حـــتى   أَصْبَحَ الحُلْمُ للمَجَـــرَّاتِ ضَـــيْفا

******

في الدُّجَى والسُّكُوْنِ والكَوْنُ غافٍ   والرُّؤَى تَحْفِـــزُ الخَيَالَ الجَفِيْفا[1]
والمـــصابيحُ في رُفـــوْفِ الزَّوايـــا   تَرْقُبُ الـــرِّيْحَ والظَّـــلامَ العَنِيْفـــا
غَرَّدَتْ مِنْ سَـــوانحيْ ســـاجعاتٌ   تَتْرُكُ الصَّبَّ مُـــسْتَهامًا خَفِيْفـــا
مَوْهِناً[2] أَعْـــزِفُ المَواويْـــلَ شِـــعْراً   عندما تَعْزِفُ الرِّيـــاضُ الحَفِيْفـــا
إنْ تَذَكَّرْتُ نَشْوَةَ الـــرُّوْحِ لَجَّـــتْ   في هواها، يَـــرِفُّ قلـــبيْ رَفِيْفـــا
والفُـــؤادُ الرَّقِيْـــقُ إنْ جَلْمَدَتْـــهُ   قَسْوَةُ الهَجْـــرِ يَـــسْتَدِرُّ النَّزِيْفـــا
واخْضِرارُ الآمالِ في النَّفْسِ فَجْـــرٌ   يُنْعِشُ المُدْنَفَ الكَئِيْبَ الأَسِـــيْفا

---

[1] الجفيف: الجافّ.

[2] كلمة "موهنا" غير مضبوطة بالشكل في الأصول، وقدّرنا أنها "مَوْهِنًا"، أي في ساعة متأخرة من الليل.

يُوْرِقُ الصَّخْرُ في يَبَـــابِ المُعَنَّـــى بل يَعُوْدُ الهَــشِيْمُ غَــضًّا لَطِيْفـــا

******

هاجِـــسٌ حالمٌ كهَمْسِ الغـــواني سابحٌ في الجَمال مِنْ حُسْنِ فَيْفـــا

مِنْ رُؤَى لهفة وفَضْـــلِ انْتعَـــاشٍ أَسْـــأَرَتْهُ الملاحُ وَجْـــداً طَفيْفـــا

مِنْ بَقايا فَتَّانَـــةِ الأَمْـــسِ خَـــوْدٍ أَجْتَلِيْ ظِلَّهَا حَنَـــاناً وحَيْفَـــا[1]

مِنْ صَدَى العُمْرِ في شُحُوْبِ المَرايا يَسْتَنِيْرُ الـــسَّرَابُ دَرْبـــاً كَفِيْفـــا

******

ذَوَّبَتْنـــيْ أَنْـــسَامُ فَيْفَـــا سُـــحَيْراً مِثْلَمَا ذَوَّبَ الخُـــشُوْعُ الحَنِيْفـــا[2]

تَنْتَشِيْ النّسْمَـــةُ اللَّطِيْفَةُ زَهْـــواً فَوْقَ زَهْـــرِ الرُّبَى شِـــتَاءً وصَيْفا

والصَّبَاحُ الكَسُوْلُ يَمْشِيْ وَئِيْـــداً مِثْلَ مَنْ في القُيُوْدِ يَمْشِيْ رَسِيْفا[3]

والنَّدَى ذَابَ في خُدُوْدِ الخُزامَـــى واسْتَفَاقَتْ حَوَّاءُ تُرْخِيْ النَّصِيْفَـــا

---

[1] الحَيْف: الظُّلم.

[2] الحَنِيْف: المُسْلِم.

[3] الرَّسيف: مَشْيُ المقيّد.

تَخْجَلُ الشَّمْسُ إنْ تَبَدَّتْ صَـــبَاحاً
مِنْ شُرُوْق الخُدُوْد مِنْ كُلِّ هَيْفا[١]

كَمْ فَتَاة سَرَقْتُ مِنْهَـــا التِفَاتـــــاً
فَاسْتَحَالَتْ عُيُوْنُها النُّجْلُ سَـــيْفا

******

تِلْكَ فَيْفَا أُحِـــبُّ فيهــا قَـــديْماً
يَجْعَلُ القَلْبَ يَـــسْتَلِذُّ الوَجيْفـــا

تَلْكَ فَيْفَا فَرَشْتُ خَـــدِّيْ وقَلْبِـــي
تَحْتَ أَرْدَانِهَا مِهَـــاداً طَرِيْفـــا

حَرَّكَتْ في لَوَاعِجِ النَّفْسِ عِـــشْقاً
كَامِناً ثَمَّ، لا ادِّعَـــاءً و زَيْفـــا

إنَّ في بَطْنِهَـــا عَزِيْــزَيْنِ كَانـــا
مَلْجَئِيْ يَحْضُنَان جِسْمِي النَّحيْفا

يا شَــآبِيْبَ رَحْمَـــة اللهِ صُـــبِّي
فَوْقَ قَبْرَيْهِمَـــا غيَاثـــاً كَثِيْفـــا

رَبِّ يا رَبِّ ارْحَمْهُما يا رَجَـــائِيْ
مِثْلَمَا رَبَّيَـــانِيْ طِفْـــلاً ضَـــعِيْفا

******

كَيْفَ أَنْسَى؟ لا كُنْتُ إنْ كُنْتُ أَنْسَى
بَسْمَةَ الأُمِّ والــسُّلُوْكَ العَفيْفـــا

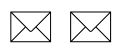
وانْدِفَـــاقَ الحَنَـــانِ نَبْعـــاً نَقِيَّـــا
وارْتِضَاءَ الصِّعَابِ نَهْجاً مُخِيْفـــا

---

[١] هَيفا: هَيْفاء.

واصْطِبَاراً وعُنْفُوَاناً وعَطْفَـــــــا　　　واحْتِمَالَ الأَسَى وقَلْبــاً لَهِيْفــا
******　　　******

يا مَعِيْنَ الهَوَى ومَرْسَى التَّلاقــيْ　　　كَيْفَ يَنْسَى الأَلِيْفُ فِيْكَ الأَلِيْفا ؟!
كَيْفَ يَنْسَى مَنْ ذَاقَ فِيْكَ ابْتِدَاءً　　　لَذَّةَ الحُبِّ والأَسَـــى والرَّغِيْفا ؟!



الضيف الظريف

ولاحَ الشَّيْبُ كالشَّبَحِ المُخيْــفِ ... يُهَــدِّدُنِيْ بمُعْتَــرَكِ الخَرِيْــفِ
أَطَلَّ منَ السَّوَادِ كَــضَوْءِ نَجْــمٍ ... بَدَا في حِنْدِسِ الحَلَكِ الكَثِيْــفِ
وعَادَ العَدُّ يَنْــزِلُ مِــنْ صُــعُوْدٍ ... بُعَيْدَ اللَّهْوِ في الــزَّمَنِ الرَّفِيْــفِ
أُدَقِّقُ في الحِــسَابِ وكُــلُّ رَقْــمٍ ... أُضَــخِّمُهُ بمُخْتَلَــفِ الحُــرُوْفِ
أُحِــبُّ كُــلَّ أَبْــيَضَ إلاّ هــذاً ... وأُكْرِمُ كُلَّ ضَيْفٍ إلاَّ ضَــيْفِيْ
أُتَابِعُــــهُ بمنْظَــــرَةٍ ومــــا لِيْ ... سِوَى التَّسْلِيْمِ بالحَدَثِ الطَّرِيْــفِ
أُشَــبِّهُهُ– لِتَهْدِئَــةِ اضْــطِرَابِيْ– ... بنَوْرِ الزَّهْرِ في الشَّجَرِ الوَرِيْــفِ
وأَنْعَتُــهُ– وقَــدْ أَلْقَــى عَــصَاهُ ... على الفَوْدَيْنِ– بالضَّيْفِ الظَّرِيْفِ
وأُضْفِيْ– رُغْمَ ما في النَّفْسِ– جَوًّا ... منَ الأَفْــرَاحِ والظِّــلِّ الخَفِيْــفِ
أَقُــوْلُ– تَعِلَّــةً– هــذا وَقَــارٌ ... ونُضْجُ الأَرْبَعِيْنَ رَبِيْــعُ رِيْفِــيْ
وأُخْفِيْــهِ عَــنِ الأَنْظَــارِ عَمْــداً ... وبالأَحْرَى عَنِ الجِنْسِ اللَّطِيْــفِ
هِيَ الأُنْثَــى إذا لَمَحَــتْ شَــبَاباً ... أَرَتْهُ الغَمْزَ مِنْ خَلَــلِ النَّــصِيْفِ

فإنْ جَــفَّ الــرُّوَاءُ أَرَتْــهُ عَيْنــاً ... بها حَشْدٌ منَ العَتَــب العَنيْــف

وكَمْ منْ غَــادَة في عَهْــد إلْــف ... يُبَدِّدُ عَهْــدَها شَــيْبُ الأَلَيْــف

وهَلْ أُخْفي السِّنيْنَ وما أَعَــدَّتْ ... منَ الأَهْوَال للجــسْمِ الــضَّعيْف

أُدلُّ بــالفُتُوَّة ثُــمَّ تَمْــضيْ ... كما مَرَّ السَّحَابُ نَهَارَ صَــيْف

وما شَرْخُ الشَّبَاب ســوَى لَيَالٍ ... تَمُرُّ حَالمَــاتٍ مُــرُوْرَ طَيْــف[1]

***

أَقُــوْلُ والــشَّبَابُ يَنــدُّ عَنِّــيْ ... ويَضْطَرِبُ الفُؤَادُ منَ الوَجيْــف[2]

لمَ الإِسْرَاعُ يا عُمْــريْ رُوَيْــداً؟! ... تَمَهَّلْ يا شَبَابُ وكُــنْ حَليْفــيْ

لَعَلَّكَ أَنْ تَــرَى منِّــيْ سُــلُوكاً ... يُغايرُ سَالفَ الــزَّمَن العَــسيْف

وليْ في الأَرْبَعيْنَ نُــضُوْجُ فكْــر ... وإلْهَامٌ مــنَ الــرَّبِّ الــرَّؤُوْف

فَقَدْ حانَتْ مُحَاسَــبَتيْ لنَفْــسيْ ... وذُلِّيْ مــنْ بَوائقهَــا وخَــوْفيْ

سَــأَبْدَأُ في التَّثَبُّــت والتَّــأَنِّيْ ... وأَنْهَى النَّفْسَ عَنْ سَفَه وحَيْــف

فلَيْسَ بنَــافعيْ في يَــوْم ضَــعْفيْ ... إذا أَدْلَيْتُ بالحَــسَب الــشَّريْف

ولا بــشَهَادة أو فَــضْلِ مَــال ... ولا بزَخَارف القَــصْر المُنيْــف

ولا الإِبْحَارُ في حَــوَر الغَــوَانيْ ... ولا الإِكْثَارُ منْ نَــزَق وزَيْــف

ولكــنْ مــا أُقَدِّمُــهُ ادِّخَــاراً ... منَ الأَعْمَال والــدِّيْن الحَنيْــف

بفكْــرٍ حــازِمٍ يَــزْدَادُ عَزْمــاً ... على فَصْلِ التَّلْيْد عَــنِ الطَّرِيْــف

---

[1] كذا في الأصل، ويستقيم الوزن لو جُعل: "تَمُرُّ بحُلْمها كمُرُوْرِ طَيْف"، أو " تَمُرُّ حالمات مَرَّ طَيْف".

[2] لا بُدّ من إشباع حركة اللام في "أقولُ".

وقَلْـــبِ ناصِـــعٍ يَنْثَـــالُ طُهْـــرًا ‏ ‏ ‏ حَبَـــاهُ اللهُ بـــالخُلُقِ العَفيْـــفِ
ولِيْ في اللهِ – إنْ عَظُمَتْ ذُنُوْبِيْ- ‏ ‏ ‏ يَقِيْنُ الوَاثِقِ اللَّبِـــقِ الحَصِيْـــفِ

🕓 🕑 🕚

ق

تَذكِرة[١]

يا مُلْهِمَ الشِّـــعْرِ والأَلْفَاظُ تَتَّـــسِـــقُ ... يا منبعَ الخَيْرِ، والخَيْرَاتُ تَنْدَفِـــقُ[٢]

الــشِّـــعْرُ نَبْضُ فُؤَاد صَاغَهُ نَغَمـــاً ... يُزْرِيْ بِهِ الرَّيْبُ والتَّمْوِيْهُ والمَلَـــقُ[٣]

يَصْفُوْ ويَسْمُوْ بقَلْبٍ مُفْعَـــمٍ ثَمِـــلٍ ... بِحُبِّ أَرْضٍ ذُرَاهَا الدِّيْنُ والخُلُقُ

---

[١] للقصيدة نسخة أخرى بعنوان: "تذكّروا الماضي"، عدَّلها الشاعر، وعدَّل عنوانها، فأخذنا بالنسخة المعدَّلة.

[٢] هذا المطلع لم يكن موجودًا في نسخة القصيدة الأخرى بعنوان "تذكّروا الماضي".

[٣] لّما كان هذا البيت هو مطلع القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي"، فقد كان هكذا:

الحُبُّ فَيْضُ صَفاءِ الرُّوْحِ يَنْدَفِقُ ... يُزْرَى بِهِ الرَّيْبُ والتَّمْوِيْهُ والمَلَقُ

يامَوْطِنِيْ يا رَوَابِيْ كُــلِّ مَكْرُمَـــــةٍ | فِيْكَ الهُدَى والنَّدَى والنُّبْلُ والعَبَقُ
يا مَشْرِقَ النُّوْرِ والتَّوْحِيْدِ، يــا بَلَــدًا | مِنْ نُوْرِها يَسْتَنِيْرُ الفَجْرُ والشَّفَقُ[١]
عَشِقْتُ فيها جبالَ الرَّمْــلِ صَــافِيَةً | كَدُرَّةٍ فِي يَــدِ الغَــوَّاصِ تَــأْتَلِقُ
تَــرَبَّعَتْ فَوْقَ هَامِ المَجْدِ واقْتَعَــدَتْ | سَنَا المَعَالِيْ مَعَ الأَفْــلاكِ تَعْتَنِــقُ[٢]

* * *

هذي الـــشَّمَالُ وعَبْــدُ اللهِ زِيْنَتُهــا | هُوَ الضَّمِيْرُ ومُوْقُ العَيْنِ والحَــدَقُ
شِبْلٌ أَبُوْهُ أَبُــوْ الهَيْجَــاءِ مُــضْرِمُها | وَقُوْدُها البَغْيُ والإلْحَادُ والنَّــزَقُ
قَــادَ الجَحَافِــلَ والتَّوْحِيْــدُ غَايَتُــهُ | لَيْثٌ بَرَاهُ السُّرَى والعَــزْمُ والأَرَقُ
مَعَ المَلِيْــكِ حُــسَامٌ صَــارِمٌ ذَرِبٌ | فِي حَدِّهِ الحَقُّ والتَّمْكِيْنُ والأَلَــقُ
عَوْنٌ لِمَنْ سَجَّلَ التَّارِيْــخَ أُغْنِيَــةً | فَوْقَ الرِّمَالِ فَغَنَّى الحِبْرُ والوَرَقُ[٣]

---

[١] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": "**على ثَراها يَسِيْرُ الفَجْرُ والشَّفَقُ**".

[٢] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي":

سَمَتْ وطالتْ سَنامَ المَجْدِ وارتَفَعَتْ | إلى المَعــالِيْ معَ الأَفْــلاكِ تَعْتَنِــقُ

[٣] في الأصل بعنوان "تذكّروا الماضي": "**عَوْنٌ لِمَنْ سَجَّلَ التاريخَ أُغْنِيته**"، وفيه بعنوان "تذكرة": "... أُغْنِيتة"، فَعَــدَّلْنا الكلمة.

صِنْوانِ عَبْدُ العَزِيْزِ المَلْــكُ يَعْــضُدُهُ   عَبْدُ العَزِيْزِ الأَمِيْرُ الصَّارِمُ الــذَّلِقُ

* * *

يا ثَرْوَةً مِنْ رِجَالٍ تَرْكَبُــوْنَ علــى   بَأْسٍ شَدِيْدٍ، عَلامَ الطَّيْشُ والحَمَقُ؟[١]

هذا حَدِيْدٌ ونَـــارٌ كُلَّمــا اتَّقَــدَتْ   فِيْهِ السَّوائِلُ زَادَ الجَهْلُ والرَّهَــقُ[٢]

كَمْ فَرْحَةٍ مِنْ صَغِيْرِ الــسِّنِّ نَقْتُلُهــا   وبَسْمَةٍ في فَــمٍ بَيْــضَاءَ تَختَنِــقُ

يا مَنْ رَأَى شُقَّةَ المَاضِيْ وشِــــقْوَتَهُ   والسَّيْرُ فِيْهِ على رَمْضَاءَ تَحتَــرِقُ[٣]

* * *

واليَوْمَ يَختَالُ كالطَّاوُوْسِ، هَلْ نُسِيَتْ   تِلْكَ العِجَافُ وسَيْرُ اللَّيْلِ والقَلَقُ؟[٤]

---

[١] من الواضح أن القصيدة قيلت في مناسبة تتعلّق بشُرطة المرور.

[٢] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": " زادَ المَوْرُ".

[٣] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": "**تَذَكَّروا الماضيَ المكدودَ في زَمَنٍ السير فيه...**"

[٤] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي":

يا راكِبًا فَوْقَ جَمْرِ النارِ، هل سَنَحَتْ   لكَ الخوالِيْ وسَيْرُ الليلِ والقَلَقُ؟

أَيَّامَ يَـــمْشِيْ على الأَشْــوَاكِ ثَائِرَةً   والرِّجْلُ دَامِيَةٌ والنَّعْلُ مُنْخَــرِقُ[١]
أَوْ كَانَ ذا نِعْمَة يَمْضِيْ على جَمَـــلٍ   أو فَاطِرٍ قد حَنَاهَا الجَهْدُ والرَّمَقُ[٢]
رِفْقًا بِنَفْسِكَ واكْبَحْ مِـــنْ رُعُوْنَتِهـــا   قد هُيِّئَ الأَمْنُ والإِرْشَادُ والطُّرُقُ[٣]
وهُيِّئَتْ فِتْــيَةٌ في اللَّيْلِ سَاهِـــــرَةٌ   وفي النَّهَارِ أُسُـــوْدُ الغـَــابِ تَنْطَلِقُ

۞۞

---

[١] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي":

تمشيْ على الشَّوْكِ والأقْدامُ حافيَةٌ   والأرضُ ثائرَةٌ والرُّعْبُ والفرَقُ

[٢] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": **"أو كُنْتَ... تمضي ... قد بَراها الجُوْعُ والعَلَقُ"**.

[٣] في نسخة القصيدة بعنوان "تذكّروا الماضي": "فارِفقْ".

الحلم الجميل

في البَحْرِ يَسْبَحُ بيْ خَيَـــالٌ مُغْـــرِقُ وَيَسِيْحُ بيْ في الأَرْضِ فِكْرٌ مُعْنِـــقُ[١]

في اليَمِّ في نُجُدِ البلادِ يَطُوْفُ بـــيْ وأنـــا الأَســـيْرُ لـــسَيِّدٍ لا يُعْتَـــقُ

يَجْتَـــازُ أَجْـــوَازَ الفَـــضَاءِ مُرَفْرِفـــاً حُلُمٌ لَـــهُ بَـــيْنَ الحَقَـــائقِ رَوْنَـــقُ

في ظُلْمَةِ اللَّيْـــلِ البَهِـــيْمِ يُغِـــذُّ بيْ لأَرَى الصَّبَاحَ يَلُوْحُ مِمَّـــنْ أَعْـــشَقُ

والبَـــدْرُ يَـــسْتُرُهُ الـــسَّدِيْمُ وتـــارةً أُخْرَى يُـــدَثِّرُهُ الـــسَّحَابُ الأَزْرَقُ

وأنا أَسِيْرُ يُمِـــضُّني لَيْـــلُ الـــسُّرَى نَفْسٌ تُـــشَجِّعُني وقَلْـــبٌ يَخْفِـــقُ

والفَجْرُ يُنْذِرُ بالطُّلُوْعِ على الـــدُّنَى والشَّمْسُ تَنْتَهِكُ الظَّـــلامَ وتُـــشْرِقُ

* * * *

ومَعَ الصَّبَاحِ نَسَأْتُ مُهْراً جَامِـــحاً زَعْـــلانَ فِيْـــهِ عَزِيْمَةٌ لا تُلْحَـــقُ[٢]

---

[١] في إحدى النُّسَخ: "مُعْرِقُ"، (بالعين المهملة). والمُعْرِق: ذو العِرْق الأصيل.

[٢] الزعل: الأَشَر.

لأَطُوْفَ حَوْلَ الأَرْضِ أَقْتَحِمُ الصُّوَى ... عَزْمَ الشُّجَاعِ وعَزْمُهُ لا يُخْفِقُ
وأَخُوْضُ في البَحْرِ الخِضَمِّ مَخَاطِرَ ... الدَّأْمَاءِ لا أَخْشَى بِأَنِّي أَغْرَقُ
وغَرِقْتُ في بَحْرِ الجَمَالِ وطَابَ لِيْ ... فِيْهِ الْمُقَامُ بِوَسْطِ مَوْجٍ يَصْفِقُ
لكنَّ مِنْ صَوْبِ الشَّوَاطِئِ جَاءَنِيْ ... صَوْتٌ فَشَمَّرَ سَاعِدِيْ والمِرْفَقُ
عَجْلانَ أَطْلَقَ للشِّرَاعِ عِنَانَهُ ... في اليَمِّ يَمْخَرُ بِيْ العُبَابَ الزَّوْرَقُ
لأَرَى الجَمَالَ أَعُبُّ مِنْ يَنْبُوْعِهِ ... ولَكَمْ ظَمِئْتُ وبَاتَ غَيْرِيْ يَشْرَقُ
ولَقَدْ رَأَيْتُ مَعَ الجَمَالِ بَشَاشَةً ... وحَدِيْثَ حُبٍّ خالِصٍ يَتَدَفَّقُ

* * * *

وعلى الشَّوَاطِئِ والرِّمَالِ تَنَاثَرَتْ ... بَاقَاتُ وَرْدٍ بالنَّدَى تَغْرَوْرِقُ
وأَذُوْبُ في الوَرْدِ الْمُوَرَّدِ دَائِماً ... وأَشُمُّهُ لو كان– حَقًّا– يُشْفِقُ
وأَحُوْكُ مِنْ نَسْجِ الرِّمَالِ غَلائِلاً ... وَرْدِيَّةً يَسْرِيْ شَذاها يَعْبَقُ
وأَصُوْغُ مِنْ عَذْبِ الكَلامِ قَصَائِداً ... أَلْفاظُها مِنْ فَرْطِ ما بِيْ تَنْطِقُ

* * * *

حُلُمٌ جَمِيْلٌ في الفَضَاءِ مُحَلِّقٌ ... فَوْقَ السَّحَائِبِ سَابِحٌ لا يُسْبَقُ
حُلُمٌ تَسَرْبَلَ بالسَّرابِ ونَفْسُهُ ... تَهْفُوْ لِيُنْقِذَها الحَبِيُّ الْمُغْدِقُ

* * * *

في النَّوْمِ أَضْرِبُ في البِلادِ مُسَافِراً وإذا صَحَوْتُ عَرَفْتُ أَنِّي أَحْمَقُ!

فإذا سَرَابٌ ما رَأَيْتُ مُخَادِعٌ وإذا رَبِيْعِيْ يَابِسٌ لا يُورِقُ

فأنا مَكَانِيْ قابِعاً مُتَزَمِّلاً وحْدِيْ يُسَامِرُنِيْ الظَّلامُ المُطْبِقُ

وإذا الزَّمَانُ هُوَ الزَّمَانُ وظَرْفُهُ قَدْ خُطَّ فِيْهِ تَمَرُّدٌ وتَمَزُّقُ

وإذا الحَيَاةُ هِيَ الحَيَاةُ بِبُؤْسِها وشَقَائِها حتى يَشِيْبَ المَفْرِقُ

* * * *

والنَّاسُ في صَخَبِ الحَيَاةِ تَدافَعُوا وتَهَاجَروا وتَنَاحَرُوا وتَفَرَّقُوا

سُوْقُ التَّبَاغُضِ والتَّدَابُرِ رَائِجٌ أَبْوَابُهُ مَفْتُوْحَةٌ لا تُغْلَقُ

والحِقْدُ عَشَّشَ في القُلُوْبِ يَبُثُّهُ فينا التَّخَاذُلُ والعَدُوُّ المُحْدِقُ

والعَيْشُ ضَنْكٌ والنُّفُوْسُ مَرِيْضَةٌ والخَاسِرُوْنَ بالثَّراءِ تَشَدَّقُوا[1]

والماءُ رَنْقٌ والشَّرَابُ مُكَدَّرٌ كُلُّ المَنَاهِلِ قَدْ عَلاها الغَلْفَقُ

دَسَّ التَّحَاسُدُ في النُّفُوْسِ بُذُوْرَهُ فَزَكَتْ وآزَرَها النِّفَاقُ المُوْبِقُ

* * * *

وأَنَا أَنَا.. كالأَمْسِ أَفْتَرِشُ الأَسَى ويَزُجُّ بِيْ في الهَمِّ فِكْرٌ أَخْرَقُ

جِسْمٌ نَحِيْلٌ بَلْ فُؤَادُ مُحَطَّمٍ والعَقْلُ فِيْهِ مِنَ الخَوالِجِ فَيْلَقُ

---

[1] في التفعيلة الثانية من الشطر الثاني يلحظ زحاف (الوقص)، وهو صالح في البحر الكامل.

أَشْرَفْتُ مِنْ خَلَلِ النَّوَافذِ كَيْ أَرَى ... نُوْرَ الكَوَاكِبِ أو شُـعَاعاً يُبْـرِقُ
ورَجَعْتُ مَنْكُوْءَ الجِرَاحَ مُحَمَّلاً ... غَـمًّا وقَدْ كَادَتْ حَيَاتِي تَزْهَـقُ
لَيْلٌ يُبَرْقِـعُ بـالظَّلامِ نُجُوْمَـهُ ... ومتى الصَّبَاحُ؟ متى الصَّبَاحُ المُشْرِقُ؟

* * * *   * * * *

يا حُلْمُ لَيْتَكَ ما انْقَطَعَتَ فإنَّنِيْ ... كُنْتُ السَّعِيْدَ في الخَيَـالِ أُحَلِّـقُ
ومِنَ السَّعَادةِ ما يَسُرُّكَ نَائِمـاً ... وإذا صَحَوْتَ فَشَـمْعَدانٌ مُحْرِقُ

⌘⌘⌘

عودة الطائر

وعادَ لِــوَكْرِهِ الطَّيْــرُ الطَّلِيْــقُ تُحَرِّكُــهُ الوَشَــائِجُ والرَّفِيْــقُ
أَقُوْلُ لِقَائِد (الــصَّالُوْن) شَــمِّرْ وأَدْعُوْ اللّهَ يُبْعِدُ مــا يَعُــوْقُ
أُحَلِّقُ في الخَيَــالِ وفي الأَمَــانِيْ وبَيْنَ جَوَانِحيْ طَرَبٌ وشَــوْقُ
قَطَعْتُ الدَّرْبَ يَحْفِزُنِيْ اشْتِيَاقِيْ وكَادَ القَلْبُ يَقْطَعُهُ الطَّرِيْــقُ
حَثِيْثاً حَثَّنِــيْ شَــوْقٌ عَنِيْــفٌ شَدِيْدُ الوَطْءِ في جَسَديْ يَسُوْقُ
إلى أَرْضٍ تُطــالِبُنِيْ بِــدَيْنٍ ويَجْرِيْ في شَرَايِيْنِيْ العُقُــوْقُ
وقَدْ أَعْطَتْنِــيَ الآمَــالَ طِفْــلاً وفي آمَالِهَــا نَــصَبٌ وضِــيْقُ
تَوَهَّجَ مِنْ صَفاءِ الرُّوْحِ حُــبٌّ لأَرْضِ الحُبِّ تَدْفُعُــهُ الحُقُــوْقُ
إلى حَيْثُ الجَمَالُ حَثَثْتُ رَكْبِــيْ فقُوْلُوا للجَمَالِ: أَتَى العَــشِيْقُ
إلى حَــسْناءَ مَنْظَرُهَــا بَــدِيْعٌ وباصِــرَتِيْ لنَــضْرَتِهَا تَتُــوْقُ
إلى (فَيْفَاءَ) يَحْضُنُهَا سَــحَابٌ تَصَارَعُ في جَوَانِبِــهِ البُــرُوْقُ
حَبَابُ الطَلِّ يَجْمُــدُ في رُبَاهَــا على الأَعْشَابِ يَسْكُبُهُ الشُّرُوْقُ
إلى الأَطْيَارِ في الأَفْنَانِ نَــشْوَى مِنَ الأَزْهارِ أَسْكَرَها الرَّحِيْــقُ

إلى الأَغْصَانِ يُرْقِــصُها نَــسِيْمٌ عَلِيْلٌ ضَمَّهُ الــشَّجَرُ الوَرِيْــقُ

******* *******

ويَسْأَلُنِيْ الصَّدِيْقُ سُؤَالَ خُبْــثٍ تُرَى : ماذا رَأَيْتُمْ يا صَــدِيْقُ؟!

فَقُلْتُ : رَأَيْتُ أَمْوَاجاً تُــدَوِّيْ وغَيْرِيْ سَابِحٌ وأنــا الغَرِيْــقُ

غَرِيْقٌ في الُمحِيْطِ بِــلا شِــرَاعٍ وَحِيْدٌ جَرَّنِــيْ الَمــاءُ العَمِيْــقُ

مُحِيْطٌ مِنْ تُــراثِ الَمجْــدِ آتٍ مِنَ الماضِيْ يُحاصِــرُهُ الَمــضِيْقُ

رَأَيْتُ تَغَيُّــراً في كُــلِّ شَــيْءٍ ونَفْسِــيْ في التَّغَــيُّرِ لا تُطِيْقُ

رَأَيْتُ على تَقاسِــيْمِ الــصَّبَايَا (مَــسَاحِيْقاً) يُزَيِّفُهَــا البَرِيْــقُ

رَأَيْتُ الغَادَةَ الحَسْــــناءَ تَنْدَى بَرِيْقاً مِنْ سَــــرَابٍ لا يَشُوْقُ

تُلَطِّخُ وَجْهَهَــا الَمْلُــوْءَ نُــوْراً مِنَ "الَمكْيَاجِ" حَــدًّا لا يَلِيْــقُ

وكانَ الوَجْهُ يَنْبَثِــقُ ابْتِهَاجــاً وحُسْناً زَانَــهُ الخُلُــقُ الحَقِيْــقُ

تَبَدَّلَ كَفُّهــا القَــانِيْ الُمحَنَّــى "مَنَاكِيْراً" وتَحْــسَبُها تَــرُوْقُ

رَأَيْتُ تَرَهُّــلاً في الجِسْــمِ حتى يَكَادُ لا يُرَى القَــدُّ الرَّشِــيْقُ

تَغَيَّـــرَتِ المَواقِـــفُ والنَّوايَـــا   وبَاءَ بِحُزْنِه الماضِـــيْ الوَثِيْـــقُ
وُجُوْهُ النَّاسِ لَيْسَتْ مِنْ جُـــذُوْرٍ   نَمَاهَا الغَابِرُ النَّـــائِيْ الـــسَّحِيْقُ
وُجُوْهٌ لَـــسْتُ آلَفُهـــا قَـــدِيماً   بِكُـــلِّ بُقَيْعَـــةٍ مِـــنْهُمْ فَرِيْـــقُ

******* *******

وَقَفْتُ حَائِراً وعَصَرْتُ ذِهْنِـــيْ   ويَخْنُقُنِيْ مِنَ التَّفْكِيْرِ طَـــوْقُ[1]
وقُلْتُ لِبَيْتِنَا الـــوَاهِيْ : تَكَلَّـــمْ   عَسَى أَنْ يُسْعِفَ الماضِيْ العَرِيْقُ
ذَرَعْتُ البَيْتَ أُخْبِرُ كُلَّ صَـــخْرٍ   بِأَنِّي الوَالِهُ الـــدَّنِفُ الـــشَّفِيْقُ
أُفَتِّشُ أَيْـــنَ تَخْتَبِـــئُ رَحَانَـــا؟   وأَيْنَ الدُّخْنُ ضَيَّعَهُ الـــدَّقِيْقُ؟[2]
ومِحْـــرَاثٌ وزِنْبِيْـــلٌ ودَلْـــوٌ   وغَرْبُ المَاءِ والخُبْـــزُ الرَّقِيْـــقُ؟
وفَانُوْسٌ ومِـــسْرَجَةٌ و"كَـــازٌ"   وأَيْنَ الصَّحْنُ والقَدَحُ العَتِيْـــقُ؟
وأَرْثِيْ للسَّقِيْفَةِ أَيْـــنَ رَاحَـــتْ   "دلالٌ" البُنِّ والقِدْرُ الـــدَّفُوْقُ؟
وأَيْنَ دُخَانُهـــا يَبْـــدُوْ ضَـــبَاباً   كَأَنَّ البَيْتَ هاجَمَـــهُ الحَرِيْـــقُ؟
وأَيْنَ البَذْرُ فِي الأَثْـــلامِ يَنْمُـــوْ   إلى زَرْعٍ تُتَـــوِّجُـــهُ العُـــذُوْقُ؟

---

[1] لا بُدّ من إشباع حركة التاء في كلمة "وقفتُ".
[2] لا بُدّ من إشباع حركة الهمزة في كلمة "تختبئُ"، وكان يمكن أن يقول مثلاً: "أُفتّشُ عن رحانا كُلَّ رُكْنٍ".

وأَيْنَ المَــوْزُ قِنْوَانــاً تَــدَلَّتْ؟ وأَيْنَ الــبُنُّ والثَّمَــرُ الأَنِيْــقُ؟
وأَيْنَ الشِّيْحُ يَلْثُمُــهُ الخُزَامَــى؟ ورَيْحَانٌ يُغازِلُــهُ "الطُّــرُوْقُ"؟
ولَيْــلٌ حَــالِمٌ فِيْــهِ سُــكُوْنٌ تُمَوْسِقُهُ الــضَّفادِعُ والنَّقِيْــقُ؟
وصَوْتٌ نَــاعِمٌ لَــدْنٌ رَخِــيْمٌ رَقِيْــقٌ لا يُكَــدِّرُهُ النَّعِيْــقُ؟
غِنَــاءُ الــوَارِدَاتِ بِكُــلِّ دَرْبٍ غِنَــــاءٌ كُلُّــــهُ أَدَبٌ وذَوْقُ
تَــرانِيْمٌ مُنَغَّمَــــةٌ تُــــضَاهِيْ تَرانِيْمَ العَنَــادِلِ بَــلْ تَفُــوْقُ
أَخِيْ أَيْنَ التُّراثُ؟- جُزِيْتَ خَيْراً- لِمَ الآثَارُ ضَاعَتْ يا شَــقِيْقُ؟!
أَهَذِيْ دِيْرَتِيْ أَمْ تِلْكَ رُؤْيَــا؟ أَ أَمْضِيْ فِي سُــبَاتِيْ.. أَمْ أُفِيْقُ؟!

❀❀❀

على شاطئ الأخطار[1]

على شَاطِئِ الأَخْطَارِ أَسْرَجْتُ زَوْرَقِـــيْ ... وأَطْلَقْتُـــــهُ في عَـــــيْلمٍ مُتَـــــدَفِّقِ

يَـــسِيْرُ مَـــعَ التَّيَّـــارِ حِيْنـــاً ويَنْـــثَنِيْ ... إلى لُجَّةٍ مِنْ مَوْجٍ هَوْجَـــاءَ مُغْـــرِقِ

نَصَبْتُ شِرَاعَ الرِّيْحِ يَنْـــصَاعُ مُرْغَمـــاً ... إلى مَغْرِبٍ حِيْنـــاً وحِيْنـــاً لَمَـــشْرِقِ

هَتَكْتُ حِجَابَ الخَوْفِ والهَـــوْلِ إنَّنِـــيْ ... على مَرْكَبِ الأَخْطَارِ أَعْطَيْتُ مَوْثِقِيْ

وأَلْفَيْتُنِـــيْ أَخْتَـــالُ في الْـــيَمِّ مُعْجَبـــاً ... بأَمَّارَتِيْ أَغْتاظُ مِـــنْ كُـــلِّ مُـــشْفِقِ

فَخُـــوْرًا برَيْعَـــانِيْ وفِكْـــرِيْ وقُـــوَّتِيْ ... تَناسَيْتُ أَنَّ الشَّيْبَ قَدْ زَارَ مَفْرِقِـــيْ

وفي حَمْأَةِ الإِغْـــرَاءِ أَرْسَـــلْتُ قَـــارِبِيْ ... على ظَهْرِ جَيَّاشٍ مِـــنَ المَـــاءِ أَزْرَقِ

أُجَدِّفُ جَهْـــدِيْ في سِـــبَاقٍ نُجُوْمُـــهُ ... عَمَالِيْقُ تَنْبُوْ عَنْ دُعَـــاةِ التَّعَمْلُـــقِ

أَزُفُّ زَفِيْفَ الهِقْـــلِ أَرْخَـــى جَنَاحَـــهُ ... أَصُوْلُ بمِجْـــدَافٍ هَزِيْـــلٍ مُعَـــوَّقِ

أَقُوْلُ – وبَحْـــرِيْ نُطْفَـــةٌ في قَـــرَارَةٍ ... عَلَيْها رُكَامٌ مِنْ تَجاعِيْـــدِ غَلْفَـــقِ:

[1] لم أعثر على أصل هذه القصيدة، وإنما أخذتها عن نسخة يتيمة مطبوعة حديثًا.

أأَجْرِيْ مَعَ الشَّيْخَيْنِ والبَــوْنُ شَاسِــعٌ وحَرْفِيْ جَرِيْحٌ مِنْ تَبَارِيْحِ مَنْطِقِي؟![1]
وقَدْ ذَكَّرَانِــيْ دِيْــرَةً سَــفَّ تُرْبَهــا فُــؤَادٌ مَلِــيْءٌ بالأَسَــى والتَّمَــزُّقِ
لَــكِ اللهُ يــا أَرْضَ الرَّبَــابِ ولَيْتَنِــيْ رَبِيْبُكِ مَدَّ العُمْرِ يــا شِــبْهَ جِلَّــقِ
أُغَــازِلُ حَبَّــاتِ اليَعَالِيْــلِ غَــازِلاً نَسِيْجاً مِنَ افْوَافِ السَّحَابِ المُرَقْرَقِ[2]

* * * * *

أَهَاجَتْ شُــجُوْنِي واغْتِرَابِيْ قَصَائِــدٌ مُمَوْسَــقَةٌ زَيَّــافَةٌ سَــيْرَ مُعْــنِقِ

---

[1] هذه القصيدة- كما أعلم- جاءت ضمن معارضات شارك فيها عدة شعراء. و"الشيخان" المشار إليهما هما: القاضي علي بن قاسم الفَيْفي، والقاضي علي بن مديّش بجوي، اللذان افتتحا مجموعة تلك المعارضات.

[2] اليعاليل: جمع يَعْلُول، ومن معانيه حَبَاب الماء، وهو ما يظهر على سطحه من فقاعات، قال (ابن حمديس الـصّقليّ، (د.ت.)، ديوانه، تح. إحسان عبّاس، (بيروت: دار صادر)، ١٥٠):

وليلٍ هَوَتْ فيهِ نجومٌ كأنّها يَعاليلُ بَحرٍ مُضْمَرِ الجَزْرِ في المَدِّ

واليعاليل أيضًا السَّحاب الأبيض المركوم، ومنه قول كعب بن زهير في قصيدة البُردة:

تَجْلُو الرياحُ القَذَى عنهُ وأفرَطَهُ مِنْ صَوْبِ ساريَةٍ بِيْضٌ يَعاليلُ

واليعاليل كذلك: المطر تَعُلُّ مرةً بعد أخرى. والمعنى الأول أقرب؛ بدليل اقتران الكلمة بالمضاف: "حَبّات"، وكأنــه عنى بها "حَبَاب". في الشطر الأخير من البيت: سهّلت همزة "أفواف"؛ لضرورة الوزن.

سَرَى ضَوْءُها يَطْوِيْ الفَيَافِيْ مُحَمَّــلاً بِفَاغِيَةٍ فَوَّاحَــةٍ بالــشَّذَى النَّقِـــي[١]

قَــصَائِدُ كالأَنْــدَاءِ تَنْثَــالُ رِقَّـــةً كما انْثَالَ دُرٌّ عِنْــدَ نَــارِ الْمُحَلِّــقِ

* * * * *

أبا فَيْصَلٍ لا زِلْــتَ يــا شَــيْخُ رَائِــداً تَلُمُّ شَــتَاتَ القَــوْمِ بَعْــدَ التَّفَــرُّقِ

أَيَادِيْــكَ لا تُنْــسَى ومَغْنَــاكَ شَــاهِدٌ سَمَوْتَ بمَجْدٍ في ذُرَى النُّبْلِ مُعْــرِقِ

وحَلَّقْــتَ في الآفَــاقِ حُــرًّا مُغَــامِراً طَلِيْقاً ، يَمُوْتُ الصَّقْرُ إنْ لم يُحَلِّــقِ

تَبَوَّأْتَ دَاراً في حَــشَا كُــلِّ مُنْــصِفٍ ولَيْسَ غَرِيْباً أو عَزِيْزاً على التَّقِـــي[٢]

بَنَيْتَ على المِنْهَــــاجِ مِنْ هَدْيِ أَحْمَدٍ مَنَــاراً كَنُوْرٍ في دُجَى اللَّيْلِ مُشْرِقِ

[١] عدّ الشاعرُ الرويّ هنا القاف، والياء وَصْلاً. إلاّ أن الياء أصليّة، وكان حقّها أن تكون هي الرويّ لا القــاف؛ لأن الوصل إنما هو ما جاء بعد الرويّ من حرف مَدٍّ أُشبعت به حركة الرويّ. وعليه، فالقافية مختلّة؛ لأنها جاءت يائيّــة الرويّ، لا قافيّته، كسائر قوافي القصيدة.

[٢] ما قيل في الحاشية السابقة ينطبق على قافية هذا البيت أيضًا.

قصر مشرف

قصيدة بمناسبة افتتاح قصر (مشرف) لصاحب السمو أمير منطقة الحدود الشمالية الأمير / عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد آل سعود، في ١٤/١١/١٤١٠هـ.

فِي لَيْلَةِ السَّعْدِ فَاحَ الــوَرْدُ بالعَبَقِ   مِنْ كَفِّ كَوْكَبِ نُــوْرٍ سَاطِعِ الأَلَقِ
فَيْضٌ مِنْ آلِ السُّعُوْدِ الشُّمِّ مُرْتَسِمٌ   على المُحَيَّا ومُوْقِ العَيْنِ والحَــدَقِ[1]
فَاضَ السُّــرُوْرُ كأَنْسَامٍ مُعَطَّرَةٍ   تَبُثُّ في النَّفْسِ دفْءَ الفَجْرِ والشَّفَقِ
عَشِيَّـــةً فاحَـــتِ الأَشْـــذَاءُ تُغْرِقُنا   في لُجَّةِ الحُبِّ ما أَحْلاهُ مِنْ غَـــرَقِ!
أَحْنَاءُ مُشْـــرِفِ العمْـــلاقِ تَحْضُنُنا   بعِـــزَّةٍ وحَنَـــانٍ جِـــدِّ مُنْـــدَفِـــقِ
قَصْـــرٌ تَرَبَّـــعَ ظَهْرَ التَّلِّ مُعْتَنِقـــاً   هَامَ السَّحَـــابِ على بَلُّوْرَةِ الطَّبَـــقِ
يَضُمُّ لَيْثاً هَصُـــوْرًا مِنْ ضَياغِمَـــةٍ   تَخُوْضُ بَحْرَ العُلا في شِدَّةِ الرَّهَـــقِ
غَضَنْفَرٌ في ثِيَابِ المَجْـــدِ مُنْتَصِبٌ   خَالٍ مِنَ الكِبْرِ والتَّمْوِيْـــهِ والفَـــرَقِ
مِنْ فِتْيَةٍ قَادَتِ الأَجْيَالَ ســـائِـــرَةً   في مَوْكِبِ الدِّيْنِ عَبْرَ النُّوْرِ والغَسَقِ
بِحِكْمَـــةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مُحْكَمَةٍ   نَقِيَّةٍ مِنْ عُيُـــوْبِ الجَـــوْرِ والنَّـــزَقِ

---

[1] لا بُدّ من تسهيل همزة "آل" في البيت، لاستقامة الوزن.

مِنْ فِتْيَــةٍ فاقَتِ الأَفْلاكَ هِمَّتُهُــمْ   إنْ سَابَقُوا أَيْقَنُوا بالفَوْزِ في السَّبَــقِ
ومَنْطِقُ العَــدْلِ والتَّوْحِيْدِ رَائِدُها   نَالَتْ نَوَاصِيْ العُلا مِنْ أَوْسَعِ الطُّرُقِ[١]

***

آبَاؤُكُمْ واجَهُوا الصَّحْراءَ ثَائِرَةً   بالسَّيْفِ والتُّرْسِ والأَرْماحِ والــدَّرَقِ
صَحْرَاءُ نَهْــبٍ وتَقْتِيْلٍ وتَعْــزِيَــةٍ   أَبْنَاؤُها والذِّئــابُ الغُبْــرُ في نَسَــقِ
تَبِيْتُ في مَرْقَــدِ الهَوْجَاءِ يَرْمُقُهــا   حَشْدٌ مِنَ الذُّعْــرِ والأَرْزاءِ والقَلَــقِ
فأَصْبَحَــتْ بَعْدَ عَوْنِ اللهِ خَالِيَــةً   مِنَ المَخــَاوِفِ والأَحْقَــادِ والرَّمَــقِ
هذي بلادي تَعِيْــشُ اليَوْمَ في نِعَمٍ   في ظِلِّ فَهْدٍ غَــدَتْ أَعْلَى مِنَ الأُفُقِ

***

يا مُشْرِفــاً شَامِخاً زَادَتْ مَباهِجُهُ   مِنْكُمْ بِنُوْرٍ– طَوِيْلَ العُمْرِ– مُؤْتَلِــقِ
قــَامَتْ دَعــائِمُــهُ للهِ طــَائِعَــةً   بَعِيْدَةً عَنْ مَهَاوِيْ الزَّيْــفِ والمَلَــقِ

---

[١] سُكّنت الياء في كلمة "نواصي" لضرورة الوزن.

لَعَلَّ سَحًّا مِنَ الشُّؤْبُوْبِ مُنْهَمِراً   يَعُمُّ أَرْجَاءَهُ الشَّمَّاءَ بالغَدَقِ

أُعِيْذُهُ وحَوَاشِيْهِ[1] ومَالِكَهُ   مِنَ العُيُوْنِ بِرَبِّ النَّاسِ والفَلَقِ

واهْنَأْ– أَبا خالدٍ – واللهُ يَحْرُسُكُمْ   وقَصْرَكُمُ وجَمِيْعَ الأَهْلِ والرُّفَقِ

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

---

[1] سُكّنت الياء في كلمة "حواشي" لضرورة الوزن.

شعر

السؤال والارتحال

تَجَلْمَدْتُ لَمَّا بَكَى لِيْ السُّؤَالْ ... وتُهْتُ على سَاجِيَاتِ الرِّمَالْ

أَهِيْمُ على الصَّحْصَحانِ الذي ... على مَتْنِه تَسْتَكِيْنُ التِّلالْ

بَعِيْدٌ عَنِ الدَّارِ لكِنَّ فِكْرِيْ ... يُحَدِّثُنِيْ أَنَّ فَيْفَا المَآلْ

فَفِيْها تَنَسَّمتُ زَهْرَ الصِّبا ... وأَسْمَارَ جَدٍّ وعَمٍّ وخَالْ

سُؤَالٌ مُمِرٌّ تَجَرَّعْتُهُ ... وفي مُهْجَتِيْ مِنْ جَوَاهُ اشْتِعَالْ

يُسَائِلُنِيْ عَنْ خَبَايَا الرُّبَى ... ونَشْوَى الغُيُوْمِ تَضُمُّ الجِبَالْ

وعَذْبِ التَّصَافِيْ وسِرِّ الهَوَى ... ونَجْوَى اللِّقَاءِ ورَشْفِ الزُّلالْ

ووَجْه الثُّرَيَّـــا يَغيْـــــبُ ويَبْـــدُوْ ... على شُرْفَـــةٍ مِنْ عَـــسِيْرِ المَنَـــالْ

وبَرْدِ العَشَايَا، وهَمْسِ الــصَّبَايَا، ... وعِطْـــرِ المُنَى، والهَـــنَا، والــدَّلالْ

وأَيْنَ الســـُّهُوْلُ؟ وأَيْنَ الحُقُـــوْلُ ... يَرِفُّ عليها نَـــسِيْمُ الــشَّـــمَالْ؟

وأَيْنَ الجُدُوْدُ؟ وأَيْنَ الــصُّمُـــوْدُ؟ ... وأَيْنَ الشُّـــمُوْخُ؟ وأَيْنَ الرِّجَـــالْ؟

أَتَـــى بَعْـــدَ أَفْـــذَاذهِمْ ثُلَّـــةٌ ... مَعَ الرَّوْدِ[1] تَجْرِيْ على أَيِّ حَـــالْ

فَأَزْعَرُهُمْ[2] حــــُوَّلٌ قُلَّـــــبٌ ... وأَرْدَؤُهُمْ كُـــلَّ مَـــا شَـــاءَ نَـــالْ

وأَعْجَبُهُمْ – إنْ تَأَمَّـــلْـــتَـــــهُ ... كَخُوْطِ الشَّفَى كُلَّمَا طَـــالَ مَـــالْ

وأَسْـــمَجُهُمْ مَنْ يَرَى نَفْـــسَـــهُ ... خَفيْفاً ويَهْوَى النُّفُـــوْسَ الثِّقَـــالْ

وأَيْنَ المُـــرُوْءَاتُ كَانـــَتْ هُـــنَا؟ ... تَسَـــامَتْ، عَلَيْها وِشَـــاحُ الجَلالْ

غَـــذَاهَا الأُلَى يَنْظِمُـــوْنَ النُّجُومَ ... عُقُوْدًا تُحَلِّـــيْ الرِّقَـــابَ الطِّـــوالْ

وأَيْنَ المَصَابِيْـــحُ لَيْـــلَ السُّـــرَى؟ ... تَوَارَتْ وأَبْقَتْ رُؤًى مِنْ وَبَـــــالْ

وأَيْنَ؟ وأَيْنَ؟ ومـــاذا أَقُـــــوْلُ؟ ... وقد نَدَّ عَنِّـــي جَـــوَابُ الــسُّؤَالْ

ومـــا كَـــانَ إلاّ كَمُـــسْتَنْطِقٍ ... جَمَادًا، ونُطْقُ الجَمَـــادِ مُحَـــــالْ

******

---

[1] الرّوْد: هنا، عملية الذهاب والمجيء في طلب شيء ما. والرّود من وصف الرِّيح أيضًا، يقال: "رِيْحٌ رَوْد"، أي رُخـــاء الهبوب. وقوله: "**مع الرَّوْد تَجْرِيْ على أيِّ حالْ**" كقولهم في دارجة البادية: "مع الخيل يا شقرا".

[2] الأزعر: الحَدَث السّنّ، واللّصّ النهّاب.

تَرَكْـــتُ السُّؤَالَ إلى مَرْتَـــــعٍ إلى مِثْلِــهِ يَحْسُـــنُ الانْتِقَــــالْ

ووَجَّهْتُ نِضْوِيْ إلى مَـــهْيَـــعٍ مَرِيْعٍ لِمَنْ يَعْشَقُ الارْتِحَـــــالْ

****** ******

حَلُمْتُ بِأَنِّي ارْتَقَيْتُ الـــسَّمَــاءَ وصَافَحْتُ في الحُلْمِ كَفَّ الهِـــلالْ

وأَنَّ الهَـــوَى يَـــسْتَدِرُّ الحَـــصَى ويَرْشُفُ مِنْ شَـــفَتَيْهَا الثِّمَــــالْ

ويَسْتَمْطِرُ الصَّخْرَ وَبْلَ الـــصَّـــفَا ويَزْرَعُ في القَفْرِ بِـــذْرَ الكَمَـــالْ

وفي الحَقْلِ أُغْرُوْدَةٌ مِنْ عَطَــــاءِ وفي البَيْتِ زُغْـــرُوْدَةٌ مِـــنْ نَـــوَالْ

وفي الخَـــشْعَةِ الْتَمعَـــتْ نَجْمَـــةٌ وأَشْرَقَ مِنْ مُقْلَتَيْـــهَا الوِصَـــــالْ

عَلَيْـــــهَا تَقَاسِــــيْمُ حُوْرِيَّـــةٍ تَتِيْـــهُ بِقَـــدٍّ وخَــــدٍّ وخَــــالْ

تَجَلْبَـــــبُ في دِرْعِـــــهَا دُرَّةٌ يَنُوْسُ علـــى أَخْـــدَعَيْهَا القَـــذَالْ

ولامَــسَ قَلْـــبِيْ ارْتِعَـــاشُ المُنَى وسَـــامَرَ جَفْنِيْ اجْـــتلاءُ الخَيَـــالْ

وقَدْ حَلَّتِ الشَّمْـــسُ في رَاحَـــتِيْ حِبَاهَـــا ومَـــدَّتْ عَلَيَّ الظِّـــلالْ

ورَشَّتْ عَلَـيَّ النُّجُـومُ النَّـدَى ... وأَرْخَتْ عَلَيَّ الـسُّتُوْرُ الطِّفَـالْ[1]

ورُحْتُ أُرَوِّيْ كُـؤُوْسَ الطِّـلا ... سُلافاً مِـنَ الخَنْـدَرِيْسِ الحَـلالْ

ودَثَّرَنِيْ طَـيْلَـسَـانُ الـدُّجَى ... نَسِيْجًا سَدَاهُ رِيَـاشُ الرِّئَـالْ

وفي مَرْقَـدِيْ يَـسْتَرِيْحُ الأَسَـى ... على نُمْرُقٍ مِنْ رُمُوْشِ الغَـزَالْ

ونَادَمْتُ غِرًّا كَـوَهْجِ الـسَّنَا ... على مَرْفَإٍ مِنْ مُحِـيْطِ اللَّيَـالْ

أُرِيْهَا السُّهَـا وتُرِيْنِيْ الثَّـرَى ... أُرِيْهَا الهُدَى وتُرِيْنِـيْ الـضَّلالْ

وفي الصُّبْحِ غَرَّدَ طَـيْفٌ صَـحَا ... على مَنْظَـرٍ مِنْ بَدِيْـعِ الجَمَـالْ

ورَأْدُ الضُّحَى يَسْـتَفِزُّ[2] الـرَّدَى ... على مُدْنَفٍ قَـدْ بَـرَاهُ الكَـلالْ

وكانَ على قَابِ قَـوْسِ المَـدَى ... سَـرَابٌ تَمَـاوَجَ في نَهْـرِ آلْ

عَجِبْـتُ لَهُ كَيْفَ – ويْلُمِّهِ – ... تَنَـاوَبُ في أَيْطَلَيْـهِ النِّـصَالْ؟!

---

[1] كأنه يعني بـ"الطِّفال": الطَّفَل، وهو الظُّلْمة الخفيفة، كظُلْمة قُبيل بزوغ الشمس، وقُبيل الغروب. ومنه قول **الطغرائي** في "لاميّة العجم":

مجديْ أخيرًا ومجديْ أَوَّلاً شَرَعٌ ... والشَّمْسُ رَأْد الضُّحَى كالشَّمْسِ في الطَّفَلِ

أمّا "الطُّفال" و"الطَّفال": فالطين اليابس. ولا وجه له هنا.

[2] في الأصل المخطوط: "يَسْتَقِرُّ"، فرجّحنا أن الكلمة: "يَسْتَفِزُّ".

وكَيْفَ يُقــَاوِمُ وَخْــزَ المُــدَى؟ ... وأَنَّى لَهُ الصَّــبْرُ والاحْــتِمَالْ؟!
يُدَارِيْ وقــَدْ لاحَ مِنْ وَجْهِــــهِ ... عتَابٌ ومِنْ عَيْنِه الــدَّمْعُ سَـــالْ
ومَــا إنْ يَــزَالُ علــى عَهْــدِهِ ... نَبيْلاً تَوَالَــتْ عَلَيْـــه النِّبَـــالْ
عــلى رُزْئِــهِ يَسْتَعــيــْنُ الذي ... عَلَيْــهِ المُعَــوَّلُ والاتِّــكَــالْ

إيحاءٌ من خَيْرَان

أَسْقَيْتُ مِنْ لُؤْلُؤٍ قنْدِيْلِيَ العَطِلا ... تَرَكْتُهُ فِي دَيَاجِيْ اللَّيْلِ مُشْتَعِلا

كَتَبْتُ مِنْ نَظْمِيَ المَوْزُوْنِ أُغْنِيَةً ... مِنْ خَاطِرٍ طَارِقٍ يَرْتَاحُ للفُضَلا[1]

هَزَزْتُ مِنْها عَمُوْدَ الشِّعْرِ فانْتَثَرَتْ ... أَوْزانُهُ فِي رِيَاضٍ تَزْرَعُ النَّفَلا

مِنْ بَيْتِ (خَيْرَانَ) جَاءَتْنِي القَوَافِيْ على ... نَجَائِبِ الرِّيْحِ تَجْتَازُ المَدَى عَجَلا[2]

سَكَبْتُ فيها حَدِيْثَ الرُّوْحِ مُنْدَفِقاً ... أَوْدَعْتُهَا الشَّوْقَ والتَّنْغِيْمَ والزَّجَلا

******

يا بَيْتَ خَيْرَانَ يا أُمْنِيَّةً طَمَحَتْ ... بِصَاحِبِ البَيْتِ حتى حَقَّقَ الأَمَلا

بَنَاهُ "يَحْيَى" بِتَفْكِيْرٍ فأَفْرَحَنَا ... يَا رَبِّ تُفرِحُهُ أَدْعُوْكَ مُبْتَهِلا

دَاوَيْتَ قَلْبًا جَرِيْحًا كانَ مُكْتَئِبًا ... يا فَرْحَتِيْ اليَوْمَ طَابَ الجُرْحُ وانْدَمَلا

عِنْدِيْ مِنَ "الضَّغْط" أَرْقَامٌ مُضَاعَفَةٌ ... لكنَّ "ضَغْطِي" أَمَامَ البَيْتِ قَدْ نَزَلا

أُعِيْذُ قَصْرَكَ بالرَّحَمَنِ مِنْ حَسَدٍ ... أو نَظْرَةٍ دَبَّ فيها الشَّرُّ واشْتَعَلا

---

[1] "للفضلا": للفضلاء، قصر فيها الممدود لضرورة القافية.

[2] "خَيْران": اسم منزل شقيق الشاعر، الأستاذ يحيى بن محمّد الحَكَمي الفَيْفي.

قَصْرٌ تَرَبَّعَ في خَيْرَانَ مُنْفَرِداً ... ما الأَبْلَقُ الفَرْدُ في تَيْمَاءَ إلاَّ كـ"لا"

يَضُمُّ مِنْ لَمَسَاتِ العَصْرِ بَهْرَجَهُ ... وفِيْهِ فَنٌّ مِنَ الماضِيْ وما حَمَلا

أَرْسَلْتُ فِيْهِ عِنَانَ الفِكْرِ أَسْبُرُهُ ... ومِنْ عُلاَهُ رَأَيْتُ السَّهْلَ والجَبَلا

وعُدْتُ للماضِي المَهْزُوْمِ مُعْتَبِراً ... وماضِي الدَّهْرِ عِنْدِيْ ليسَ مُتَّصِلا[1]

******

يا بَيْتَنَا الأَوَّلَ المَحْزُوْنَ مَعْذِرَةً ... إذا تَحَدَّاكَ مَنْ رَبَّيْتَ وارْتَحَلا

لَسَوْفَ تَبْقَى بإِذْنِ اللهِ مُنْتَصِبًا ... ولَنْ تَصِيْرَ حُطَامًا دارِسًا طَلَلا

ذِكْرَاكَ في جُلْجُلانِ القَلْبِ رَاسِخَةٌ ... مَهْمَا بَنَيْنَا قُصُوْراً كانَ أَمْ "فلَلا"

بَيْتٌ سَفَفْتُ الثَّرَى مِنْ تُرْبِ عَرْصَتِهِ ... فَطَابَ لِيْ لَذَّةً طَعْمُ الثَّرَى وَحَلا

إذا تَمَعَّنْتُ في أَدْوَارِهِ زَمَنًا ... رَأَيْتُ في صَدْرِهِ آبَائِيَ الأُوَلا

فَتُشْرِقُ الشَّمْسُ في قَلْبِيْ وتَعْرُجُ بِيْ ... بَوَاعِثُ الفَخْرِ حتى أَمْتَطِيْ زُحَلا

لا أَنْسَ مَدْرَجَ عُمْرِيْ الغَضِّ مُبْتَهِجاً ... في دَارَةٍ ذُقْتُ فيها المُرَّ والعَسَلا

لا أَنْسَ فِيْكَ الحَنَانَ الجَمَّ أَرْضَعُهُ ... صَبْراً يُعَلِّمُنِي أَنْ أَمْقُتَ الوَجَلا

أَتُوْقُ يا مَجْمَعَ الأَحْبَابِ أَنَّ لَنَا ... يَوْماً أَقُوْمُ خَطِيْباً فِيْكَ مُرْتَجِلا

أَبُثُّكَ الحُبَّ مِنْ (خَيْرَانَ) يَسْكُبُهُ ... في صَحْنِكَ الرَّثِّ بَيْتٌ بَاتَ مُكْتَمِلا

******

يا بَيْتَنَا، يا طَوِيْلَ العُمْرِ، مَوْعِظَةً ... لا تَفْتَحِ البَابَ للأَنْذَالِ والبُخَلا[2]

---

[1] يلزم تحريك ياء كلمة "ماضي" في الشطرين ليستقيم الوزن.

[2] البخلا: البخلاء.

لا يَـــدْخُلَنَّكَ إلاَّ الـــشَّهْمُ تُرْشِـــفُهُ مِنْ مَنْبَعِ الخَيْـــرِ لا تَبْغِـــيْ بِـــهِ بَـــدَلا
قَدِّمْ لنَفْـــسِكَ تَلْـــقَ الـــدَّرْبَ مُتَّـــسِعاً فـــاللهُ سُـــبْحانَهُ مـــا ضَـــيَّقَ الـــسُّبُلا

****** ******

يا سَـــاكِناً بَـــاتَ في خَيْـــرَانَ مُغْتَبِطًـــا مُعَمَّمًـــا بِنَـــسِيْجِ النُّبْـــلِ مُـــشْتَمِلا
بُوْرِكْـــتَ واهْنَـــأْ جَـــزَاكَ اللهُ مَغْفِـــرَةً لا بُدَّ مِنْ مَسْجِدٍ تُحْلِـــيْ بِـــهِ العَمَـــلا
يُجَلْجِلُ الصَّـــوْتُ بالتَّكْبِيْـــرِ مُرْتَفِعـــاً يُعَطِّـــرُ التَّـــلَّ والوِدْيَـــانَ والقُـــلَلا

❑❑❑

نسيحة

حَلَّ شَــهْرُ الصِّيامِ والبَدْرُ هَــلاَّ ... أَلْفُ طُــوْبَى لِمَنْ تَزَكَّــى وصَلَّــى

يا رَعَــى اللهُ أَنفُســاً طَاهــرَات ... في المَحَارِيْــبِ ، والتَّرَاتِيْــلُ تُتْــلَى

يا ضِيَاءَ الصِّيامِ – فَضْلاً – أَنِرْ لِيْ ... ظُلْمَةَ الدَّرْبِ واجْعَلِ الصَّعْبَ سَهْلا

طَهِّرِ النَّفْسَ مِنْ ذُنُــوْبٍ تَوَالَــتْ ... عَبَّ مِنْهــا الْمُلِــيْمُ نَهْــلاً وعَــلاّ

أَسْلَمَتْ مُهْجَتِــيْ وذَلَّ كِيَــانِيْ ... لَكَ يــا بَــارِئِيْ جَنَانًــا وعَقْــلا

* * * * *

يا وُجُوْهاً على الثَّرَى سَــاجِدَات ... لِجَــلالِ الْمُهَــيْمِنِ لَــيْسَ إلاّ[١]

لم تُعَفِّــرْ جِبَاهَهَــا في خُنُــوْعٍ ... لِسِوَى اللهِ قَــطُّ حَاشَــا وكَــلاّ

أَنَا مِــنْهُمْ لكِــنَّ قَلْبِــيْ حَدِيْــدٌ ... فَأَلِنْــهُ يَــا رَبُّ مَنًّــا وفَــضْلا

* * * * *

فَرْحَةُ الصَّوْمِ في النُّفُوْسِ سَجــَايَا ... كُلُّ نَفْــسٍ بِمَقْدَمِ الصَّــوْمِ جَذْلَى

---

[١] كسرة النون في كلمة "المهيمن" مشبعة.

مِنْ رَحِيْــقِ الإِيْمَـــانِ تَلْتــَذُّ أَرْوَا ... حٌ تَسَـــامَتْ لعَفْـــوِ رَبٍّ تَجَــلَّى

تَتَبَارَى فِي حَلْبَــةٍ مِــنْ صَــفَاءٍ ... كُلُّ مَنْ فَازَ حَـــازَ قَــدْحاً مُعلَّـــى

فِي رِحَابِ الصِّيَامِ، فِي طَاعَةِ اللـــ ... ـــهِ امْتِثَالاً، لَذَائِذُ الـــنَّفْسِ تَبْلَـــى

* * * * *

يُقْبِلُ اللَّيْـــلُ يَتَهَـــادَى مُـــسَجًّى ... بِرِدَاءِ السُّكُوْنِ ، واليَـــوْمُ وَلَّـــى[١]

واشْرَأَبَّتْ تِلْكَ المَلايِـــيْنُ تَهْفُـــوْ ... لِمَنَـــارِ التَّوْحِيْـــدِ ، واللهُ أَعْلَـــى

وإذا بِـــالنُّفُوْسِ تَـــصْفُوْ وتَعْلُـــوْ ... لِـــسُمُوِّ الأَخْـــلاقِ قَـــوْلاً وفِعْـــلا

فِي صَلاةِ القِيَـــامِ تَنْـــسَابُ أَنْهَـــا ... رٌ عِذَابٌ مِثْـــلُ الرَّحِيْـــقِ وأَحْلَـــى

مَعْ نَسِـــيْمِ الأَسْحَارِ تُلْقِيْ الأَمَانِيْ ... مِنْ تَبَاشِـــيْرِهـَــــا رَذَاذاً وطَـــلاّ

تَسْكُبُ الرِّيَّ فِي قُلُوْبٍ عِطَـــاشٍ ... لِمَعِـــيْنِ الـــرحمنِ خَوْفـــاً وذُلاّ

مِنْ تَسَابِيْحِ خَالِقِ الكَـــوْنِ رَبِّـــي ... تُزْهِـــرُ الكَائِنَـــاتُ بِـــرًّا وعَـــدْلا

* * * * *

يا لُحُـــوْنَ المَـــآذِنِ كُـــلَّ فَجْـــرٍ ... تَرْتَجِـــيْ رَبَّهـــا العَزِيْـــزَ الأَجَـــلاّ

أَيْقِظِيْنِيْ بِصَوْتِكِ العَـــذْبِ إِنِّـــيْ ... سَــــادِرٌ فِي مَلاعِبِـــــيْ أَتَـــــسَلَّى

وخُـــذِيْنِيْ إِلى المُـــصَلَّى فَـــإِنِّيْ ... ذُبْتُ شَـــوْقاً إِلى جَـــلالِ المُـــصَلَّى

أَرْشِفِيْنِيْ فَرِيْضَةَ الـــصُّبْحِ عَـــذْباً ... سَلْسَلاً مِنْ نَمِيْـــرِ نَهْـــرٍ مُحَلًّـــى

---

[١] الشطر الأول غير مستقيم وزنًا، ولو قال: "يُقْبِلُ اللَّيْلُ فِي تَهَادٍ، مُسَجًّى"، لاستقام.

أَعْتقِيْنِيْ مِنْ رِقِّ نَفْــسِيْ وحُلِّــيْ ... مِنْ وَثَاقِيْ فَقَــدْ أَبَــى أَنْ يُحَــلاّ

* * * * * ... * * * * *

إِيْهِ يا نَفْسُ كَيْفَ تَبْغِــيْنَ جُــوْداً ... مِنْ كَرِيْمٍ وقَدْ تَوَشَّحْتِ بُخْــلا؟!

أَقْرِضِيْ اللهَ لِلْمَــسَاكِيْنِ قَرْضــاً ... أَفْرِحِيْ ثَــاكِلاً وشَــيْخاً وطِفْــلا

وازْرَعِيْ فِي مَنَابِتِ الخَيْــرِ طُهْــراً ... وانْثُرِيْ فِي مَــوَاطِنِ الطُّهْــرِ فُــلاّ

واجْعَلِيْ اللَّيْلَ مُشْــرِقاً بالمَثَــانِيْ ... واسْــتَنِيْرِيْ كَفَــى ظَلاَمــاً وجَهْلا

۞۞۞

يا أساطينَ نهضةِ العلمِ مرحَى !

فَوْقَ أَرْضِ الشَّمَالِ بُوِّئْتَ سَهْلاً — وعلى الرَّحْبِ والسَّمَاحَةِ أَهْلا

فَيْضُ حُبٍّ يَفُوْحُ مِنْ شِيْحِ أَرْضِيْ — لِرَئِيْسٍ قَدْ حَازَ عِلْماً وفَضْلا

عِشْتَ يا قَاطِعَ المَسَافَاتِ قَصْدًا — تَحْتَفِيْ بالشَّمَالِ بِرًّا ووَصْلا

انْظُرِ الغَرْسَ مُثْمِرًا في رُبَاها — بِعُلُوْمٍ مِنْ لَذَّةِ الشَّهْدِ أَحْلَى

حِيْنَ خُضْتَ الغِمَارَ عَزْمًا وحَزْمًا — لِقِيَادِ السَّفِيْنَةِ كُنْتَ أَهْلا[1]

قُدْتَها والرِّيَاحُ تَجْرِيْ رُخاءً — تَحْمِلُ العِلْمَ كالمَنَارَاتِ حَمْلا

***

يا بِلادًا تَمُوْجُ دُرًّا وتِبْرًا — بَعْدَ أَنْ كَانَ مَوْجُها أَمْسِ رَمْلا

أَضْحَتِ اليَوْمَ في نَعِيْمٍ مُقِيْمٍ — فاسْتَظَلَّتْ عِلْمًا و أَمْنًا وعَدْلا

هذِهِ الأَرْضُ تَرْفَعُ الرَّأْسَ فَخْرًا — أَرْضَعَتْنَا بالعِزِّ طِفْلاً وكَهْلاً

قَادَها الفَهْدُ قائِداً عَبْقَرِيًّا — قَتَلَ الجَهْلَ بالمَدَارِسِ قَتْلا

حِيْنَمَا خَطَّ للمَعَارِفِ خَطًّا — في الطَّرِيْقِ القَوِيْمِ مَعْنًى وشَكْلا

[1] كسرة التاء في كلمة "السفينةِ" مشبعة، ضرورةً.

صَادِعاً فِي الدُّنَـا بِصَوْتٍ يُـدَوِّي ... أَبْشِرِيْ يا بِلادُ، فالجَهْـلُ وَلَّـى
همَّـةٌ كالجبَالِ، عِـزًّا، ومَجْـداً، ... مِنْ نجَارٍ قد طَابَ فَرْعاً وأَصْـلا
حَثَّ رَكْبَ التَّعْلِيْمِ يَعْـدُوْ سَرِيْعًا ... لم يَقُـلْ للرَّكْـبِ المُغذِّيْـنَ مَهْلا
جَامِعَاتٌ سَبْـعٌ وحَشْدٌ عَظِيْـمٌ ... مِنْ عُلُـوْمٍ قَدِيْمُهـا لَيْسَ يَبْلَـى
ثُمَّ سَارَ الجَدِيْـدُ مِنْ كُلِّ عِلْـمٍ ... فِي رِكَـابِ القَدِيْمِ يُمْلَى ويُتْلَـى
أَنْتَجَتْ هـذه المَفَـازَاتُ فِكْـراً ... واخْتَفَى فِي الرَّغَامِ ما كَانَ جَهْـلا
بِجَنَاحَيْـنِ رَفْرَفَتْ واشْرَأَبَّتْ ... لِمَكَانِ النُّجُـوْمِ تَرْنُـوْ وأَعْلَـى
وبِجِنْسَيْـنِ فـي سِبَـاقٍ دَؤُوْبٍ ... حَلَّقَتْ فِي السَّمَـاءِ قَوْلاً وفِعْـلا
واستَمَرَّتْ كَوَاكِبُ[١] النُّوْرِ تَتْـرَى ... فاستَنَـارَ الإنسـانُ قَلْبـاً وعَقْلا

***

يا أَسَاطِيْنَ نَهْضَةِ العِلْمِ مَرْحَـى ... حِيْـنَ نَجْنِيْ الثِّمَارَ دُرًّا وأَغْلَـى

---

[١] في إحدى النُّسخ: "قوافلُ".

مِنْ تُرَاثِ الإسلامِ نَبْنِــيْ صُرُوْحاً   شَــامخَــاتٍ تَتِيْــهُ حُسْنــاً ودَلاّ

وعلــى مَنْهَــجِ الرَّسُــولِ نُرَبِّيْ   خَيْــرَ جيْــلٍ مُحَصَّــنٍ ليس إلاّ

ونــَرُدُّ المِـــراءَ رَدًّا عَفِيْفــــاً   ونَزِيْـــدُ الغُثَـاءَ مَقْتــاً وذُلاّ

ونَقُــوْلُ لزُمْــرَةِ الزَّيْفِ مُوْتُــوا   فالكَــلامُ الرَّخِيْصُ أَضْحَى مُمِــلاّ

***

وطَــنَ الخَيْــرِ والفَخــَارِ، سَلامــاً   يا شَبِيْهَ السَّحَابِ وَبْلاً وبـَــذْلا

كَمْ رَشَفْنا مِنْ نَبْعِكَ الثَّــرِّ عَذْبــاً   كَمْ قَطَفْنَا مِنْ رَوْضِ أَرْضِكَ فُــلاّ

***

يا رِيَاضَ الشَّمَالِ والأَمْنُ ضــَافٍ   مِنْ أَمِيْرٍ قَدْ سَلَّ للأَمْــنِ نَصْــلا

حَارِسٌ فــَارِسٌ كلَيْــثٍ هَصُــوْرٍ   مِنْ عَرِيْــنِ الضَّيَاغِــمِ[1] كانَ شِبْلا

يَقْهَرُ البَغْيَ، يَعْشَقُ المَجْدَ، شَهْــمٌ   قادَ أَرْضَ الشَّمــَالِ حَزْمــاً ونُبْلا

أَنْتَ في أَرْضِهــَا أَمِيْــنٌ وأَمْـــنٌ   يا سَلِيْــلَ الأُبــَاةِ أَصْــلاً وفَصْلا

[1] يلزم إشباع كسرة الميم في "الضياغم"، ليستقيم الوزن.

أَيْنَعَــتْ بالعُلُوْمِ في كـُـلِّ فَـــنٍّ   بَاسِقَاتُ الشَّمَــالِ حَزْنــاً وسَهْلا

***   ***

يَحْفَــظُ اللهُ رَائـِـدَ العِلْمِ فَهْـــداً   حَيْثُمَــا كـَـانَ راحِلاً أو مُحِــلاّ

يَعْمَلُ الخَيْرَ في رِضـًـى وسُكُــوْنٍ   ليــسَ كالأَدْعِيَاءِ زَمْراً وطَبْـــلا

نَذَرَ النَّفْسَ للعَطـــَاءِ وأَوْفَــى،   تَحْتَ ظِلِّ الإسلامِ كَمْ لَمَّ شَمْــلا

📖📖

خازن الماء

تَذَكَّرْتُ وَادِيْ (الفَاحِمِ)[١] الوَارِفَ الظِّلِّ
وأَشْجَارَهُ تَزْدَانُ بِالزَّهْرِ والطَّلِّ

تَذَكَّرْتُهُ في لَيْلَةٍ مُدْلَهِمَّةٍ
غُدَافِيَّةٍ لا يُهْتَدَى مَوْضِعُ الرِّجْلِ

تَذَكَّرْتُ حَبَّاتِ الحُصَيَّاتِ عِنْدَمَا
تُجَرِّحُ أَقْدَاماً تَجَرَّدْنَ مِنْ نَعْلِ

تَذَكَّرْتُ أَشْوَاكَ السَّيَالِ تَشُكُّنِيْ
بِوَخْزٍ يُضَاهِيْ وَخْزُهُ إِبْرَةَ المَصْلِ

فَطَارَتْ بِيَ الأَحْلامُ للشَّوْكِ والحَصَى
وهَاجَتْ بِيَ الأَشْوَاقُ للزَّرْعِ والحَقْلِ

وما أَرْوَعَ الذِّكْرَى وأَجْمَلْ بِطَيْفِهَا!
لِتَخْفِيْفِ أَحْزَانِيْ وإِنْ كانَ لا يُسْلِيْ

وما أَبْدَعَ الوَادِيْ! وجَلَّتْ يَدُ الذي
حَبَاهُ جَمَالاً في سِنِيْ الغَيْثِ والمَحْلِ

فَفِيْ دَوْحِهِ الفَيْنَانِ ذِكْرَى جَمِيْلَةٌ
مَرَاتِعُ طِفْلٍ كانَ نَاهِيْكَ مِنْ طِفْلِ!

* * * *

[١] الفاحِم: اسم وادٍ، تابع لآل بِلْحَكَم (آل أبي الحَكَم)، في الجبل الأسفل من جبال فَيْفاء، كان معيْنًا، يستقي الناس منه، ولا سيما في سنين القحط.

تَشُطُّ بِيَ الأَحْلامُ والفِكْرُ جَامِحٌ وأَسْتَعْرِضُ الأَحْدَاثَ تَتْرَى على مَهْلِ
خَيَالِيْ سَرَى يَرتَادُ مَشْهَدَ مَوْلِدِيْ يُجَدِّدُ فِي قَلْبِيْ الهَوَى والهَوَى شُغْلِيْ
يُؤَجِّجُ نَاراً كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ خَبَتْ يُؤَرِّثُهَا التَّذْكَارُ بالحَطَبِ الجَزْلِ
وكَمْ عَاشِقٍ قَدْ لَوَّعَ الصَّدُّ قَلْبَهُ يُسَامِرُ لَيْلاً لم يَذُقْ فِيْهِ مِنْ وَصْلِ
تُعَلِّلُهُ الآمَالُ بالوَهْمِ والمُنَى وتُصْلِيْهِ نَاراً فِي جَوارِحِهِ تَقْلِيْ
وكَمْ لَيْلَةٍ غَطَّى الغَمَامُ نُجُوْمَهَا وأَرْجَفَتِ الأَرْجَاءُ بالبَرْقِ والوَبْلِ
يَهُزُّ أَزِيْزُ البَرْقِ والرَّعْدِ والصَّدَى حِجَى ظَبْيَةِ الوَادِيْ فَتَأْوِيْ إلى الشِّبْلِ

* * * *

تَسَلَّلَتِ الأَحْدَاثُ مِثْلَ قَصِيْدَةٍ صَدَاهَا بِوَادِيْ الحُبِّ مُحْكَمَةَ الجَدْلِ
بِوَادِ رُؤَاهُ فِي خَيَالِيْ رِوَايَةٌ مُمَثَّلَةٌ بالمَشْهَدِ الحَيِّ والفَصْلِ
تَكَنَّنْتُ فِي غِيْرَانِهِ مَعْ صَحَابَةٍ بِهِمْ تُشْرِقُ الدُّنْيَا وإِنْ أَظْلَمَتْ مِثْلِيْ
نَخُوْضُ أَحَادِيْثَ الأَسَاطِيْرِ تَارَةً وأُخْرَى حَدِيْثَ الجِدِّ يَنْآ عَنِ الهَزْلِ
ويَسْتَقْبِلُ الوَادِيْ مِنَ السَّيْلِ مَا بِهِ يَعُوْدُ على الخِلاَّنِ بالبَيْنِ والبَتْلِ[1]

---

[1] البتْل: القطع، أي الفراق هاهنا.

فتَمْتَزِجُ البُشْرَى مَعَ الحُزْنِ والأَسَى   أَجَلْ، حَيْثُ حَانَتْ بالحَيَا فُرْقَةُ الشَّمْلِ

* * * *   * * * *

حَنَنْتُ إلى المَاضِيْ السَّحِيْقِ فَحَلَّقَتْ   بيَ الرُّوْحُ تَطْوِيْ البِيْدَ بالمِيْلِ و"المِلِّيْ"

أَيَا وَارِدَاتِ المَاءِ ما أَجْمَلَ الــصِّبَا!   مَثَلْنَ أَمَامِيْ باسِــقَاتٍ مِــنَ النَّخْــلِ

أَنَا باعْتِبَــارِيْ "خَازِنــاً" مُتَمَرِّسًــا   يُكَلِّفُنِيْ بالذَّوْدِ عَنْ حَوْضِهِمْ أَهْلِــيْ

حَمَيْتُ حِمَى مَاءِ المَنَاهِلِ في الضُّحَى   ولكـــنَّني في اللَّيْـــلِ آهٍ مِـــنَ اللَّيْـــلِ

أَنَامُ وأُرْخِيْ الجَفْنَ والقَلْبُ مَا بِــهِ   سِوَى الحُبِّ والتَّفْكِيْرِ والطَّيْشِ والجَهْلِ

وتَغْزُوْ فتاةُ المَكْرِ كاللِّصِّ في الدُّجَى   وتَحْظَى بمَغْزَاهَا وتَنْــسَابُ كالــصِّلِّ

تَدُبُّ بلُطْــفٍ واختِفَــاءٍ وخِفَّــةٍ   ومَا رَاعَنِيْ مِنْهَا سِوَى سُرْعَةِ النَّــذْلِ

* * * *   * * * *

وأُخْرَى خِدَاعاً تُظْهِرُ الحُبَّ شَــدَّهَا   إليَّ وُجُوْدُ المَاءِ ما شَــدَّهَا شَــكْلِيْ

بَذَلْتُ لَهَا مَــاءَ الحَيَــاة فأَظْمَــأَتْ   فُؤَادِيْ وكَانَتْ تَدَّعِيْ أَنَّهَــا خِلِّــيْ

وأَصْفَيْتُهَا مَــاءَ الوِدَادِ فَأَهْمَــلَتْ   وِدَادِيْ فَثَــارَ الغَيْظُ في القَلْبِ كالمُهْلِ

وقَالَتْ لَكَ العُتْبى ودَعْنِــيْ فِــإِنَّنِيْ   مُدَلَّهَـــةٌ في رُؤْيَـــةِ المَـــاءِ والـــسَّجْلِ

* * * *   * * * *

وهَيْفَاءَ تَبْدُوْ في جَلابِيْـــبِ مُـــدْنَفٍ   ولكنَّها كالـــذِّئْبِ في الغَـــدْرِ والخَتْـــلِ
غَرِيْبَـــةُ دَارٍ لَـــيْسَ بَيْنِـــيْ وبَيْنَهَـــا   وشَـــائِجُ تُـــدْنِيْنَا ولا أَصْـــلُهَا أَصْـــلِيْ
رَمَتْنِيْ بِسَهْمِ العَيْنِ وافْتَـــرَّ ثَغْرُهَـــا   ومَاسَتْ بغُصْنِ البَانِ والغُـــنْجِ والـــدَّلِّ
رَأَتْ جِسْمِيَ الذَّاوِيْ فَهَبَّتْ تَقُوْدُنِيْ   لِتَسْقِيَنِيْ مِـــنْ مَنْهَـــلٍ آسِـــنٍ ضَـــحْلِ
وأَصْبَحْتُ كالمَأْسُوْرِ في مُلْكِ ظَـــالِمٍ   يَنُوْءُ بِثِقْـــلِ الأَسْـــرِ والمَكْـــرِ والغِـــلِّ
فَقَالَتْ: لَعَلَّ الحُبَّ أَضْنَاكَ يَـــا فَتَـــى   فقُلْتُ: أَجَلْ، بالحُبِّ أَسْـــمُوْ وأَسْـــتَعْلِيْ
أَنَا بِـــالغَوَانِيْ تَائِـــهُ العَقْـــلِ هَـــائِمٌ   ويُـــصْمِيْنَنِيْ بِالقَـــدِّ والأَعْـــيُنِ النُّجْـــلِ
يُدَاعِبُ قَلْبِيْ صَـــوْتُهُنَّ وَمَـــسْمَعِيْ   بِرِقَّـــةِ أَنْغَـــامٍ وبِـــالكَلِمِ الـــسَّهْلِ
وَكُنْـــتُ إِذَا شَـــاهَدْتُ آلاً بِقِيْعَـــةٍ   حَثَثْتُ إِلَيْهِ الرَّكْبَ مِـــنْ شِـــدَّةِ الغُـــلِّ

* * * *   * * * *

وَغَيْدَاءَ كَانَـــتْ بالجَمَـــالِ مُدِلَّـــةً   مِنَ البِيْضِ لَمْ تَعْرِفْ سِوَى العِطْرِ والكُحْلِ
تُظَلِّلُ بَـــدْرَ الـــتَّمِّ رَابِـــعَ عَـــشْرَةٍ   إِذَا أَرْسَلَتْ لَيْلاً مِـــنَ الـــشَّعَرِ الجَثْـــلِ
سَـــقَتْنِيْ وعَلَّـــتْنِيْ رَحِيْقَـــاً مُعَتَّقَـــاً   مِنَ الحُبِّ أَغْنَانِيْ عَنِ الشُّرْبِ والأَكْـــلِ

عَلقْتُ بهَا حَسْناءَ في مَيْعَــةِ الــصِّبَا ... فَهَامَتْ بِهَا رُوْحِيْ وَجُنَّ بِهَــا عَقْلِــيْ

وقَرَّرْتُ لُقْيَاهَا لَدَى كُــلِّ مَــسْرَحٍ ... ولا أرْعَوِيْ للنُّــصْحِ واللَّــوْمِ والعَــذْلِ

تَشِحُّ بمَسِّ الكَفِّ إنْ قُلْتُ مَرْحَبــاً ... فيَقْوَى رِبَاطُ الحُبِّ بالــشُّحِّ والبُخْــلِ

وأَصْبَحْتُ كالمَمْسُوْسِ أَهْذيْ بِهَا ولا ... أُفَرِّقُ بَيْنَ التُّرْبِ والتِّبْــرِ مِــنْ خَبْلِــيْ

صَبَوْتُ إِلَيْهَــا مُطْمَئنًّــا فَــصَوَّبَتْ ... إلى كَبِديْ رُمْحاً فغَــاصَ إلى النَّــصْلِ

ولَمَّا رَأَتْنِــيْ غَارِقــاً في مُحِيْطِهَــا ... أُصَارِعُ أَمْوَاجاً وقَــدْ أَيْقَنَــتْ قَتْلِــيْ

أَطَاعَتْ بِيَ الوَاشِيْ الحَسُوْدَ وشَذَّبَتْ ... شُجُوْناً منَ القُرْبَى تَفَرَّعْنَ مِــنْ أَصْــلِ

وَقَالَتْ: هِيَ الأَقْدَارُ والأَهْلُ فَكَّــرُوا ... بتَفْرِيْقِنَا لا بُوْرِكَــتْ فِكْــرَةُ الأَهْــلِ

فَحَاوَلْتُ شَدَّ الحَبْلِ بَيْنِــيْ وبَيْنَهَــا ... ولكنَّهَــا في نَــزْوَةٍ صَــرَّمَتْ حَبْلِــيْ

وَكُنْتُ أَرَى أَنِّــيْ ظَفِــرْتُ بِــدُرَّةٍ ... ولكنَّهَــا كَانَــتْ كَنَاقِــضَةِ الغَــزْلِ

ومَا عَــشَمِيْ إلاَّ سَــحَابَةٌ انْجَلَــتْ ... عَنِ الرَّيْبِ والتَّسْوِيْفِ والوَعْدِ والمَطْــلِ

* * * *

فَإِنْ عِشْتُ للذِّكْرَى وَفِيًّــا بحَقِّهَــا ... فَكَمْ عَاشِقٍ هَيْمَانَ قَدْ عَاشَــهَا قَبْلِــيْ

ولكنَّنِيْ في عِــزَّةِ الــنَّفْسِ شَــامِخٌ ... فلا هِمَّتِــيْ تَرْضَــى بِــضَعْفٍ ولا ذُلِّ

ولا شِيْمَتِيْ تَنْدَاسُ في مَوْطِئِ الثَّــرَى ... ولا سِيْرَتِيْ تَــنْحَطُّ كالــسَّاقِطِ النَّــذْلِ

ولَــوْ أَنَّ فَــرْداً يَزْدَرِيْنِــيْ فَــإِنَّنِيْ ... أَرَاهُ صَغِيْرَ الحَجْمِ مِــنْ زُمْــرَةِ النَّمْــلِ

وإِنْ كَانَ صَمْتِيْ نَابِعاً مِنْ سَــجِيَّتِيْ ... فَلَــسْتُ بِهَيَّــابٍ مَهِــيْنٍ ولا وَغْــلِ

على ضَعْفِ جسْمِيْ والْتِهَابِيْ وَلَوْعَتِيْ ... حَمَلْتُ هُمُوْمَ الدَّهْرِ حِمْلاً على حِمْـــلِ
تَرَسَّمْتُ دَرْباً في حَيَــاتِيْ مُحَــدَّداً ... بَعِيْداً عَنِ التَّهْوِيْـــلِ والزَّمْـــرِ والطَّبْـــلِ
نَشَأْتُ على حُبِّ المَكَــارِمِ والعُلَـــى ... كَبَحْتُ لِذَاكَ النَّفْسَ بالكَبْـــلِ والقُفْـــلِ
سِهَامُ الدَّوَاهِيْ جَرَّحَتْنِيْ وأَجْهَـــزَتْ ... على جَسَدِيْ ماذا جَنَيْتُ وما فِعْلِـــيْ؟!
وعَادَتْ مِنَ الجِسْمِ النَّحِيْـــلِ رَوِيَّـــةً ... عَدِمْتَ يَداً يا صَانِعَ القَـــوْسِ والنَّبْـــلِ!
وإِنَّ عَزَائِـــيْ اليَـــوْمَ أَنِّـــيْ مُكَـــرَّمٌ ... وأَنَّ أُصَـــيْحَابِيْ ذَوُوْ القَـــدْرِ والنُّبْـــلِ

* * * *

ألا يَا صَبَا فَيْفَا ويَا مَـــسْرَحَ الـــصِّبَا ... ذَكَرْتُكِ في بُعْدِيْ فَهَاجَ الهَـــوَى يَغْلِـــيْ
ذَكَرْتُ مَغَانِيْ اللَّهْوِ والزَّهْوِ والهَـــوَى ... ذَكَرْتُ مَبَانِيْ الأُنْسِ والوَجْدِ والعَـــدْلِ
ذَكَرْتُ شَبَابَ الحُبِّ والصِّدْقِ والوَفَا ... ذَكَرْتُ أَيَادِيْ الـــوُدِّ والجُـــوْدِ والبَـــذْلِ
ذَكَرْتُ بِلاداً قَدْ سَـــفَفْتُ تُرَابَهَـــا ... مَدِيْنٌ لَهَا بِـــالبِرِّ والعَطْـــفِ والفَـــضْلِ
مَرَاتِـــعَ آرَامٍ ومَلْهَـــــى جَـــآذِرٍ ... ومُنْتَـــزَهَ الخِـــلاَّنِ في التَـــلِّ والـــسَّهْلِ
سَرَى عَبَقُ الوَادِيْ وما أَبْعَدَ السُّرَى! ... تَضَوَّعَتِ الأَزْهَارُ أَزْكَـــى مِـــنَ الفُـــلِّ
سَرَى يَقْطَعُ الأَمْيَالَ في حَلْكَةِ الدُّجَى ... يَحُثُّ رِكَابَ العِطْرِ بالعِطْرِ مِنْ أَجْلِـــيْ
شَمَمْتُ بِهِ عَرْفَ السَّمَاحَةِ والنَّـــدَى ... وخِلْتُ بِهِ مَزْجًا مِـــنَ الـــضِّغْنِ والتَّبْـــلِ
يُعِيْدُ لِيَ الذِّكْرَى الجَمِيْلَـــةَ بَعْـــدَمَا ... مَضَتْ حَيْثُ لاتُرْجَى،فَمَنْ لِيْ بِهَا مَنْ لِيْ؟!
وقَدْ يُسْعِفُ المَاضِيْ بِمَا لا يَـــسُرُّنِيْ ... مِنَ الكَدْحِ والأَمْرَاضِ والفَقْرِ والجَهْـــلِ

ولكنَّهُ في بَعْــضِهِ العِلْــقُ مَــا لَــهُ　　مَثِيْلٌ سِوَى المُشْتَارِ مِنْ عَــسَلِ النَّحْــلِ

* * * *　　* * * *

سَلامِيْ على الأَحْبَابِ في المَوْطِنِ الذي　　رُؤَاهُ نَــدِيْمِيْ في رَحِيْلِــيْ وفي حِلِّــيْ

مَنارٌ سَــمَا بالعِزِّ والقَدْرِ لَــمْ تَــزَلْ　　سَــحَائِبُهُ بِــالقَطْرِ دَائِمَــةَ الهَطْــلِ

وأَزْكَــى تَحِيَّــاتِيْ إلى كُــلِّ ذَرَّةٍ　　وكُلِّ غُصَيْنٍ مِنْ نَدَى الطَّــلِّ مُخْــضَلِّ

تَحِيَّــاتِ مَلْهُــوْفٍ تَغَرَّبَ واكْتَوَى　　بِنَارِ النَّوَى، يَشْــدُوْ بِهَا عَــدَدَ الرَّمْــلِ



وداع الأمثل[1]

يا شعْرُ هَلْ لَكَ في وداعِ الأمْثَلِ ... مِمَّنْ عَرَفْتَ مِنَ الرجالِ الكُمَّلِ
مِنْ إخْوَةِ الدِّيْنِ الحَنِيْفِ ومَنْ لَهُ ... سِيْما الكرامِ مِنْ الرَّعِيْلِ الأَوَّلِ
فِيْهِ الدَّمَاثَةُ، لا تَفِيْها صَفْحَةٌ ... مِنْ نَوْرِ وَرْدٍ سُطِّرَتْ بالمَنْدَلِ؟
مَنْ ذا يُهَنْدِسُ عِقْدَ شِعْرٍ رائقٍ ... عَذْبِ الكلامِ مُضَمَّخٍ بالصَّنْدَلِ؟[2]
أمْ مَنْ يَصُوغُ قلائداً مِنْ عَسْجَدٍ ... مُثْلَى تَلألأُ في نُحُوْرِ العُطَّلِ؟
ماذا أقولُ، وكُلُّ حَرْفٍ شاردٌ؟ ... ما للقوافِيْ لم تَعُدْ تَنْقادُ لِيْ؟
يا صالحَ الأَعمالِ ظِلُّكَ وارفٌ ... في معهديْ لكنَّهُ لم يَكْمُلِ
إنِّيْ- وربِّكَ مِنْ شُعُوْرٍ جامحٍ ... مِنْ شاعرٍ- وَدَدْتُ أَنْ لم تُنْقَلِ[3]
لكنْ غَبطْتُكَ إذ لَحِقْتَ بماجدٍ ... نَدُبٍ تَرَعْرَعَ في غِياضِ الأَشْبُلِ
حانَ الوَدَاعُ، ويا لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ ... يَزْهُوْ جَمالاً بالوَفاءِ الأَجْمَلِ
حُزْنٌ لِبَيْنٍ، أَمْ سعادةُ مَنْصِبٍ[4] ... ثانٍ، وحَشْدٌ مِنْ سُرورٍ سَلْسَلِ؟

---

[1] قيلت القصيدة- كما دوّن الشاعر على هامشها- "في وداع الأستاذ صالح الأحيدب، مدير الإدارة الهندسية بجامعة الإمام."

[2] كانت الكلمة هاهنا في إحدى النسخ: "بالمندل"، وفي القافية السابقة: "بالصَّندل"، ثم وجدتُ الشاعر في نسخة أخرى قد بادل بين الكلمتين. فأثبتُّ تعديله ذاك.

[3] حدث في تفعيلة البحر الكامل هاهنا الوَقْص، أي حذف الثاني المتحرّك من "متفاعلن"، وهو زحاف ثقيل، حُكمه عند العَروضيين: أنه "صالح"، لكن الأفضل اجتنابه. وكان بإمكان الشاعر أن يقول مثلاً: "لوددتُ أنْ لم تُنقَل".

[4] في إحدى النسخ: "حبورٌ بمنصبٍ"، وبهذه العبارة الوزنُ منكسر، وقد وجدتها في نسخةٍ أخرى معدّلة من قِبَل الشاعر، حسب المثبت هنا.

لله دَرُّكَ مِنْ مُحِبٍّ مُخْلِصٍ   جَمِّ التواضُعِ ماتِحٍ مِنْ مَنْهَلِ
إنَّ العَزاءَ — ولا أقولُ تَمَلُّقاً —   فيمَنْ تَرَكْتَ وكُلِّ غَيْمٍ يَنْجَلِيْ
مِنْ هذه الأَرْضِ الحَبِيْبَةِ جِذْرُهُمْ   والنّسْغُ مِنْ ماءِ المُعِمِّ المُخْوِلِ
مِنْ كُلِّ مَفْتُولِ الذِّراعِ مُدَرَّبٍ   يَنْقَضُّ في العَمَلِ انْقِضَاضَ الأَجْدَلِ
ما أَرْوَعَ الخلاَّنَ حيْنَ يَضُمُّهُمْ   دَرْبُ المَوَدَّةِ في الطَّرِيْقِ الأَعْدَلِ
منْكَ السَّمَاحُ فرُبَّ لَفْظ قَدْ أَتَى   بَيْنَ الأَحِبَّةِ مِثْلَ حَدِّ المِنْجَلِ
لَكِنَّهُ يَجْلُوْ القُلُوبَ ويَنْثَني   حُبًّا يُمازَجُ بالدُّمُوْعِ الهُمَّلِ
يا رَبِّ واجْعَلْ أنتَ نعْمَ المُرْتَجَى   دَرْبَ "الأُحَيْدِب" كالبسَاطِ المُخْمَلِ
إنِّــي أُعيْــذُكَ أَنْ تَمَلَّ وِصالَــنا   أو تَسْتَكيْنَ مَعَ الجِهازِ المُقْفَلِ
أو تَنْسَ[١] إخوانًا حَبَوْكَ بِحُبِّهِمْ   يا ذا المُنَوِّرَ في ســماءِ المَحْفلِ
هذا مكانُــكَ قــالهــا مَنْ قَبْلَنــا   "ما الحُــبُّ إلاّ للحَبِيْــبِ الأَوَّلِ"

[١] كذا، والصواب نحويًّا: "تنسى". ولو قال: "لا تنس"، لاستقام.

مواقف متوهجة

عَبَرَتْ كالكَوْكَبِ الــدُّريِّ في عُمْــقِ الظَّــلامْ
قَدُّها الأُمْلُــوْدُ يُغْــرِيْ كُــلَّ هَــاوٍ بالهُيَــامْ
وقفتْ تغزلُ للمشدوهِ مِــنْ عَــذبِ الكــلامْ
في عِتابِ حــالمٍ كــالطَّيْفِ في أَحْلَــى مَنــامْ
أَخذتْ ترمُقني ما كنــتُ أدريْ مــا المــرامْ؟
ثُمَّ قالتْ: هل تــرانيْ يــا فــتى دونَ المقــامْ؟!
أنتَ مَنْ أنتَ؟ لماذا صُمْتَ عــنْ رَدِّ الــسَّلامْ؟
فاعترتنيْ رعشــةُ المَقْــرُوْرِ مِنْ وَخْــزِ المــلامْ

قلتُ: حَسْبي يا نسيمَ الصُّبْحِ يا بَــدْرَ التَّمَــامْ
لا تَحُوكيْ مِنْ نسيجِ الظَّــنِّ ثــوْبَ المُــستَهَامْ
واجفٌ مِنْ رَهْبَةِ المَوْقِفِ. مِنْ وَقْــعِ الــسِّهَامْ

* * * * *

قُمْتُ أَشْدُو وأُغَنّــي هَــوَى الظَّبْــيِ الغَرِيْــرِ
سَكَنَ اللَّيْلُ وظَبْيِيْ سِــاكِنٌ أَقْــصَى ضَــمِيْرِي
في خياليْ في قُعــوديْ في قيــاميْ في مــسيري
ماثــلٌ في عُنْفُــوانِ تــاهَ بالحُــسْنِ النَّــضِيْرِ
أتمنَّــى يــا ضــياءً لاحَ كالبــدرِ المُــنِيرِ
أنَّ ليــلاً ضَمَّــنا تحــتَ غِطــاءٍ مِنْ حَرِيْــرِ
وفراشٍ ذَهَــبِيٍّ[١] يمتطِــيْ أغــلَى سَــرِيْــرِ

---

[١] كذا ضبطت بالجرّ كلمات "فراش" و"ذهبيّ" و"أريج"، وكأنها معطوفة على "غطاء"، وإن كانت "تحت" لا تنــضاف معنًى إلى "فراشٍ ذهبيّ" هنا، بل "فوق"، ولو قال: "بين غطاء من حرير وفراشٍ ذهبي"، لصحت الدلالة.

وأريجٍ فــاحَ مِنْ أردانِ خِلّــِيْ بالعَــبِــيرِ
آهِ يا ممــشوقةَ القَــدِّ لقــد كنــتِ أمــيري
ســاعديني في همومــيْ وجّهيــنيْ وأشــيري
وأفيضيْ مِنْ حنانيــكِ علــى قلــبيْ الكَــسيرِ

* * * * *

يا حياةَ الرُّوحِ إني لــكِ قــد أصــفيتُ وُدِّي
فامنحينيْ حُبَّكِ المعــسولَ شَــهْداً أَيَّ شَــهْدِ
وانْثُــرِيْ في دَرْبِــيَ الــشَّائك وَرْدًا أَيَّ وَرْدِ
ما أُحَيْلَى مِنْ رَحِيْقِ الشَّهْدِ مِــنْ ثَغْــرٍ وخَــدِّ
يا رشيقَ القَدِّ مــا أحــلاكَ مِــنْ نَهْــدٍ وقَــدِّ
قَلْبُكَ الطّاهرُ فيهِ الــسَّكَنُ الــدَّافيْ لوَجــدي
فامدُديْ لي كَفَّكِ الحــانيْ وشُــدِّيْ ثمّ شُــدِّي
رَدِّدي لي أغنياتِ الحُبِّ في نــوميْ وسُــهْدي
واجعليني فَــرْدَ تفكــيركِ في قــربيْ وبُعــدي
أنتِ للقَلْبِ مَناطٌ فاخلصِيْ لي الــوُدَّ وَحْــدي
ودَعِيْ عَنْكِ التَّمــاديْ في الإبــاءِ والتَّحــدِّي

* * * * *

يا رَبِيْعِيْ يا غنائيْ يــا نــشيديْ يــا مَلاكــيْ
ليس لي في الكونِ محبــوبٌ يُــسَلِّيني سِــواكِ
باتَ في قَلْبيْ وفي عــينيْ وفي روحــيْ هــواكِ
عــذِّبينيْ إنَّــهُ يحلُــوْ عــذابيْ في رِضــاكِ
سأكونُ حــارسَ الأزهــارِ في أبْهَــى رُبــاكِ[١]
وأكونُ طــائرَ اليُــمْنِ أُغَــنِّيْ في سَــــماكِ[٢]
إنَّ نورَ الفَجْرِ عنــديْ مُــسْتَمَدٌّ مِــنْ سَــناكِ
ونسيمَ الرَّوضِ ممــزوجٌ بعِطْــرٍ مِــنْ شــذاكِ
وتــرانيمَ العــصافيرِ بلَحْــنٍ مِــنْ غنــاكِ
فامْدُديْ لي كَفَّكِ المخضوبَ لا تَخْشَيْ أبــاكِ
عَاهِدِيْنِيْ بِالوَفَــا والحُــبِّ مَــا دُمْــتُ أراكِ

* * * * *

---

[١] حركة النون في كلمة "سأكونُ" مشبعة.

[٢] حركة النون في كلمة "وأكونُ" مشبعة.

يا أسيلَ الخَـــدِّ يا أَحْلَى وأَغْلَى مِنْ عيـــوني[١]
يا ضياءَ الشمسِ في الآفاقِ يا سِـــحْرَ الجُفُـــوْنِ
أيُّ فَنٍّ أنت يا مَـــنْ ترتقـــيْ فـــوقَ الفُنُـــوْنِ
ضَمَّنا ليـــلُ الـــسَّهارَى في هـــدوءٍ وسُـــكونِ
فمدَدْتُ كَفِّـــيَ المَلْهُـــوفَ للكَـــفِّ المَـــصوْنِ
منعـــتْ كَفِّـــي بلُطْـــفٍ وعتَـــابٍ وشُـــجُونِ
نظرَتْ لِيْ بعُيُـــوْنٍ جَمَعَـــتْ كُـــلَّ الظُّنُـــوْنِ
قَطَّبَتْ ما بينَ جَفْنَيْها فـــزادتْ مِـــنْ جُنُـــوْني
ثُمَّ لَمَّتْ شَعْرَها المَسدُولَ مِـــنْ فَـــوْقِ المُتُـــوْنِ
يتهادَى فَوْقَ جِيْدٍ مُحْتَـــلٍ مِـــنْ كُـــلِّ لَـــوْنِ
جَمَعَـــتْ كُـــلَّ جَمَـــالٍ في دَلالٍ وفُتُـــوْنِ

* * * * *

يا حبيبَ القَلْبِ، يا وقتي، ويا يَوْمِـــي وأَمْسِـــي

[١] جَمَع "العينين" هنا لضرورة القافية، وجَرْيًا مع الاستعمال الدارج في العاميّة.

يـــا أهـــازيجَ غِنـــاءٍ مُمْتِـــعٍ في يَـــوْمِ عُـــرْسِ
أنتِ يَنْبُوْعُ حياتي أنـــتِ ظِلِّـــي ثُـــمَّ شمْـــسي
صافحينْ أتمنَّـــى مِنْـــكِ أَنْ أحظَـــى بلَمْـــسِ
ذَلِّلي نَفْسَكِ للحُـــبِّ ولا تَكْـــسِريْ نَفْـــسِي
اطْرُديْ عنِّي شقائيْ. اطْرُديْ حُـــزنيْ وتَعْـــسِي
فأنـــا مجنـــونُ ليْـــلَى وأنـــا عَـــنْتَرُ عَبْـــسِ
ازْرَعِيْ في قَلْبيَ المِخْصَابِ مِنْ أَجْمَـــلِ غَـــرْسِ
وَأَذيْقِيْنِيْ شَرابَ الـــوُدِّ مِـــنْ أَطْهَـــرِ كَـــأْسِ
أَسمعينْ نَغَمـــاتِ الحُـــبِّ في أَلْطَـــفِ جَـــرْسِ
يجمُلُ الكَوْنُ بِكِ يا مُنْـــيَتِي يـــا كُـــلَّ حِـــسِّي

* * * * *

يا دليليْ في طريـــقِ التِّيْـــهِ يـــا سِـــرَّ نجـــاحي
يا سِراجيْ في ظلامِ اللَّيلِ يـــا نُـــوْرَ الـــصَّباحِ
يا نَسِيـــْمِيْ في رَبِيْـــعِ العُمْرِ يا نَوْرَ الأقاحـــي
يا رفيقيْ في دروبيْ، يا أنيســـيْ، يا ســـلاحي

يا طبيبيْ مِنْ لهيبِ الشَّوْقِ يا مُبْــرِيْ جراحــي
أنتِ دائــيْ ودوائــيْ في غُــدُوِّيْ ورَوَاحِــي
هل نَسيْتِ ذكرياتِ الأمسِ في تلك الــضَّواحي
في رُبَى الأشجارِ والأعــشابِ والمــاءِ القَــراحِ
تَرْقُصُ الأزهارُ نَشْوَى في ابتــهاجٍ وانــشراحِ
هل نسيتِ عَبَقَ النــرْجِسِ في كُــلِّ النَّــواحي
سأموتُ مِيْتَــةَ العُــشَّاقِ بالــسِّحْرِ المُبــاحِ[١]

* * * * *

دَقَّتِ الساعةُ فَجْــراً أَعْلَنَــتْ وقْــتَ الفــراقِ
في صَــباحٍ غَــائمٍ يُنْــذِرُني بُعْــدَ التَّلاقــي
كانَ لا بدَّ لنــا مِــنْ وَضْــعِ حَــدٍّ للــشِّقاقِ
فقَهَرْتُ النَّفْسَ خَوْفاً مِــنْ صَــعاليكِ النِّفــاقِ
دافعاً جِسْــمِيْ ليَرْقَى سُلَّمــاً صَعْــبَ المَرَاقِي[٢]

---

[١] حركة التاء من كلمة "سأموتُ" مشبعة.

[٢] في الأصل: "المَراقِ".

رافِعاً رأسيْ عَزِيْزَ الــنَّفْسِ مَــشْدُوْدَ النِّطــاقِ
حابسًا دَمْعَةَ حُــزْن جَمَــدَتْ بَــيْنَ المــآقي
حاملاً قلبيْ علــى كَفِّــيْ وهَمِّــيْ واشــتياقي
يا لَنَفْسِيْ حِيْنَ أَمْسَى ضَوْءَ بَــدْرِيْ في مَحَــاقِ
وزُلالُ الماءِ أَضْــحَى في فَمِــيْ مُــرَّ المَــذاقِ
ونَحِيْبِيْ في حَنايَــا الــصَّدْرِ يَعلُــوْ للتَّراقِــي
* * * * *
آهِ ما أَحْلَى أحاديثَ الهَــوَى عِنْــدَ الــوَداعِ
كلماتُ الوَعْدِ بــالإخلاصِ تُنْــسِيْني مَتــاعي
كُلَّما أَزْمَعْــتُ نأيًــا خِلْــتُني غَيْــرَ مُطــاعِ
سابِحٌ في غَمَراتِ الحُــبِّ مَنْــصُوْبٌ شِــراعي
أَمْزُجُ الدَّمْعَاتِ مِنْ عَيْني بِحِبْــرٍ مِــنْ يَراعِــي
أَنْفُثُ الآهاتِ مِــنْ قَلْــبٍ جَــرِيْحٍ مُتَــداعِ
كُلَّما أَسْــعَى إلى "مَيْسَــا" كأني غَيْرُ ســاعِ

عائدٌ مِـــنْ بَعْـــدِ حِـــيْنٍ لا تخـــافيْ لا تُراعـــي
أنتِ سِرٌّ في حيـــاتيْ في دَمِـــيْ غَيْـــرُ مُـــذاعِ
فاذكريْ حُبِّي ولا تَنْـــسَيْ غَرامِـــيْ والتيـــاعي
وامْلَئِيْ الـــدُّنيا دُعـــاءً لِيْ فأنـــتِ خَيْـــرُ داعِ

* * * * *

وقَفَتْ تَنْدُبُ حَظًّـــا عـــاثِرًا يَجْفُـــوْ ويَقْـــسُو
وتُناجِي نَفْسَها : بخْـــتِيْ أنـــا شُـــؤْمٌ ونَحْـــسُ
فمتى يا ربِّ يـــأتينيْ الهَنَـــا والفُلْـــكُ يَرْسُـــو
كيفَ أَحْظَى بطَبِيْبٍ لجِـــراحِ القَلْـــبِ يَأْسُـــو
كُلُّ مَنْ حَوْلِي جَمَـــاداتٌ غِـــلاظٌ لا تُحِـــسُّ
لَـــيسَ لِيْ مِـــنْهُمْ جميعًـــا إلاَّ[1] تَحْـــرِيْشٌ ودَسُّ
وافتـــراءاتٌ وظَـــنٌّ واتِّهامـــاتٌ وحَـــدْسُ
حُبُّنـــا أَطْهَـــرُ حُـــبٍّ ما بِـــهِ مَـــسٌّ ولَمْـــسُ

---

[1] كان يمكن أن يستبدل بـــ"إلاّ" هنا "غير"؛ لتجنّب الضرورة الوزنية في حذف ألف "إلاّ"، ليصبح: "غـــير تحـــريشٍ يُدسُّ".

قُلْتُ مَهْلاً، يا سَــوادَ العَيْنِ، ما فِي الأَمْرِ بَــأْسُ
كُــلُّ شَــيْءٍ فِي حيــاةِ المَــرْءِ تعلــيمٌ ودَرْسُ
وانْثَنَــتْ عائــدةً توديعُهــا دَمْــعٌ وهَمْــسُ

* * * * *

وأخــيراً تَرَكَتْنِــيْ لنَــشِيْجِيْ والنَّحِيْــبْ
للقــاءِ لســتُ أدريْ أ بَعِيْــدٌ أمْ قَرِيْــبْ؟
وغُــرابُ البَــيْنِ مُخْتــالٌ يُبــاهِيْ بالنَّعِيْــبْ
قُلتُ والأحشاءُ تكويْهــا شَــراراتُ اللَّهِيْــبْ
سَوْفَ تَمضيْ فِي أمانِ اللهِ يــا أَغْلَــى حَبِيْــبْ
لا تَدَعْنِيْ فِي خِضَمِّ البُــؤْسِ عَنِّــيْ لا تَغِيْــبْ[١]
عندما يَشْتَدُّ جرحِيْ مَنْ سيَدْعُوْ لِيْ الطَّبِيْــبْ؟
وطبيبِيْ أنت – يا وَيلاهُ – ما هذا النَّــصِيْبْ؟!
كيفَ أرضَى بِحَكــيمٍ غافــلٍ لا يَسْــتَجِيْبْ؟

---

[١] الصواب: "لا تغِبْ". ومع إمكانية القول بضرورة جائزة هنا، على سبيل إشباع كسرة الغين لتتولّد عنها ياء، فقــد كان يمكن أن يكون البيت: "لا تَدَعْنِيْ فِي خِضَمِّ البُؤْسِ عَنِّيْ لا يَغِيْبْ"، أي البؤس، لتكون "لا" نافية لا ناهية.

صِرْتُ أَهْذيْ شَــبَهَ المَعْتُوْه أُخْطِــيْ وأُصِيْــبْ
سَوْفَ لا تَتْــرُكُنِيْ "لا" إنَّ ظَنِّــيْ لا يَخِيْــبْ

* * * * *

هامَ قَلْــبِي وتَمــادَى في العُيُــوْنِ النَّاعِــسَاتِ
وأنا مِنْ صِغَرِيْ المَنظُــوْمُ[1] في سِــلْكِ الهُــواةِ
كُنْتُ أَحْيَا بالأَمانِيْ في سَــرابٍ مِــنْ حَيــاتي
كرِمالِ البِيْدِ عَطْشَى مَعْ صَــبِيْبِ الــسَّارياتِ
ناسِجٌ مِنْ مَوْكِبِ الأَحــلامِ أَحْلَــى ذِكْرَيــاتي
عــائِمٌ في لُجَّـــةٍ هَــدَّارةٍ والمَــوْجُ عَــاتِ
أَرْكَبُ الأَخْطَــارَ مَزْهُــوًّا بِعَزْمِــي وثَبَــاتي
سَــوْفَ أَحْيَا إنْ يَشَــاءُ[2] اللهُ أَحْيَا يا فَتــاتِي

[1] في الأصل "منظوم"، بالتنكير، والصواب ما أُثبت.

[2] كذا، والصواب: "إنْ يشأ"، ولكن الوزن ينكسر. وكان يمكن أن يقول: "ما يشاء اللهُ أحيا"، "إن أراد اللهُ أحيـــا". وقد ورد– على كل حال– عن العرب عدم جزم الفعل المضارع، في مثل قوله (عبد يغوث الحارثي):

وتضحكُ منّي شيخَةٌ عبشميَّةٌ كأنْ لم تَرَى قبلي أسيرًا يمانيا

والصواب: "لم تَرَ"، وإن وجّه هذا البيتَ بعضُ النحاة توجيهات غير مُقنعة، أقربها أنها: ضرورة شعريّة. لكنها قــد تكون استعمالاً عربيًّا، وإن شَذّ عن القاعدة السائدة.

سَوْفَ أَحْيَـــا لأَرَى نَفْـــسِيْ وتَكْـــوِيْنِيْ وذاتِي

فوُجُوْدِي بَيْنَ أَنْيَـــابِ الـــدَّواهِيْ الكالِحَـــاتِ

لا يُزِيْدُ العُمْرَ يومًـــا "لا" ولا يُـــدْنِي مَمَـــاتِي

* * * * *

لا تُضِيْئِيْ يا شُـــمُوْعَ اللَّيْـــلِ إِنِّـــي في ظَـــلامِ

أَنْفُثُ الأَنَّـــاتِ مِنْ قَلْبٍ عَمِيْـــقِ الجَـــرْحِ دَامِ

أَمْسَـــحُ الدَّمْعاتِ مِنْ عَيْنِيْ فتَجْرِيْ بانْسِـــجامِ

أَحْبِسُ الآهاتِ فِي صَـــدْرِيْ فيَـــشْتَدُّ هُيَـــامي

تاهَتِ الآمَـــالُ فِي مُـــسْتَقْبَلٍ صَـــعْبِ المَـــرَامِ

مِثْلِ ماضِي العُمْرِ خَـــدَّاعٍ خَبِيْـــثِ الابْتِـــسَامِ

كُـــلُّ آمَـــالِيْ تلاشَـــتْ وتَـــوارَتْ بالغَمَـــامِ

وكَـــأَنِّيْ فِي حيَـــاتِيْ عُرْضَـــةٌ للإِنْتقَـــامِ

وكَـــأنَّ الحُـــبَّ أَضْحَـــى هَـــدَفـــاً للإِتِّهَـــامِ

قَدَرِيْ هذا وحَظِّــيْ أَنَّــني مَرْمَــى الــسِّهامِ
وسِهامُ الحُبِّ تُــدْنيْ المَــرْءَ للمَــوْتِ الــزُّؤامِ
* * * * *
يا حَمَامَ الدَّوْحِ أَبْكــانيْ وأَشْــجانيْ الهَــدِيْلْ
ما لِعَوْدِ الإلْــفِ للــدَّوْحِ ولا ليْ مِــنْ سَــبِيْلْ
المآســيْ وحَّــدَتْنا كُلُّنــا يَبْكــيْ الخَلِيْــلْ
كَفْكــفِ الدَّمْعَ وعَــزِّ النَّفْسَ بالصَّبْرِ الجَميْــلْ
ليس يُجْديْ الحُزْنُ مَحْزُوْناً ولا يُجْديْ العَوِيْــلْ
سَوْفَ يَفْنَى كُلُّ فَرْدٍ مِــنْ بَــدِينٍ أو نَحِيْــلْ
وصحيحِ الجسمِ والعِمْــلاقِ والجَــسْمِ العَلِيْــلْ
هــذه الــدُّنيا، فــلا رَوْحٌ ولا ظِــلٌّ ظَلِيْــلْ
حَمَّلَتْنا مِنْ تكاليفِ الهَــوَى الحِمْــلَ الثَّقِيْــلْ
كَلَّفَتْنا مِنْ تبــاريحِ الجَــوَى الهَــمَّ الطَّوِيــلْ
يا حَمامَ الدَّوْحِ لا تَبْكِ فمــا حَــارَ الــدَّلِيْلْ
* * * * *

رَحْمَةً بِيْ يا زَمـــانَ البُـــؤْسِ لا تَقْـــسُ عَلَيَّـــا
حَوِّلِ الإعصارَ عَنْ وَجْهِـــيَ إنْ كنـــتَ تَقيَّـــا
قَدَرِيْ المَشْؤُوْمُ أنْ أَشْقَى ومـــا كُنْـــتُ شَـــقيًّا
تَرَكَتْنِـــيْ عِـــزَّةُ الأَحْـــرارِ شَـــمَّاخًا أَبيَّـــا
لو ترَى قَلْبِيْ مِـــنَ الآهـــاتِ أَبْـــصَرْتَ دَميَّـــا
أو ترَى قَلْبِيْ مِـــنَ الأحقـــادِ أبْـــصَرْتَ نَقيَّـــا
كُلَّما بِيْ في شَـــغافِ القَلْـــبِ مـــا زالَ خَفيَّـــا
وسَأَبْقَى حافظًا سِرَّ الهَوَى مـــا دُمْـــتُ حَيَّـــا
لم أكُـــنْ يومًـــا مِـــنَ الأيـــامِ كَـــذَّابًا فَرِيَّـــا
سأظلُّ عُمْـــرِيَ المحـــزونَ للـــذِّكْرَى وَفِيَّـــا[١]
وســـأبقَى رَوْضَـــةً للحُـــبِّ مِخْـــضالاً نَـــدِيًّا

* * * * *

آهِ يا دُنيا اسْمَعِيْ شِعْرِيْ إذا أَغْنَـــى القَـــرِيْضْ
اسْمَعِيْ مِنْ خافقِيْ المُضْنَى و مِنْ قَلْبِيْ المَرِيْـــضْ

[١] حركة اللام من كلمة "سأظلّ" مشبعة.

مِنْ بقايا في خَيالِيْ مِنْ رُؤَى الطَّرْفِ الغَــضِيْضْ
نَبَرَات باهتات الــصَّوْت بــالهَمْسِ الخَفِــيْضْ
صورةُ الماضيْ تَــراءَى لِيْ بماضِــيْها المَهِــيْضْ
تَرْسُمُ الأَشْبَاحَ في فِكْرِيْ بِــدَمْعٍ مــا يَغِــيْضْ
أيُّ دُنيا أنتِ إنَّ البَحْــرَ قَــدْ كــادَ يَفِــيْضْ
تَخفضينَ جَبْهَةَ العملاقِ ذيْ المَجْدِ العَــرِيْضْ[١]
ثُمَّ يَعْلُوْ كُلُّ وَغْــدٍ كُفْــؤُهُ دُنيــا الحَــضِيْضْ
ومِنَ الأضدادِ ما يُــشْجِيْ ويَــدْعُو للجَــرِيْضْ
عَجَبًا ما هذهِ الدُّنيا ومــا هــذا النَّقِــيْضْ ؟!

* * * * *

وغَزَا الشَّيبُ سَوادَ الــرَّأْسِ يَنْعِــيْ لِيْ شَــبابي
ناصِحًا لِيْ بعدَ هذا العُمْرِ أنْ أَطْــوِيْ كتــابي
وكتابيْ صَــفَحَاتٌ فيــه أصــنافُ العَــذابِ
وصروفُ الدَّهْــرِ فيهِ سُــطِّرتْ في كُلِّ بــابِ

---

[١] حركة النون في كلمة "تخفضينَ" مشبعة.

فيهِ صِـــدْقٌ وصَـــفاءٌ وبَرِيْـــقٌ مِـــنْ سَـــرابِ
فيهِ أَفْراحِـــيْ وأَتْراحِـــيْ وحُـــزْنِيْ واكْتِئـــابِي
فيـــهِ آلامِـــيْ وآمـــالِيْ وعَزْمِـــيْ واضْـــطِرابِي
فيـــهِ إعـــلانِيْ وسِـــرِّيْ ويَقِيْنِـــي وارْتِيَـــابِيْ
فيهِ أفكاريْ اللَّواتِيْ حَلَّقَـــتْ فَـــوْقَ الـــسَّحَابِ
كَيْفَ أَطْوِيْهِ وهَـــلْ في طَيِّـــهِ أَلْقَـــى ثَـــوابِي؟!
إنني المسئولُ عَمَّـــا فيـــهِ في يَـــوْمِ الحِـــسابِ

* * * * *

بَدَأَتْ تَـــسْقُطُ في الأَرْجَـــاءِ أَوْرَاقُ الخَرِيْـــفْ
وتَوَارَتْ رَوْعَةُ النَّضْرَةِ في الـــوَاديْ الرَّفِيْـــفْ
وذَوَى الغُصْنُ وماتَ العُشْبُ والظِّلُّ الوَرِيْـــفْ
واخْتَفَى الطَّلُّ وجَفَّ النَّهْـــرُ أَفْنَـــاهُ النَّزِيْـــفْ
وفَحِيْـــحٌ مِنْ هُبُوْبِ الرِّيْـــحِ يَغْتَـــالُ الحَفِيْـــفْ

وصَـــدَى بُـــوْمٍ وغِـــيْلانٍ وأَشْـــباحٌ تُخيْـــفْ
هَمْهَمَاتٌ أَحْدَثَتْ في قَلْبيَ القاســـيْ الوَجيْـــفْ
فاستحالَتْ ذِكْرَياتُ الأَمْسِ كالطَّيْفِ الطَّرِيْـــفْ
وبقايا الحُبِّ صارتْ غَيْمَـــةً في يـــومِ صَـــيْفْ
وغِنَاءُ البُلْبُـــلِ النَّـــاعِمِ في الـــدَّوحِ الكَثِيْـــفْ
كنَعيْقٍ مِنْ غُرَابٍ صَـــاحَ بالـــصَّوْتِ العَنِيْـــفْ

* * * * *

يا شَـــبابًا تـــاهَ بالتَّطْيَـــابِ والـــزِّيِّ البَهِـــيْجْ
أَيْنَ هذاكَ الرُّوَاءُ الغَـــضُّ بـــلْ أَيْـــنَ الأَرِيْـــجْ؟
مَرْكَبي يَسْعَى إلى الغَيْبِ كما يَسْعَى الحَجِـــيْجْ
الغناءُ العَذْبُ أَضْـــحَى حَـــشرَجَاتٍ ونَـــشِيْجْ
وهُدُوْئِيْ وسُكُوْنِيْ أَصْـــبَحَا مِثْـــلَ الـــضَّجِيْجْ
والمُحِيْطُ الشَّاسِـــعُ المَجْهُوْلُ عِنْدِيْ كالخَلِيْـــجْ

وسَـــمُومُ الهُـــوْجِ تَـــشْوِيْنِيْ فأَلْتَـــذُّ الـــوَهِيْجْ
أَخَذَ القَدُّ النَّـــضِيْرُ الأَهْيَـــفُ الزَّاهِـــيْ يَهِـــيْجْ
يا مَلاذيْ لا تَـــدَعْ عَبْـــدَكَ في أَمْـــرٍ مَـــرِيْجْ
يَـــوْمَ لا يَـــنْفَعُني مـــالٌ ولا يُغْنِـــيْ الوَشِـــيْجْ
لا تُرِيْنِيْ عَمَلِي ــ رَبِّي ــ كمَوْلُـــوْدٍ خَـــدِيجْ[١]

* * * * *

يا مَـــسَاءً مُعْتمًـــا يَجْتـــاحُنِيْ فِيْـــهِ الأَنِـــيْنْ
أَرْقُبُ الأَنْجُـــمَ بالمِرْصـــادِ شَـــأْنَ الـــسَّاهِرِيْنْ
أَكْتُبُ التَّشْبِيْبَ بِـــالمَقْلُوْبِ فِعْـــلَ العَاشِـــقِيْنْ
أَحْسبُ الـــسَّاعاتِ والأيَّـــامَ فِيْـــهِ والـــسِّنِيْنْ
أَقْطُفُ الـــوَرْدَ خَيَـــالاتٍ وأَسْـــقِيْ اليَاسَـــمِيْنْ
يا مَسَـــاءً واجِمـــاً حَيْرَانَ مَشْـــدُوْهًا حَزِيْـــنْ

---

[١] الصواب: "لا تُرِنِي". وراجع الحاشية السابقة.

أَزْهرَتْ فِيْــهِ بأفكــاريْ شَــمَارِيخُ اليَقِــيْنْ
ويَقِيْنِيْ فِي ضَــمِيْرِ الغَيْــبِ آتٍ بَعْــدَ حِــيْنْ
يالَضَعْفِيْ إنَّنِي المَخْلُــوْقُ مِــنْ مَــاءٍ مَهِــيْنْ!
أَنْزَوِيْ وَحْــدِيْ تُغَــذِّيْنِيْ تَبَــارِيْحُ الــرَّهِيْنْ
مِثْلَ مَأْسُــوْرٍ سَــجِيْنٍ ، رُبَّ مَظْلُوْمٍ سَــجِيْنْ



بريشة الحُبّ

بِرِيْشَةِ الحُــبِّ أَرْسُــمْ   حَبَّاتِ عِقْــدٍ مُــنَظَّمْ
يَزْهُوْ بِهِ جِيْــدُ أُنْثَــى   حَسْناءَ ثَغْرًا ومَبْــسَمْ
حُوْرِيَّةٍ مِــنْ بِــلادي   عَرِيْقَةِ الخَــالِ والعَــمْ
* * *   * * *

يا بَهْجَةَ النَّفْسِ رِفْقًــا   رِفْقًا بِجِــسْمٍ مُهَــدَّمْ
يا نَهْدَها يــا عَنِيْــدًا   يكــــادُ أَنْ يَــــتَكَلَّمْ
يَضِجُّ في الصَّدْرِ حُمْقًا   يَتُوْقُ لِلْمَــسِّ والفَــمْ
ويَدْفَعُ الثَّــوْبَ دَفْعًــا   يُريــــدُ أَنْ يَتَنَــــسَّمْ
يا وَجْهَها يا شُــعاعًا   لأَعْذَبِ الشِّعْرِ مُلْهِــمْ[١]
يا لَيْتَها- في حَــلالٍ-   تُتاحُ لِلــضَّمِّ والــشَّمْ
أُعِيْــــذُها بِمَعَــــاذٍ   أَنْ تَرْتَمِيْ في المُحَــرَّمْ

---

[١] وقع في قافية البيت ما يسمِّيه دارسو القوافي: (سناد التوجيه)، وهو اختلاف حركة ما قبل الرويّ المقيّد.

أو يَحْتَوِيْهــا مُحِــيْطٌ　　يَعُجُّ بــالخِزْيِ والــذَّمْ

* * *　　* * *

لقَدْ تَرَكْت بجِــسْمِيْ　　- يا بِنْت- قَلْبًا مُحَطَّمْ

يا رَوْعَةَ الحُسْنِ إنِّــيْ　　مُضْنًى بذا الحُسْنِ مُغْرَمْ

أَتِيْهُ فِيْــهِ، وأَشْــقَى،　　بالرُّوْحِ والعَظْمِ والــدَّمْ

أَهْفُو لــرِمْشٍ يُحَيِّــيْ　　وغَمْزِ عَــيْنٍ تُــسَلِّمْ[١]

فــإِنْ تَعَالَيْــتِ عَنِّــيْ　　أَلُــوْمُ قَلْبِــيْ وأَنْــدَمْ

لأَنَّــهُ خَــابَ ظَنًّــا　　وباءَ بــالحُزْنِ والهَــمْ

* * *　　* * *

يا مَنْ تُرِيدُونَ عَــذْلِيْ　　ما عُدْتُ بالعَذْلِ أَهْتَمْ

لا تَعْـــذُلُوْنِيْ فـــإِنِّي　　أَصَمُّ في الحُبِّ أَبْكَــمْ

هَلْ تُدْرِكُوْنَ عَــذابِيْ　　وما بِفِكْرِيْ مِنَ الغَمْ؟!

---

[١] وقع في قافية هذا البيت (سناد توجيه) أيضًا، (راجع الحاشية السابقة).

أَبِيْــتُ لَيْلِــيْ عَلِــيْلاً | كَـــأَنَّ بِيْ أُمُّ مِلْـــدَمْ[١]
كــأنَّ جَمْــرًا لَهِيْبًــا | بَيْنَ الجَــوانِحِ مُــضْرَمْ
مِنْ مَشْهَدٍ نُصْبَ عَيْنِيْ | أَهَـــاجَ قَلْبِـــيْ المُتَـــيَّمْ
فَــنَغَّمَ الــشِّعْرَ لَحْنًــا | وقـــالَ هَيَّـــا تَـــرَنَّمْ
وإنْ تَكَلَّمْتَ هُجْــرًا- | مِنَ التَّبارِيْحِ- يُحْــرَمْ
فالعَفْوُ ، يا رَبّ ، عَنِّي | فالصَّـــبُّ لا بُدَّ يَأْثَـــمْ

✐✐✐

[١] أُمُّ مِلْدَم: الحُمَّى.

حروفٌ من صفحات الماضي[١]

شاعِرٌ مِــنْ بَــنِي الحَكَــمْ   يَحْتَسِيْ الهَــمَّ والأَلَــمْ
يَجْــرَعُ المُــرَّ كُلَّمــا   أَظْلَمَ اللَّيْــلُ وادْلَهَــمْ[٢]
في شــرايينِه الأَسَــى   والتَّبــارِيْحُ والــسَّقَمْ
كُلَّــمـا رامَ سَــلْــوَةً   زَمْجَرَ الفِكْرُ واضْطَــرَمْ

---

[١] هناك ثلاث نسخ من هذه القصيدة، نسخة مطبوعة، سنرمز لها بـــ(أ)، وصورة منها قد أجرى عليها الشاعر بقلمــه تعديلات وإضافات، سنرمز لها بـــ(ب)، ثم نسخة مخطوطة بقلمه تمثّل إعادة صياغية للقصيدة وفق التعديلات علــى النسخة (ب)، وسنرمز لها بـــ(ج). وهذه الأخيرة هي المعتمدة هنا. وكان من حقّ الشاعر أن نُضرب صفحًا عمّا قام هو بشطبه أو تعديله، لولا أن الإشارة إلى بعضه لا تخلو من فائدة في تحليل بنية النصّ التكوينيّة، وتطــوّر رؤيــة الشاعر؛ ولا سيما أن بعض التغييرات على النسخة القديمة لم تخل من نقلات في الدلالة، يمكن أن تُلمــح وراءهــا أسباب ذاتية أو اجتماعية، وإنْ بدا النصّ أحيانًا بحالته الأولى أقرب صدقًا واتّساقًا.

[٢] بعد هذا البيت في النسخة أ: البيت القائل: **وجهه ذابلٌ بدا   في تجاعيدِه الهَرَمْ**
وهو البيت الذي نقله الشاعر إلى موضع لاحق من القصيدة، حيث الحديث عن ذلك الشيخ الذي قابله في السوق.

مَــــلَّ طُغيـــانَ لَيْلِــــهِ فـــإذا يَوْمُـــهُ أَحَـــمْ

****** ******

في مـــــساءٍ مُغلَّـــــفٍ أَضْرَبَ النَّجْمُ واعْتَـصَمْ

والمَدَى ضَـاقَ في الفَـضَا واسْتَوَى التَّلُّ والعَلَـمْ[١]

وأنـــا ســـاهِرٌ علـــى دَفْتَرِ الـشِّعْرِ والحِكَـمْ

داهَمَـــتْنِيْ خَـــواطِرٌ مِنْ رُبَى مَوْطِنِيْ الأَشَـمْ

هالَـــةٌ مِـــنْ مَـشاهِدٍ زادَ في وهْجِهـا الـسَّأَمْ

رِحْلَـــةٌ في عَواصِـــفٍ كالكَوابيْسِ لَيْـلَ غَـمْ

قُـــمْ وسَـــجِّلْ طَرائفِـــيْ يــا يَراعِــيْ ولا تَـنَمْ

مِـــنْ تبـــاريحِ حِقْبَـــةٍ هِيَ في حاضِرِيْ حُلُـمْ

****** ******

[١] في أ: "قِمّةٌ زاحمتْ عَلَمْ".

مَــــرَّةً قـــادَنِيْ أخـــــيْ   مثْــلَ "جَــدْيٍ" مِــنَ الغَــنَمْ
عِنْــدَ شَــخْصٍ "مُقَطِّــبٍ"   مُرْهِــبٍ مُرْعِــبٍ حُطَــمْ[1]
قال : هذا الفَــتَى أخــــيْ   جــاءَكُمْ يَطْلُــبُ العلِــمْ[2]
لَــكَ يــا شَــيْخُ لَحْمُــهُ   خالِــصاً ولنــا العَظُــمْ
قُلْتُ: "يا أَنْــتَ"، قــال لِيْ:   أُدْعُني، يــا خَبِيْــثُ: "عَــمْ"
هَــلْ تَــرَى هــذه العَــصَا؟   قُلْتُ: "هذي؟.. نَعَــمْ نَعَــمْ"
أَنْــتَ يــا شــيخُ قُــدْوَتي   يــا أبــا الجُــوْدِ والكَــرَمْ
رُمْــتُ تَلْطِيْــفَ جَــوِّهِ   فــإذا الجَــوُّ مُحْتَــدِمْ
لم يَكُــنْ يَعْــرِفُ الرِّضَــا   لا ، ولا كــان يَــبْتَسِــمْ[3]

[1] في أ: عند شخصٍ مُكَرْبَسٍ   شكلُهُ يُشْبِهُ الصَّنَمْ

[2] "العِلْم": حُرِّكتْ اللام لضرورة حركة التوجيه في القافية. وكذا في القوافي الشبيهة من القصيدة. على أن في القافية هذه وغيرها من قوافي القصيدة ما يسمّى (سناد التوجيه)، وهو تغيير حركة ما قبل الرويّ المُقَيَّد، من الفتح إلى الكسر أو إلى الضمّ.

[3] بعد هذا البيت في أ: عابِسًا متَغَطْرِسًا   نافِشًا رِيْشَ مُنْتَقِمْ

قالَ: "قلْ: ألْف"، قلتُ: "ألْ — فا–فَ–فا–" قال لي:"انكَتِمْ"[1]

كيفَ أَتْقَنْتَ يا فَتَى — مَنْطِقَ البُوْمِ والرَّخَمْ؟!

قِفْ! فمِنْ هذه العَصَا — تَلْعَقُ السُّمَّ با لدَّسَمْ

مِنْ شَماحِيْط شَوْحَطٍ — تَكْسِرُ الكِبْرَ والشَّمَمْ

قُمْ و(بَسْمِلْ) تَبَرُّكاً — واقْرَأْ (الحَمْدَ) يا "بَجَمْ"

وانْتَصِبْ لِيْ تَأدُّباً — مِثْلَما تَفْعَلُ العَجَمْ

وانْتَهَى الدَّرْسُ وانْبَرَى — طالِبٌ يُتْقِنُ النَّغَمْ

رافِعاً صَوْتَ ضَارِعٍ — قاصِداً بارِئَ الأُمَمْ

يَغْفِرُ اللهُ للذي — عَلَّمَ الحَرْفَ والكَلِمْ

ثُمَّ رُحْنا وهَمُّنا — في الغَدِ الضَّرْبُ والشَّتِمْ

****** ******

[1] يحكي بهذه المقاطع ما قاله، عاجزًا عن التّهجّي.

كان ذا الـــرَّأيُ يَـــوْمَ أَنْ ... كُنْتُ صِفْراً مِنَ الفَهـــمْ[1]

وأنـــــا اليَـــــوْمَ لائـــــذٌ ... بكَ يا خَيْـــرَ مُعْتَـــصَمْ

يـــــا رَجـــائي ومَلْجَئِـــي ... أَنْتَ يا بـــارِئَ النَّـــسَمْ

أَنْ تُجَـــازِيْ مُعَلِّمِـــــيْ ... جَنَّةَ الحُـــوْرِ والـــنِّعَمْ

******

يــــا كَتاتِيْــــبَ دِيْـــرَتِيْ ... يا سَنَى اللَّـــوْحِ والقَلَـــمْ

يـــــــا دَواةً مَزَجْتُهـــــــا ... مِنْ دُمُوْعٍ جَـــرَتْ بِـــدَمْ

شــــاخَ لَـــوْحِيْ وصَـــدْرُهُ ... ضَاقَ بالَمَـــسْحِ والحُمَـــمْ

وامَّحَى مِنْـــهُ "مَعْـــشَرِيْ" ... كُلُّهُ ما عَـــدَا "بِـــسِمْ"[2]

******

---

[1] هذا المقطع، المكوّن من أربعة أبيات– والمعبّر عن رأي الشاعر الجديد في معلّمه القديم– أضافه الشاعر في النسخة ج من القصيدة.

[2] "المَعْشَر": في لهجة فَيْفاء، الدرس الواجب حفظه على التلميذ. وأصله: أن التلميذ يكلَّف بحفظ القرآن الكريم مَعْشَرَ مَعْشَرَ، أي عَشْرَ آياتٍ عَشْرَ آيات، أو عَشْرَةَ أسطرٍ عَشْرَةَ أسطر؛ كلّما حَفِظ ذلك، كان "مَعْشَرُهُ" حِفْظَ مثله ممّـــا يليه. وقد جاء في (ابن منظور، لسان العرب، (عشر)): "جاء القومُ عُشَارَ عُشَارَ، ومَعْشَرَ مَعْشَرَ. و عُشار، ومَعْشَر، أي: عشَرَةً عشَرَةً، كما تقولُ: أُحادَ أُحادَ، وثُناءَ ثُناءَ، ومَثْنَى مَثْنَى."

يـــــا عَـــــصَاةَ مُعَلِّـــــمٍ وَقْعُهـــا يُقْعِـــدُ الهِمَـــمْ[1]

تَـــزْرَعُ الرُّعْـــبَ والغَبَـــا تَكْتُمُ الهَمْـــسَ والنَّـــسَمْ

كَمْ تَمـــادَتْ بِـــأَخْمَصٍ كَمْ تَمادَتْ علـــى قَـــدَمْ

يُلْهِـــبُ الجِلْـــدَ لَـــسْعُها وَخزُها يَنْقُـــرُ العَظْـــمْ

لَوْ هَوَتْ فَـــوْقَ صَـــخْرَةٍ صُلْبَةٍ أَصْـــبَحَتْ عَـــدَمْ

أو شَوَتْ ظَهْـــرَ ضَـــيْغَمٍ صارَ كالفَأْرِ في الأَجَـــمْ

أو عَلَـــتْ مَـــتْنَ فـــارِسٍ شـــــامِخٍ مِنْ بَنِيْ إِرَمْ

لاعْتَلَـــى كُـــلَّ رَبْـــوَةٍ يُحْرِقُ النَّبْـــعَ والنَّـــشَمْ

****** ******

مِـــــنْ بَقايـــــا خَزَنْتُهـــــا في دِماغِيْ مِـــنَ القِـــدَمْ

لم تَـــزَلْ فـــي جَوانحـــيْ مـــاثِـــلاتٍ ولَمْ تَـــرِمْ

---

[1] في اللهجة الفيفيّة يقولون: "عستاةْ"، و"أخذت عستاتي"، أي "عصاة" و"عصاتي". وقد ذكر (الأزهري، أبو منصور، (١٩٦٤)، تهذيب اللغة، تح. عبدالسلام محمد هارون وآخرين (مصر: ؟)، (عصا)): أنه "يقال للعصا: عصاة بالهـــاء [كذا]. يقال أخذت عصاته، ومنهم من كره هذه اللغة"، وروى عن الأصمعي أنه قال: "لايجوز مـــدّ العـــصا ولا إدخال التاء معها، قال وأول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي بالتاء."

مَنْظَــرُ الــسُّوْق غُــدْوَةً هائجًــا مائجًــا عَــرِمْ
مِثْــلَ نَمْــلٍ مُكَــدَّسٍ أُمَّـــةٌ فَوْقَهـــا أُمَـــمْ
تَمْتَــماتٌ وضَــجَّـــةٌ صَوْتُها يُسْــمِعُ الأَصَــمْ
قُلتُ يــا ضَــيْعَتِيْ أنــا وَسْطَ ذا الهَادرِ الخِــضَمْ

****** ******

في نَهـــارٍ مُعَرْبـــدٍ وَقْدَةُ الشَّمْسِ كالــضَّرَمْ
رُمْـــتُ شَــيْخًا مُحَطَّمًــا عِقْدَ تِسْعِيْنَ قَــدْ نَظَــمْ[١]
وجْهُـــهُ ذابِـــلٌ بَـــدَا في تَجاعِيْـــدِه الهَـــرَمْ
حـــاملاً هَـــمَّ دَهْـــرِه مُطْرِقًا ســاهِمًا وَجِــمْ
قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ؟ قالَ: مِــنْ دِيْــرَةِ الجَــوْرِ والظُّلُــمْ
دِيْــرَةٍ فــي رُبُــوْعِــها عَشْــعَشَ العُسْرُ واعْتَرَمْ

---

[١] هذا البيت مع الأبيات الخمسة بعده لم تكن موجودة في النسخة (أ) من القصيدة، حيث كانت الحكايــة المــسرودة هنا– عن تجربة ذلك الشيخ في السوق– مسوقةً هناك بضمير المتكلّم، منسوبة إلى الشاعر نفسه، إلا أنه ارتــضى في نسخة قصيدته الأخيرة هذه التنصّل منها، وحَوْكها حول شخصية الشيخ الهَرِم. ومن الواضح أن الشاعر أراد أن يمنح الصورة بُعْدًا إنسانيًّا إضافيًّا عن طريق نسبة حكايته إلى ذلك الشيخ التسعيني، إلا أن هذا قد أخلّ لديه بنسق الحكاية، من حيث العلاقة بين شخصيتيها: البطل (الشاعر)، والشيخ.

فَقْرُهـــا قَـــضَّ مَـــضْجَعِي ذُقْتُ في حُضْنِها العَـــدَمْ

جِئْتُ أُزْجِـــيْ بِضــاعَتِيْ (فَرْقَـــدًا)[١] شَـــحْمُهُ وَرَمْ

نـــافِجَ الكَـــرْشِ إنَّمـــا كانَ عَظْمًا على وَضَـــمْ

كُلَّمـــا حـــامَ حَوْلَـــهُ مُشْتَرٍ لم يَقُلْ: "بِكَـــمْ؟"

جِلْـــدُهُ مِثْـــلُ مَـــشْتَلٍ يَـــزرَعُ القَمْـــلَ والحَلَـــمْ

كُلَّمـــا حَـــكَّ جِـــسْمَهُ قلْتُ: يا لَيْتَـــهُ "أَطَـــمْ"![٢]

كَيْفَ يَنْحَـــكُّ؟ مَـــا دَرَى (فَرْقَدِيْ) أَنَّـــهُ أَجَـــمْ؟!

****** ******

فجـــأةً جـــاءَنِي امْـــرُؤٌ لم يُبَـــايِعْ ولم يَـــسُمْ

طافَ حَـــوْلِيْ ، وعَيْنُـــهُ تَرْمُقُ (الجَدْيَ) كالـــسَّهمْ

قُلْـــتُ: لا بُـــدَّ ســـارِقٌ ناقِصُ الـــدِّيْنِ والـــشِّيَمْ

يَسْـــرِقُ الحُـــبَّ والهَـــوَى والتَّـــسابِيْـــحَ والقِيَـــمْ

---

[١] الفَرْقَد: الجدْي، إذا بَلَغَ ستةَ أشهر تقريبًا.

[٢] أطَم: أي أشَدّ؛ صيغة (أفعل تفضيل) من "طَمَّ، يَطُمُّ".

صِحْتُ "يا نــاسُ، أَقْبِلُــوا دُوْنَكُمْ سارِقُ الــبَهَمْ!"[١]

****** ******

أَقْـــسَمَ اللِّـــصُّ أَنَّـــهُ لابِــسٌ ثَــوْبَ مُحْتَــرَمْ

فـــــاعْتَرَتْني كَآبَـــــةٌ واسْـــتَبَدَّ بِيَ الـــوَكَمْ[٢]

بَيْنَمـــا كُنْـــتُ غارِقـــاً في جَحِـــيْمٍ مِـــنَ النَّـــدَمْ

وإذا الثَّـــوْبُ عَـــارَةٌ هَلْ تُرَى بَرَّ بالقَــسَمْ؟![٣]

****** ******

أَقْبَــلَ اللَّيْــلُ قاتِمـــاً مُرْسِــلاً حالكَ الظُّــلَمْ

فـــانْثَنَى الـــشَّيْخُ قـــافلاً يَخْبِطُ الرَّمْــلَ بالرَّضَــمْ[٤]

راحَ والجَــدْيُ كَرْشُـــهُ مِثْلُ دَلْــوٍ مِــنَ الأَدَمْ[٥]

---

[١] في أ: **سارقٌ جاء من أمم**.

[٢] الوَكَم: الحُزْن. (عَلَّقَ الشاعرُ). ويلزم إشباع حركة الدال في كلمة "استبدَّ" ليتّسق الوزن.

[٣] في أ: **وهو قد برّ بالقَسَمْ**

[٤] في أ: **فانطلقتُ بخَيْبَتِي أخبطُ الرَّمْلَ والرَّضَمْ**. وفي ب: **فانثنى القَحْمُ** ...

[٥] في أ: رحتُ.

قـــالَ، والجَدْيُ لاهِـــثٌ: "ثِبْ" هُنا لَحْظَةً وقُـــمْ[١]

[١] ثِبْ: أي استرح. وهي لهجة حِمْيَرِيَّة قديمة، فقد جاء في (ابن السكّيت (-٢٤٤هـ)، (١٩٧٠)، إصلاح المنطق، تح. أحمد محمّد شاكر وعبدالسلام محمّد هارون (القاهرة: دار المعارف بمصر)، ١٦٢): "قال الأصمعي: دخل رجلٌ من العرب على ملك من ملوك حِمْيَر، فقال له: ثِبْ- وثِبْ بالحميريّة: اقْعد- فوَثَبَ الرجل فتكسّر، فقال الحميري: ليس عندنا عربيت، من دخل ظفار حمّر، قال الأصمعي: حمّر، تكلّم بكلام حمير". ونسب (ابن فارس (-٣٩٥هـ)، (١٩٩٣)، الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح. عمر فاروق الطبّاع (بيروت: مكتبة المعارف)، ٥٤) القصة إلى زيد بن عبدالله بن دارم، وأضاف أن الملك كان على جبل مشرف، فلمّا قال: "ثِبْ"، قال زيدٌ: "لتجدني أيها الملك مطواعًا"، ووَثَبَ من الجبل. ولعلّ الحكاية- أو المبالغة في تفاصيلها، في الأقل- محض اختلاق، للتأكيد على الفروق اللهجية بين لغة اليمن ولغة عرب الشمال، التي قد تصل إلى الزعم أن لغة حمير ليست بعربية: "ليس عندنا عربيت"! انطلاقًا من مقولة (أبي عمرو ابن العلاء): "ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيّتُهم بعربيّتنا"، التي ساقها (محمّد بن سلاّم الجُمَحي (-٢٣١هـ)، (١٩٨٢)، طبقات الشعراء، تح.جوزف هل (بيروت: دار الكُتُب العلمية)، ٢٩). إلا أن ذلك الشاهد الذي ساقوه من خلال حكاية "ثب" لا شاهد فيه. والحقّ أن ابن السكّيت وابن فارس، كمعظم لغويينا القدامى، نَقَلَة، تعوزهم المعرفة الدقيقة باللهجات العربيّة، وهم يوردون مثل تلك الحكاية بلا تحليل ولا تمحيص، وإلا فإنه- إذا كانت لهجة الحِمْيَريّ تلك كلهجة فَيْفاء اليوم، وهو الراجح- فـ"ثِبْ" في الحكاية من "ثَوَبَ"، لا من "وَثَبَ"، كما فهم هؤلاء اللغويون، وساقوا تلك الحكاية ليستنتجوا منها افتراق لغة حِمْيَر عن لغة عدنان. ولهذا يقال بلهجة فَيْفاء: "ثابَ، يَثُوْب، ثِبْ"، أي قَعَد أو استراح. و"ثِب" هنا بمعنى "ثُبْ"، إلا أنهم يُميلون الضمّ إلى الكسر في مثل هذا الموضع. و"ثابَ، يَثُوْبُ، ثُبْ": عربيّة لا غُبار عليها، بمعنى رجَع وعاد إلى موضعه ومجلسه. ومنه مثاب البئر: مكان الساقي على فم البئر. والمثابة: المُجتَمَع والمنزل. (يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ثوب)). يقول (ابن مقبل، (١٩٦٢)، ديوان ابن مقبل، تح. عزة حسن (دمشق: مديرية إحياء التراث القديم)، ص١٤٢: ب١):

أَلَمْ تَرَ أنَّ القَلْبَ ثَابَ وأَبْصَرَا وجَلَّى عَمَايَاتِ الشَّبَاب وأَقْصَرَا

وعليه، فاستعمال "ثُبْ، أو ثِبْ (حسب نطقها في اللهجة)" بمعنى: "اقعد، أو استرح، أو اهدأ" ليس بغريب الدلالة عن معاني مادة "ثَوَبَ"، حتى يُستنتج منها حكمٌ تعميميّ بأن: الحِمْيَريّة ليست كعربيّتنا.

هذا وفي نسخة القصيدة أ: **من غبائي رَحِمْتُهُ قُلْتُ: ثِبْ لحظةً وقُمْ**

بَعْـــدَما ارْتَـــاحَ بَـــذَّهُ　　　كُلَّمــا جَـــرَّهُ "جَـــثَمْ"[١]
نـــامَ نَوْمـــاً مُؤَبَّـــدًا　　　فِي الطَّرِيْـــقِ و لم يَقُـــمْ[٢]
ثُمَّ أَمْـــسَـــى بِحَـــسْـــرَةٍ　　　شَيْخُنا وانْتَهَى "الفِلِـــمْ"[٣]

📖 📖

---

[١] بذّه: غَلَبَه وأعياه. وفي أ: **بعدما ارتاح بذّني　　حين قوّمـــتُهُ جَثَـــمْ**

[٢] في أ: **بعدها نامَ فرقدي**

[٣] في أ: **ثم عدتُ بحسرتي　　مفردًا وانتهى "الفِلِمْ"**

وفي ب: **ثم عاد بحسرةٍ　　قحمُنا وانتهى "الفِلِمْ"**

بُدينة والثمامة[1]

أَديْبٌ جاءَ مِنْ حِجْرِ اليَمامَـــةْ   مِنَ التَّاريْخِ مِنْ سِفْرِ الكَرامَـــةْ

مِنَ الغرَّاءِ مِـــنْ أَحْنـــاءِ وَكْـــرٍ   مِنَ الشَّماءِ مِنْ وَكْنِ الـــشَّهامَةْ

ومِنْ غِيْلِ الضَّياغِمِ مِنْ ريـــاضٍ   بِها اللَّيْثُ الذي يَحْمِي ذِمَامَـــهْ

إذا هَبَّتْ رِياحُ الغَـــدْرِ يَوْمـــاً   يَهُبُّ الفَهْدُ مُمْتَشِقاً حُـــسامَهْ

* * * * *   * * * * *

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَحْبَـــابِ أَهْـــلاً   وفي أَحْضَانِ عَرْعَرَ بالـــسَّلامَةْ

سَكَنْتُمْ في القُلُوْبِ بِكُلِّ حُـــبٍّ   وفي أَحْداقِنا طِيْـــبُ الإِقامَـــةْ

* * * * *   * * * * *

ونَشْرٌ مِنْ شَـــمِيْمِ النَّـــوْرِ ذَاكٍ   كأَنْسَامِ الخُزَامَـــى والبَـــشَامَةْ

مِنَ الأَفْـــوَافِ فَـــوَّاحٍ شَـــذِيٍّ   كعَرْفِ الفُلِّ أو كاذيْ تِهَامَـــةْ

أَرِيْجٌ مِنْ مَلابِ العِطْرِ أَضْـــحَى   مَزِيْجـــاً مِنْ بُدَيْنَةَ والثُّمَامَـــةْ

---

[1] قيلت في زيارة (الشيخ عثمان الصالح، رحمه الله) إلى معهد عرعر العلمي، عام ١٤١٥هـــ، وكان الشاعر هو مـــدير المعهد إذ ذاك.

ومِنْ مَنْفُوْحَةِ الأَعْــشَى عَــرَارٌ إلى بلْقـــورَ يُقْـــرِؤُهُ سَـــلامَهْ
ومِنْ دِرْعِيَّـــةِ الأَمْجَـــادِ حَـــادٍ يَشُقُّ اللَّيْلَ مُعتَـــسِفاً ظَلامَـــهْ
وتَنْثَـــالُ المَفَـــاوِزُ في عِنَـــاقٍ يَبُثُّ الرَّمْلُ للرَّمْـــلِ احْتِرامَـــهْ

* * * * *	* * * * *

نِطَاسِيُّ القَوافيْ غُـــضَّ عَنِّـــيْ فبَحْرِيْ الضَّحْلُ لايُرْوِيْ حَمَامَةْ
وهـــذا مَطْلَـــبِيْ مِـــنْ أَلمَعِـــيٍّ أنا – واللهِ – تِلْمِيْـــذٌ أَمَامَـــهْ
أَرَاهُ يَنْتَـــضِيْ فِكْـــراً سَـــدِيْداً ومِنْ عُمْقِ الرُّؤَى يَبْرِيْ سِهَامَهْ
وقَدْ كانَ المُـــدِيْرَ الفَـــذَّ يَوْمـــاً لأَنْجَـــالٍ يُحِبُّـــونَ انْتِظَامَـــهْ
تَرَدَّى مُخْمَـــلاً يَزْهُـــوْ بَهَـــاءً مُوَشًّى بِـــالتُّقَى والاسْـــتِقَامَةْ
سَدَاهُ شِـــدَّةٌ في غَيْـــرِ عُنْـــفٍ وعِنْدَ العَزْمِ لُحْمَتُـــهُ الـــصَّرامَةْ
طَبِيْـــبٌ جَـــرَّبَ الأَدْواءَ طُـــرًّا يُدَاوِيْ بالعَـــصَا والابْتِـــسَامَةْ
شُذُوْراً مِنْ سَـــبَائِكِـــهِ قَرَأْنـــا على القِرْطَاسِ ما أَبْهَى كَلامَهْ!

مسجد القدس

مَسْجِدُ القُــدْسِ يُنــاديْ الحَرَمــا   ساكِباً مِنْ مُقْلَــةِ الــدَّمْعِ دَمــا

وَيْحَ مَسْرَى سَــيِّدِ الخَلْــقِ عَــلا   صَــوْتُهُ مُــسْتَنْجِداً مُــسْتَرْحِما

عَرْبَــدَ الإجْــرامُ في سَــاحاتِهِ   والقُوَى الكُبْرَى تُعِــيْنُ الْمُجْرِمــا

صَرْخَةُ المِحْرابِ تُــذْكِيْ أَلَمِــي   جُرْحُهُ الــدَّامِيْ يُــشِيْبُ اللِّمَمــا

يَشْتَكِيْ مِنْ وَطْأَةِ القَــسْرِ ومِــنْ   مُــسْتَبِدٍّ لا يُراعِــيْ الــذِّمَما

سُلْطَةُ الأَشْــرارِ تَــدْعُوْ بــالرَّدَى   والسِّياطُ الحُمْرُ تَــشْوِيْ اليُتَّمــا

زُمْــرَةُ التَّعْــذِيْبِ شُــذَّاذُ الــدُّنَا   أَحْدَثُوا في كُلِّ شَــخْصٍ مِيْــسَما

******

رُبَّ طِفْــلٍ مُحْــرَقٍ في مَهْــدِهِ   كــانَ يَبْــدُو ناضِــراً مُبْتَــسِما

جِسْمُهُ النَّاعِمُ أَضْــحَى شــاحِباً   وَجْهُهُ الوَضَّــاءُ أَمْــسَى هَرِمــا

******

رُبَّ ثَكْلَـــى في ظَـــلامٍ دامِـــس   صَوْتُها يَنْـسَابُ: "وامُعْتَــصِما"

اسْـــتَحالَتْ جُثَّــــةً هامِــــدَةً   إثْـــرَ تَعْـــذِيْبِ العُتَـــاةِ اللُّؤَمـــا

******

رُبَّ شَـــيْخٍ طَـــاعِنٍ في سِـــنِّه   يَزْدَرِيْ الطَّـاعنَ لَـنْ يَسْتَـسْلِما

رافِعـــاً رَأْسـاً عَزِيْـــزاً صـــامِداً   شَـــامخاً شَـــأْنَ الأُبَـــاةَ العُظَمَـــا

******

رُبَّ شِـــبْلٍ خـــادِرٍ في غِيْلِـــه   كـــانَ والرَّشّـــَاشُ دَوْمـــاً تَوْأَما

عنْـــدَما أَبْـــصَرَهُ جَـــيْشُ العِـــدَا   ظَـــلَّ يَعْـــدُوْ هارِبـــاً مُنْهَزِمـــا

أَيُّ شِبْلٍ ذلـــكَ الـــشِّبْلُ الـــذي   يَصْفَعُ البَغْـــيَ ويَمْـــشِيْ أَمَمَـــا

الحَـــصَى مِـــنْ كَفِّـــه قُنْبُلَـــةٌ   والعَـــصَا مِنْـــهُ تَـــرُضُّ المِعْـــصَما

يَرْفَعُ الـــصَّوْتَ مُهِيْبـــاً صـــارخاً   عـــاشَ شَـــعْبِي يَعْرُبِيَّـــا مُـــسْلِما

ولْيَمُـــتْ كُـــلُّ الغُـــزاةِ الـــدُّخَلا   ولْـــيَعُمَّ العَـــدْلُ في أَرْضِ النَّمَـــا

******

يا بنِيْ الإسلامِ يـــا أَحْفَـــادَ مَـــنْ   أَشْـــعَلُوْا بالعَـــدْلِ لَـــيْلاً مُظْلِمـــا

يَوْمَ شَعَّ النُّـــوْرُ مِـــنْ أُمِّ القُـــرَى   هاتِكاً بالـــضَّوْءِ عَـــصْراً مُعْتِمـــا

أَعْلِنُوهـــا وِحْـــدَةً مَرْهُوْبَـــةً   تَـــأْلَفُ المُـــرَّ وتَهْـــوَى العَلْقَمـــا

تَرْكَبُ الــصَّعْبَ بِعَــزْمٍ راسِــخٍ   في قُلُــوْبٍ لا تَخــافُ اللُّوَّمــا

****** ******

هَلْ رَأَيتُمْ مَوْجَــةَ الأَبْطَــالِ في   سَيْلِها العَــارِمِ تَغْلِــي ضَــرَمَا؟!

هَلْ سَمِعْتُمْ بالهُتَــافِ الحُــرِّ مِــنْ   فِتْيَــةٍ يَسْتَنْهِــضُوْنَ الهِمَمــا؟!

فِتْيَــةٌ خاضُــوا غِمــاراً لاهِبــاً   عُــزَّلاً يَــسْتَعْطِفُوْنَ الــشِّيَما

****** ******

يا صَلاحَ الــدِّيْنِ لَــوْ تَــسْمَعُنِي   رَوْضَةُ المِحْرابِ صــارَتْ حُمَمَــا

رَوْضَــةُ التَّهْلِيْــلِ والتَّكْبِيْــرِ في   قُدْسِكَ الأَقْصَى تُضاهيْ العَنْــدَما

يَنْدُبُ المِحْرابُ أَسْــمَى مَجْــدِهِ   ضَاعَ فالمِحْرابُ يَــشْكُو الأَلَمــا

****** ******

يا غِراسَ التِّيْنِ أَضْــناها الــصَّدَى   غُصْنُها الذَّاوِيْ يُنــاجِي زَمْزَمــا

يا رِيَاضَ الزَّهْوِ أَضْحَتْ مَحْزَنــاً   يا رُبُوْعَ الأُنْسِ أمْــسَتْ مَأْتَمــا

يا حُقُوْلَ القَمْحِ تُــسْقَى بــاللَّظَى   والكُرُوْمُ الخُضْرُ تُــرْوَى بالــدِّما

والجِبَالُ الــشُّمُّ تَــسْتَعْدِيْ وقَــدْ   صَــيَّرُوْها للمَخــازِيْ سُــلَّما

****** ******

سَلْ حَمَامَ السِّلْمِ مَــذْعُوراً أَتَــى   لائِذاً بالبَيْــتِ يَــدْعُوْ المُــسْلِما

نائِحاً عِنْدَ الحَطِيْمِ صائحاً ... يا حَطِيْمُ- الغَوْثَ- جُنْحِيْ حُطِّما

أَيْنَ غُصْنُ السِّلْمِ مِنْ زَيْتُوْنَةٍ ... أَثْمَرَتْ غَمًّا وحُزْناً مُؤْلِما؟

****** ******

أُمَّتِي ما بَالُ أَوْغَادِ المَلا ... يَسْتَبِيْحُوْنَ الحِمَى والحَرَما؟

كيفَ نُغْضِي الطَّرْفَ يا قَوْمِيْ وقَدْ ... زَمْجرَ التِّنِّيْنُ مَصَّاصُ الدِّما؟

حانَ أَنْ يُسْتأْصَلَ الجِسْمُ الذي ... ظَلَّ أَعْوامًا يُعانِيْ الوَرَما

طالَ جُرْحُ المَسْجِدِ الأَقْصَى أَما ... آنَ أَنْ يَلْتَئِمَ الجُرْحُ.. أَمَا؟

هَلْ يَعُوْدُ القُدْسُ حُرًّا شامِخاً ... طالَما كانَ انْتظارِيْ طالَما؟

ذاكَ يَوْمٌ يَسْعَدُ المَسْرَى بِهِ ... رافِعاً فَوْقَ الرَّوابِيْ العَلَما

****** *****

يا فَصِيْحاً يا خَطِيْباً مصْقَعاً ... فاغِراً في مَجْلِسِ الأَمْنِ فَمَا

جَمْرَةُ "الفِيْتُو" لَهُ مَشْبُوْبَةٌ ... تَجْعَلُ الآمالَ قَشًّا مُضْرَما

أَيُّها المِنْطِيْقُ رُحْمَاكَ اتَّئِدْ ... ليس بالسَّجْعِ تُصَحِّيْ النُّوَّما

إنْ رَكِنَّا للإدانَاتِ فَقَدْ ... حَلَّ فيها ذُلُّنا لا جَرَما

لا احْتِجاجاتٌ ولا الشَّجْبُ ولا ... لَهْجَةُ التَّنْدِيْدِ تُؤْتِيْ السَّلَما

كُفَّ عَنْ لَحْنِ الخِطاباتِ فَقَدْ ... أَوْشَكَتْ أَسْماعُنا أَنْ تَسْأَما

لا يُعيْــدُ الحَــقَّ تَنْميْــقٌ ولَــوْ … كــانَ مَغْــزاهُ عَميْقــاً قَيِّمــا

صَـيْحَةُ الإيجــازِ والإطْنــابِ لا … تُسْمِعُ الصُّمَّ ولا تَجْلُــوْ العَمَــى

إنمــا يُـسْمِعُهُم صَـوْتُ الأُلَــى … عانَقُوا البَدْرَ ورامُــوا الأَنْجُمــا

يَوْمَ شُدَّتْ وِحْـدَةُ الإسـلامِ في … عُرْوَةِ التَّوْحيْدِ شَـدًّا مُحْكَمــا

يَوْمَ آتَــتْ بِــذْرَةُ التَّوْحيْــدِ في … تُرْبَــةِ الإسـلامِ حَقْــلاً مُفْعَمــا

إنْ نَشَأْ فَــرْضَ انْتِــصَارٍ فلنَعُــدْ … للهُدَى نَــسْتافُ منْــهُ البَلْــسَما

لَوْ رَأَى العِرْبِيْــدُ أَدْنَــى وِحْــدَةٍ … لانْتَهَى مِــنْ سُــكْرِهِ وانْفَطَمــا

****** ******

يا بَصيْرَ الذَّرِّ في عُمْــقِ الــدُّجَى … يا مُغيْثَ البَذْرِ مِنْ فَتْــكِ الظَّمــا

أَنْتَ- رَبِّي- المُلْتَجَــا والمُرْتَجــى … جِئْتُ- رَبِّيْ- طالِبــاً مُسْتَعْــصِما

أَيِّــدِ الإســلامَ وابْعَــثْ قائِــداً … مُسْتَنيْراً ولْيَكُنْ حــامِيْ الحِمَــى

مَنْ يُعيْدُ المَجْــدَ لــلأَرْضِ كمــا … كانَ في الماضِــيْ قَوِيًّــا مُبْرَمــا

غَيْرُ ضِرْغـــامٍ مِنَ الأرضِ التي … تَسْتَقِيْ المِنْهــاجَ مِنْ رَبِّ السَّما؟!

❁❁❁

ذكرى وألم

بَصِيْصٌ مِنَ الإشْعَاعِ واللَّيْـــلُ مُظْلِـــمُ   يَشُقُّ الدَّيَاجِيْ والظَّلامُ مُخَيِّمُ

يُبَدِّدُ سُحْبَ الجَهْلِ مِنْ كُـــلِّ بُقْعَـــةٍ   ويَهْتِكُ حُجْبَ الظُّلْمِ والكُفْرَ يَخْذِمُ

مِنَ الكَعْبَةِ الـــشَّمَّاءِ يَنْـــدَاحُ نُـــوْرُهُ   فيَنْسَابُ في الآفاقِ يَسْمُوْ ويَعْظُمُ

غَزا مِنْ مَحارِيْـــبِ المَثَـــانِيْ فَنَـــوَّرَتْ   مَشَاعِلُهُ الأَرْجَاءَ والجَوُّ مُعْتِمُ

وأَرْوَى عِطاشاً طالَ في الأرضِ ظِمْؤُهُمْ   هُدًى فاسْتَقَى مِنْهُ مُحِلٌّ ومُحْرِمُ

وأَحْيَا مَواتـــاً في المَفَـــازَاتِ فانْتَـــشَى   بِرَقْراقِه المِغْداقِ سَهْلٌ وأَحْزُمُ

يَمُدُّ حِبَالَ الهَدْيِ يُهْدِيْ لذي الحِجـــا   مُواصَفَةً فيها لِذيْ الجَهْلِ بَلْسَمُ

يَشُقُّ عُبَابَ البَحْرِ والمَـــوْجُ مُرْعِـــبٌ   فيَحْتَضِنُ الشَّلَّالَ عُرْبٌ وأَعْجُمُ

******   ******

فيا مَكَّةَ الغَـــرَّاءَ يا مَنْبَـــعَ الهُـــدَى   أُحِـــبُّ ثَراكِ الغَـــضَّ واللهُ يَعْلَـــمُ

ويا عَرَفاتِ اللهِ يــا مُلتقَــى الصَّــفا[١] ذُراكِ مَعَ الجَوزاءِ بَلْ أَنْتِ أَعْظَــمُ
ويا غارَ ثَوْرٍ فِيْــكَ ذِكْــرَى عَزِيْــزَةٌ تُهَدْهِدُها الأَحْلامُ والقَلْبُ مُفْعَمُ
أَمِيْنٌ وصِــدِّيْقٌ وذُو العَــرْشِ ثالِــثٌ زَكَتْ صُحْبَةٌ فيها العَظِيْمُ المُعَظَّمُ
حنانَيْكَ إِنَّ القَلْبَ بالحُــبِّ عامِــرٌ لَهُ البَيْتُ مَهْوًى والحَطِيْمُ وزَمْزَمُ

******

ويا طَيْبَةَ الشَّمَّاءَ يــا مَعْقِــلَ الإِبَــا[٢] سَلامٌ يُزَجِّيْهِ لَكِ اليَوْمَ مُسْلِمُ
ويــا طَيِّبًــا فِي طَيْبَــةِ اللهِ طــاهِرًا أُصَلِّيْ عَلَيْهِ كُلَّما ماجَ عَيْلَمُ
ويا صَفْوَةَ الأَخْيارِ يــا سَــادَةَ الــدُّنا عَلَيْكُمْ بَكَى قَلْبِيْ وفِي عَبْرَتِيْ دَمُ
تَذَكَّرْتُ والــذِّكْرَى بقَلْبِــي مَرِيْــرَةٌ جَحافِلَ تَغْزُوْ والنَّبِيُّ المُقَدَّمُ
تَدُكُّ قِلاعَ الشِّرْكِ والغَــدْرِ والخَنــا فلَمْ يَنْجُ مَشْبُوْهٌ ولَمْ يَنْجُ مُجْرِمُ

******

فيا ســادةَ الدُّنْيَــا، سَــلامٌ، وعَبْرَةٌ، وغُصَّــةُ مَحْزُوْنٍ، وسَيــْفٌ مُثَلَّمُ

---

[١] الصَّفا: الصفاء.

[٢] الإبا: الإباء.

تَكالَبَتِ الأَعْداءُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ   تَداعَتْ على الإِسْلامِ تِلْكَ الشَّراذِمُ[١]

"سَرايِيْفُ"- يا رَبَّاهُ- أَضْحَتْ كما تَرَى   تُداسُ بِأَقْدَامِ النَّصَارَى وتُهْدَمُ

وتُنْتَهَكُ الأَعْراضُ فِيْها وحَسْبُنا   قَراراتُ شَجْبٍ واعْتِراضٌ مُنَعَّمُ

وقامَ "الصَّلِيْبُ" الوَغْدُ يَغْتالُ عِزَّنا   يُساعِدُهُ غَدْرٌ وجَيْشٌ عَرَمْرَمُ

رَأَوْا مِنْ أُسُوْدِ اللهِ نَوْماً فَعَرْبَدُوا   كذا يَفْعَلُ الخِنْزِيْرُ إنْ نامَ ضَيْغَمُ

تُهانُ كَراماتُ العَفِيْفَاتِ جَهْرَةً   ويُهْتَكُ سِتْرُ المُسْلِماتِ وتُلْطَمُ

يُنادِيْنَ أَيْنَ المُسْلِمُوْنَ وهذِهِ   شَوارِعُنا نارٌ وعارٌ وعَنْدَمُ؟!

فكَمْ مِنْ حَصانٍ ذاتِ خِدْرٍ مَصُوْنَةٍ   يُراقُ على أَقْدامِها الطُّهْرُ والدَّمُ

وكَمْ مِنْ رَضِيْعٍ جُرَّ مِنْ حِجْرِ أُمِّهِ   لِيَحْضُنَهُ صَدْرٌ غَرِيْبٌ مُحَرَّمُ

وكَـــمْ ســـاجِدٍ للهِ قَدْ صـــارَ شِـــلْوُهُ   وَقُوْدًا لنارِ "الصِّرْبِ" تُذْكَى وتُضْرَمُ

---

[١] في هذه القافية (تأسيس)، وهو الألف التي يفصل بينها وبين حرفِ الرويّ (الميم) حرفٌ، هو (الذال) هنا. على حين جاءت القوافي الأخرى دون تأسيس، وهو ما يُسمى في عيوب القوافي: (سناد التأسيس)؛ وذلك حينما تأتي بعض القوافي مؤسّسة وأخرى مجرّدة من التأسيس، وعلى الشاعر- بحسب قواعد التقفية- عدم المزج بين النَّمَطين في قصيدة واحدة.

وكَمْ ناعِقٍ مِنْ مَجْلِسِ المَيْنِ مارِقٍ يُماريْ بِنَصْرٍ وَهْوَ لِصٌّ مُذَمَّمُ

وبُطْرُسُ في حِزْبِ الشَّياطينِ ضالِعٌ فكيفَ بِهِ في مَجْلِسِ المَيْنِ يَحْكُمُ؟!

خطاباتُهُ عَرْجَاءُ مِنْ نَفْثِ كاهِنٍ مَقاطِعُها حِقْدٌ وخُبْثٌ وبَلْغَمُ

وفِيْها قَضايا المُسْلِمِيْنَ تَبَخَّرَتْ على كَفِّ عِفْرِيْتٍ غَذَتْهُ جَهَنَّمُ

ومَنْ يَنْتَظِرْ مِنْ حِزْبِ "بِلْفُورَ" مُنْجِدًا فَعَائِدُهُ المَنْظُوْرُ صَابٌ وعَلْقَمُ

****** ******

فيا رَبِّ نَصْرًا عاجِلاً مِنْكَ يُرْتَجَى لَكَ الرُّوْحُ تَعْنُوْ والتَّسَابِيْحُ والفَمُ

تَفَضَّلْ بِنَصـــْرٍ مِنْكَ لِلْعُصْــبَةِ التـــي لَكَ اتَّجَـــهَتْ تَدْعُوْكَ والخَلْقُ نُوَّمُ

٥٥٥

دمعة في صباح العيد !

يُجَدِّدُ العيْـدُ أَحْـزانيْ وآلامـيْ أَنُـوْءُ فيْـه بـأَوزاريْ وآثـامي

أَراهُ ذا صَـفْحَة شَـهْبَاءَ شـاحِبَة تَعُجُّ بالرُّعْـبِ مـنْ بُلْـه وأَقْـزَامِ

والنَّاسُ في بَهْجَةٍ منْ عيْدهمْ وأنـا في حَسْرَة المُبْتَلَـى أَجْتَـرُّ آلامـي

فِيْمَ التَّهانيْ، وليَّ في كُلِّ جارحَـة طَوْقٌ منَ الحُزْن مَسْبُوْك بـأَحلامي؟

وما التَّبَـاهيْ بـأَثْواب مُنَمَّقَـةٍ؟ وما التَّبَخْتُرُ في لُبْـسيٍ وهنْـدامي؟

هَلْ الـسَّعادَةُ أنْ أَفْـتَنَّ في حُلَـلٍ شَفَّافَة منْ نَسيْجِ السُّنْدُسِ الـسَّامي؟

ودَمْعَةٌ في صَبَاحِ العيْد قَدْ وَشَـمَتْ على مُحَيَّـا فَتَـاة أُخْـت أَيْتَـامِ؟

وأَنَّـةُ الآه مـنْ ثَكْلَـى مُحَمَّلَـة بالبُؤْسِ تَحْتَ رُكامٍ تَحْتَ أَكْـوامِ؟

وكانَ في ثَغْرِ طفْل بَسْمَةٌ نَـسيَتْ مكانَها العَذْبَ منْ ظُلْمٍ وإجْـرامِ؟

وعالَمٌ مُجْهَـدٌ يَغْتالُـهُ نَـزَقٌ مـنْ عَنْعَنَـاتٍ وأَنْـصَابٍ وأَزْلامِ؟

****** ******

يا فَرْحَةَ العِيْدِ يـــا أَنْـــوارَ بَهْجَتِــــه عِيْدِيْ أنا مُظْلِمٌ مِنْ فَرْطِ أَسْــقامِي
يا عِيْدُ لا تَنْكَإِ الجُرْحَ الذي انْدَمَلَتْ أَغْوَارُهُ، لا تُعِدْ لِيْ رُعْبَ "أَفلامِي"
دَعْنِي وحُلْمِي وأَشْيَائِيْ التي قَتَلَــتْ فِيَّ الرُّؤَى مِنْ خَيــالاتِيْ وأَوْهــامِي
أَحْدُوْ طُيُوْفاً مِنَ الأَحْــزَانِ لاهِبَــةً وَقُوْدُهـــا في ثَنايَــا قَلْــبِيَ الــدَّامِي
خَوالِجٌ مُـــرَّةٌ تَهْتَــاجُ فِي كَبِــدِي تُذِيْبُها جَمْرَةٌ مِـــنْ حَـــرِّ أَنْــسَامِي
أَحِنُّ شَوْقاً إلى العِيْدِ الــسَّعِيْدِ وفي جَوَانِحِيْ مَنْهَلٌ، لكنْ أَنــا الظَّــامِي
أنا على هــامِشِ الأَيَّــامِ مُرْتَحِــلٌ وَحْدِيْ وزادِيْ وُرَيْقَاتِيْ وأَقْلامِــي
أَسِيْرُ فِي التِّيْهِ فَــرْدًا لا إلى هَــدَفٍ مُحَمَّلاً بالأَسَى يــا بُــؤْسَ أَيَّــامِي
إلاّ إلى الهَدَفِ الأَسْــمَى ويا فَزَعِي إنْ كُنْتُ لم أَسْتَطِعْ تَثْبِيْتَ أَقْدامِي
فلَوْ حَسَبْتُ وبالأَرْقامِ ما اقْتَرَفَــتْ نَفْسِيْ لزادَتْ على الأَعْدادِ أَرْقــامِي

******

******

يا عِيْدُ جَدِّدْ لِيَ الذِّكْرَى بِــذاكرتِيْ عَلِّي أَرَى وَرْدَةً في غُصْنِها النَّــامِي
فيُــوْرِقُ اليَأْسُ في قَلْــبٍ أَلَــمَّ بِهِ جَدْبٌ ويَخْضَـــرُّ مِنْهُ يُبْسُ أَعْوامِي

حَلِّقْ مَعَ الغيْدِ أَنْـــسامًا مُعَطَّـــرَةً　　　مِنْ كُلِّ صَيَّادَةٍ مِنْ طَرْفِها الرَّامِـــي

أُنْثُرْ عَبِيْراً على الأَحْبابِ مُنْتَـــشِراً　　　يَفُوْحُ بالطِّيْبِ مِنْ زَهْرٍ وأَكْمَـــامِ

******　　　******

شَبَّابَةَ العِيْدِ يا أَسْـــجَاعَ ســـاحِرَةٍ　　　يا فِتْنَـــةً مِـــنْ تَـــرانِيْمٍ وأَنْغَـــامِ

تُذيْعُ ما خَبَّأَ الوَلْهانُ مِنْ شَـــجَنٍ　　　كأَنَّها هَمْـــسَةٌ في سَـــمْعِ نَمَّـــامِ

يَصُدُّنِيْ عَنْ هَواها إنْ صَبَوْتُ إلى　　　إِغْرائِها مَوْقِفٌ مِنْ نَهْيِ إِسْـــلامِي

******　　　******

يا عِيْدُ عادتْ بِكَ الأَفْراحُ غامِـــرَةً　　　لِمَنْ لَهُمْ لُؤْلُؤٌ في بَحْـــرِكَ الطَّامِـــي



سُلْطانُ والجيش

أهْلاً حَلَلْتُمْ ضُيُوْفَ المَجْدِ والشِّيَمِ ... سَهْلاً وَطِئْتُمْ ضُيُوْفَ العزِّ والشَّمَمِ

قُلُوبُنا مِنْ رَحِيْقِ الوُدِّ مُفْعَمَةٌ ... تَفيْضُ حُبًّا لَكُمْ يا مَحْتِدَ الكَرَمِ

مَرْحَى رِجالاً تَبَارَوا للعُلا شُهُبًا ... وَهَّاجَةً في السَّنَى أَسْمَى مِنَ النُّجُمِ

مِنْ كُلِّ لَيْثٍ هَصُوْرٍ صَانَ غَيْضَتَهُ ... أو كُلِّ قَرْمٍ سَدِيْدِ الرَّأْيِ مُعْتَصِمِ

مِنْ أَرْضِ خَيْرِ الوَرَى مِنْ سِرِّ قُوَّتِها ... مِنْ مَهْبِطِ الوَحْيِ مَهْدِالعِلْمِ والقَلَمِ

قُدْتُمْ سَفِيْنَتَها الشَّمَّاءَ شَامِخَةً ... تَشُقُّ أَعْتَى عُبَابِ المَوْجِ بِالهِمَمِ

حتى اسْتَقَرَّتْ على المِيْنَاءِ مُثْقَلَةً ... بِنَهْضَةٍ دُوْنَها الأرْقَى مِنَ الأُمَمِ

رُبَّانُها الفَذُّ رَمْزُ الخَيْرِ رائِدُنا ... فَهْدُ المُفَدَّى عَمِيْقُ الفِكْرِ والحِكَمِ

مَنْ فِعْلُهُ زَلْزَلَ الأعْداءَ فَارْتَجَفُوا ... واهتَزَّتْ ارْكانُهُمْ[1] مِنْ وَطْأَةِ الأَلَمِ

فَأَدْبَرُوا والسِّياطُ الشُّهْبُ تَلْسَعُهُمْ ... وجُلِّلُوا بِجِلالِ الذُّلِّ والنَّدَمِ

---

[1] تُسَهَّل همزة القطع من "أركانهم" لضرورة الوزن، وكان يمكن أن يجعله: "واهتزّ بنيانُهمْ".

أرْضُ القَدَاسَاتِ لا تَعْنُوْ لِمُنْحَرِفٍ … تَأْبَى ويَأْبَى بَنُوْها، لَنْ و لم تُضَمِ

وقالَها الفَهْدُ: شِبْرًا لا نُمَلِّكُهُ … مِنْ طامعٍ مَارِقٍ يَنْقَادُ لِلْحُلُمِ

يَشُكُّهُ لَيْثُ غَابٍ في مَخَالِبِهِ … وقَدْ تَعَفَّرَ أَنْفُ الوَغْدِ بِالرَّغَمِ

هذيْ الشَّجَاعَةُ في أَسْمَى مَراتِبِها … هذا الدَّهَاءُ- لَعَمْرِيْ- قِمَّةُ القِمَمِ

في شَخْصِهِ يَحْسُنُ الإنْشَادُ إنْ سَنَحَتْ … قَصَائِدٌ حُرَّةُ الأَفْكَارِ والنَّغَمِ

فَوْقَ المَدِيْحِ وكَمْ أَضْحَتْ بِمِدْحَتِهِ … عَصْمَاءُ شِعْرٍ تُضَاهِيْ عِقْدَ مُنْتَظِمِ

مَلْكٌ يُمازِجُ نُوْرُ الدِّيْنِ مُهْجَتَهُ … في حُبِّ مَثْوَى رَسُوْلِ اللهِ والْحَرَمِ

يَقْفُوْ خُطَى عَبْقَرِيٍّ عابِدٍ بَطَلٍ … خَاضَ المُلِمَّاتِ في مُحْلَوْلِكِ الظُّلَمِ

صَقْرِ الجَزِيرَةِ بالتَّوْحِيْدِ وَحَّدَهَا … "والحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ على قَدَمِ"

* * *

مَرْحَى أبا خالد بُوْرِكْتَ مُبْتَسِمًا … في كُلِّ مُعْضِلَةٍ تَغْتَالُ كُلَّ فَمِ

كَمْ دَمْعَةٍ كَفْكَفَتْها كَفُّكُمْ فَغَدَتْ … تِبْرًا على الخَدِّ بَعْدَ الحُزْنِ والأَلَمِ

سُلْطانُ والجَيْشُ والإقْدامُ إنْ ضَرِمَتْ … نارُ الوَغَى واسْتَشَاطَتْ جَذْوَةُ الضَّرَمِ

لُيُوْثُنـــا في تُخُـــوْمِ الأرْضِ عاصِـــفَةٌ   هَوْجَاءُ تَسْفِيْ على الأَعْدَاءِ بـــالنِّقَمِ

صُقُوْرُنا في عَنَـــانِ الجَـــوِّ صَـــاعِقَةٌ   تَنْقَضُّ في الحَرْبِ تُرْوِيْ أَرْضَنا بِـــدَمِ

* * *   * * *

يا مَنْ ظَنَنْـــتَ بـــأَنَّ الأَرْضَ دانِيَـــةٌ   قُطُوْفُهـــا دُوْنَهـــا نَفَّاثَـــةُ الحُمَـــمِ

قَدْ خَابَ ظَنُّكَ لا واللهِ ما خَـــضَعَتْ   ودِرْعُها كُلُّ صَلْتٍ صـــارِمٍ حُطَـــمِ

رِمالُها الحُمْـــرُ كالإبْرِيْـــزِ تَسْـــكُبُهُ   أَيْدِيْ الصَّيَارِفِ مِنْ أَبْنَائِهـــا الـــبُهَمِ

* * *   * * *

يا مَنْ رَأَى الباسِلَ المِغْـــوارَ مُغْتَبِطًـــا   وقَدْ تَسَنَّمَ في زَهْوٍ مَطَـــى الـــسُّدُمِ

يَحْمِيْ ثَرَى مَعْقِلِ الإِسْـــلامِ في ثِقَـــةٍ   عنْ كُلِّ أَرْعَنَ لِـــصٍّ حـــانِقٍ قَـــزَمِ

هذي البِلادُ ومِنْهـــا كُـــلُّ مَلْحَمَـــةٍ   تَغُوْصُ في لُجَّةِ التَّارِيْخِ مِـــنْ قِـــدَمِ

مَحْفُوْظَـــةٌ بِجُنُـــوْدِ اللهِ تَحْرُسُـــها   أَعْيُنُهُمْ- بَعْدَ عَيْنِ اللهِ- لَـــمْ تَـــنَمِ

كَمْ رامَها حاقِدٌ خَسْرانُ ذُو صَـــلَفٍ   ما كانَ يَفْرُقُ بَيْنَ الصَّقْرِ والرَّخَـــمِ

غَرْقــانُ في نَشْــوَةٍ بَلْهــاءَ تَغْمُــرُهُ وعادَ بِالخِزْيِ مَصْفُوْعًا على الصَّمَمِ

* * * * * *

إنْ قــادَ مُنْحَرِفًــا شَــيْطانُهُ غَــرَرًا وعاضَدَتْهُ ذُيُوْلُ الذُّلِّ مِــنْ خَــدَمِ

عُذْنا مِنِ ابْلِيْسَ بالرحمنِ وانْطَلَقَــتْ أَفْواجُنا تَدْحَرُ الــشَّيْطانَ بِــالرَّجمِ

لا تُحْجَبُ الشَّمْسُ بالغِرْبالِ فانْزَجِرُوا يا مَنْ تُرِيْدُوْنَ دَسَّ السُّمِّ في الدَّسَــمِ

* * * * * *

يا سَــيِّدًا يُــذْهِلُ الــدُّنْيا تَواضُــعُهُ يا بَسْمَةَ الزَّهْرِ مِنْ نُــوَّارَةِ الــدِّيَمِ

يا طالِعَ السَّعْدِ والأَجْفَانُ تَحْــضُنُكُمْ إنَّ الشَّمالَ لَتَزْهُــوْ زَهْــوَ مُبْتَــسِمِ

جَذْلَى وقائِــدُها الــضِّرْغامِ مُبْــتَهِجٌ يَسْمُوْ بِها يا سُمُوَّ الــسَّيِّدِ الــشَّهِمِ

فَرْعَــانِ مِنْ دَوْحَةِ الأَمْجَادِ، راسِخَةً، رواؤُها مِنْ مَعِــيْنِ النُّبْــلِ والقِيَــمِ

فيفاءُ متَّكأ النجوم .. !

فَيْفاءُ مـــا أَحْلَـــى ذُراكِ الغُـــرَّ مُتَّكَـــأَ النُّجُـــوْمِ
يا عُنْفُوانًا شـــامِخًا يـــا وَكْـــرَ خَـــوْلانَ الأَرُوْمِ
ياعُمْدَةَ الأَطْوادِ في الآفـــاقِ يـــا طِـــبَّ الهُمُـــوْمِ
في حِجْرِكِ الحانيْ تَربَّى الفَخْرُ في الصَّدْرِ الـــرَّؤُوْمِ
تَغْفُوْ على تَسْبيْحِ قَطْرٍ فاضَ مِـــنْ مُهَـــجِ الغُيُـــومِ
تَصْحُوْ على أَنْغامِ طَيْرٍ عَبَّ مِنْ سَـــكَرِ الكُـــرُومِ
سَجَّلْت رَسْـــمَكِ في جَبِيْنِ الدَّهْرِ مُنْبَلِجِ الرُّسُـــومِ

******

مِنْ صَخْرِكِ الصَّوَّانِ قَوْمِيْ إذا اسْتَغَثْتُ بيا لَقَوْمي[١]
يَأْتُوْنَ كالطُّوفـــانِ كالإِعْصَـــارِ في يَوْمِ السَّـــمُومِ

---

[١] البيت مكسور. يستقيم لو قال: "من صخركِ الصَّوّانِ قَوْمِيْ ما استغثتُ بيا لَقَوْمي".

كالجِنِّ زَمْجَرَ شَيْخُهُمْ مَرْحَـــى لأَحْفَــادِ القُرُومِ

******

يا لائِمِيْ في حُـــبِّهِمْ أَقْصِرْ..كَفَــاكَ اليَوْمَ لَوْمِـــي

******

فَيْفاءُ وانْطَلَقَتْ بِيَ الأَشْــواقُ لِـــلأَرْضِ الجَمِيْلَـــةْ

للطَّلِّ قَبْلَ الشَّمْسِ مَنْظُوْمًـــا بِأَهْــدابِ الخَمِيْلَـــةْ

لِلَّيْلِ يَسْرِيْ ضَــوْءُهُ الزَّاكِــيْ بِأَنْــسَامٍ عَلِيْلَـــةْ

للحَقْلِ، للنَّوَّارِ، للأَمْطَــارِ تَــسْرِيْ كُـــلَّ لَيْلَـــةْ

للعِيْــدِ للأَفْـــراحِ للـــشَّادِيْ لِتَغْرِيْـــدِ القَبِيْلَـــةْ

للبَسْـــمَةِ البَيْضَـــاءِ لا تُوْحِيْ بِإِضْـــمَارِ الرَّذِيْلَـــةْ

******

يا دِيْرَةً في حَبَّـــةِ القَلْـــبِ وفي الـــرُّوْحِ العَلِيْلَـــةْ

ذِكْراكِ تَجْرِيْ في دَمِيْ، مالِيْ على السُّلْوانِ حِيْلَـــةْ

يا حُبِّيَ العُذْرِيَّ يا فَيْفَاءَ يَـــا أَرْضِـــيْ الأَصِـــيْلَةْ

يا قِمَّـــةَ التَّارِيْـــخِ مِنْ خَـــوْلانَ والقِيَـــمِ النَّبِيْلَـــةْ

للهِ يا فَيْفَــاءَ يا مَغْــنَى الشَّــهامَــةِ والفَضِيْلَــةْ

******

يا مَهْدِيَ المَسْكُوْنَ بالرُّوْحِ ويــا أَرْضَ الــضَّبَابِ

يا ضَوْءَ فاغِيْ جُوْنَةِ العَطَّارِ مِنْ عَــرْفِ المَــلابِ

يا عُدَّتِيْ يا نَسْلَ أَشْبَالٍ رَبَــتْ في خِــدْرِ غَــابِ

مَنْ سَمَّرُوا في السَّفْحِ أَقْدَامَ الأَعــاديْ بــالحِرابِ

غَرائِبُ الأَقْدَامِ لا تَمْشِــيْ على خُضْــرِ الرَّوابِي[1]

******

ما ضَرَّ لَوْ عَادَتْ بِيَ الذِّكْرَى إلى عَهْدِ التَّــصَابِي

تَسْتَقْطِرُ الأَهْوَاءَ والأَنْداءَ مِــنْ شَــثْنِ الإهَــابِ

تَسْــتَعْطِفُ الأَيَّــامَ لا تَجْتَاحُ رَيعَانَ الشَّــبَابِ

******

[1] حَدَث في التفعيلة الأولى الوَقْص، أي حذف الثاني المتحرّك من "متفاعلن"، وهو زحاف ثقيل في البحــر الكامــل، حُكْمُه عند العَروضيّين: أنه "صالح"، لكن الأفضل اجتنابه. وكان يمكن أن يقول: "فغرائبُ الأقدام ...".

يا مُلْهِمِيْ يا سَامِقاً تَخْتَالُ مِنْ فَــوْقِ الــسَّحابِ
أَوْرَيْتَ نَارَ الشِّعْرِ فِي عُوْدٍ ضَعِيْفِ الجَمْرِ خَــابِ
حَرَّكْتَ قلْباً هامِــداً مِنْ وَخْــزِ أَصْنافِ العَذابِ

******

يا مَعْدِنِيْ يا جَدِّيَ الفَلاَّحَ كَــمْ كُنْــتَ أَبِيَّــا[١]
عاهَدْتَ حَقًّا أَحْرُفَ المِحْــرَاثِ أَنْ تَبْقَــى وَفِيَّــا
أَوْدَعْتَ فِي التُّرْبِ الإِبــاءَ فجــاءَ مِعْطــاءً سَخِيًّا

******

يا جِذْرَنا المَزْرُوْعَ فِي الأَعْماقِ هَلْ ما زالَ حَيَّــا؟
لا غَرْوَ إنْ أَرْوَيْتُــهُ دَمْعِــيْ، لَــهُ حَــقٌّ عَلَيَّــا
رَمْزٌ مِنَ الماضِــيْ مِنَ التَّارِيْــخِ أَضْحَى عَبْقَرِيَّــا

******

[١] لحق التفعيلةَ الأخيرة من البيت زحافُ الخزل، اعتمادًا على إشباع حركة التاء في كلمة "كنتَ"، وكان يمكن تــلافي ذلك بتعريف الكلمة الأخيرة: "... كنتَ الأبيّا".

كَمْ فِي الرِّعَانِ الشُّمِّ يَنْـــدَاحُ الـــشُّمُوْخُ يَعْرُبِيَّـــا
كَمْ فِي وَجُوْهِ النَّاسِ يَبْدُوْ الحُسْنُ حُسْناً مَذْحِجِـــيَّا
أو في حُقُوْلِ البُنِّ بَعْدَ الطَّـــلِّ صُـــبْحاً أو عَـــشِيَّا
أو في السُّفُوْحِ الخُضْرِ في الأَزْهَارِ وضَّـــاحاً بَهِيَّـــا
يَزْدَادُ فِيْكِ الحُسْـــنُ حُسْناً يا بِلادِيْ سَـــرْمَدِيـــَّا



بلادٌ تحضن الشمس

يا بلادَ الكَعْبَةِ الشَّمَّاءِ، يا طُهْرَ المَدِيْنَــةْ
مَأْرِزُ الإيمانِ أَنْتِ- نِعْمَ واللهِ- الأَمِيْنَــةْ
وعلى ظَهْرِكِ يَخْتَالُ شِـــراعٌ وسَــفِيْنَــةْ
وشَمارِيْخُ ولِيْنَةْ
وعلى طُهْرِكِ ســارَ المُصْطَفَى والخُلَفاءْ
والتُّقَاةُ الحُنَفاءْ
وأَقامُوا العَدْلَ في الدُّنْيَــا، وأَلْوَانَ الوَفَاءْ

وبَنَوا للدَّوْلَةِ العُظْمَى أَساساتٍ مَكِيْنَــةْ

ودِعاماتٍ وأَرْكانًا مَتِيْنَةْ

واقْتَفَيْنا سِيْرَةَ التَّارِيْخِ مِنْ أَرْضِ الــصَّفاءِ

وعَقَدْنا العَزْمَ أَنْ نَسْعَى لإِبْرامِ الوَفَـــاءِ

وشَــدَدْنا العَقْدَ بالعُرْوَةِ في صِدْقِ الوَلاءِ

والمَسَارَاتُ اسْتَقامَتْ في بِلادي

والمَناراتُ مَعَ الأَفْلاكِ في السَّبْعِ الشِّدَادِ

خَمْسُ مَرَّاتٍ تُنادي

نَسَمَاتُ الصَّوْتِ فاحَتْ بِشَذَا اللَّحْنِ المُعَطَّرْ

بِشَذا : اللهُ أَكْبَرْ

وخُيُوْطُ النُّوْرِ في الأُفْقِ تُدَلِّيْها الســَّمَاءْ

وبلاديْ تَحْضُنُ الشَّمْسَ على مَدِّ الفَضَاءْ

كُلُّ شَيْءٍ فِيْكِ يا أَرْضِيْ مِنَ اللهِ مُسَخـــَّرْ

وبِعَوْنِ اللهِ والعَزْمِ مُيَسَّرْ

وعلى اسمِ اللهِ يَرْسُوْ الفُلْكُ مَزْهُوَّ الصَّوَارِيْ

سارَ باسمِ اللهِ والرُّبَّانُ ماهِرْ

والرِّمَـــالُ الحُمْرُ غَـــصَّـــتْ بالـــسَّـــنَابِلْ

وغَـــدَا الفَـــلاّحُ يَسْتَعْدِيْ مُهِمَّاتِ المَناجِلْ

وعَراجِيْنُ النَّخِيْلِ الباسِقَاتْ

عانَقَتْها نَجْمَةُ الصُّبْحِ بـــأَحْلَى القُـــبُلاتْ

هذهِ الصَّحْراءُ تَخْضَرُّ على وَبْلِ الرَّواعِـــدْ

وعلى ما أَخْرَجَتْ مِنْ كَنْزِها سُمْرُ السَّواعِدْ

هكذا أَنْتِ شـــمُوْخٌ يا بِلادِيْ في مَسَارِكْ

هكذا والبَحْرُ جَبَّـــارٌ ويَسْتَخْذِيْ أَمامَـــكْ

كانَ صَـــعْبًا شـــامِسًا لكنَّهُ أَضْحَى ذَلُوْلا

صارَ في قَبْضَةِ مالِكْ

* * *

مَشْرِقُ التَّوْحِيْدِ والإِيْمَانِ والنُّـــوْرِ المُبِـــيْنْ

قِبْلَـــةُ الدُّنْيا وفيها مَهْبِـــطُ الرُّوْحِ الأَمِيْـــنْ

ورَشادُ الحائِرِيْنْ

وجَلالُ البَيْتِ والفُرْقانِ نُوْرٌ فَوْقَ نُـــوْرْ

فَوْقَ هاماتِ البُدُوْرْ

* * *

يا بِلاديْ لَكِ حُبِّي كُلَّما هَبَّ النَّسِيْمْ

كُلَّما زَارَتْ وُفُوْدُ اللهِ زَمْزَمْ[١] والحَطِيْمْ

لَكِ حُبِّي .. لَكِ حُبِّي

حُبُّكِ العُذْرِيُّ مَوْشُـــوْمٌ على شِرْيانِ قَلْبِـــي

عاشَ مَنْ يَحْمِيْكِ عَنْ كُلِّ الأَذَى يَرْعَاهُ رَبّي

لَكِ حُبِّي

❄❄

[١] هكذا قُيِّدت الكلمة هنا ليستقيم الوزن. وفي نسخة أخرى مطبوعة: "جمعًا" مكان "زمزم"، لكنه لا يستقيم بها المعنى.

نشيد " مُسْلِمٌ أنا "

مُسْلِمٌ أنا

مُسْلِمٌ أنا

مُسْلِمٌ أنا

ذاهبًا أو آيِبا

حاضرًا أو غائبا

راكِعًا أو ساجِدا

قائِمًا أو قاعِدا

مُسْلِمٌ أنا

* * *

مُسْلِمٌ جِسْمِيْ وأَفْكاريْ ولُبِّـــي

يَنْبِضُ الإسْلامُ مِنْ شِرْيانِ قَلْــبِي

مِنْ عُرُوْقِيْ مِنْ دَمِيْ مِنْ فَضْلِ رَبِّي

مُسْلِمٌ أنا

* * *

نُوْرُ دَرْبِيْ مِنْ هُدَى خَيْرِ الأَنـــامْ

في سَبِيْلِ الحَقِّ لا أَخْـــشَى المَـــلامْ

يَنْبَرِيْ مِنْ مَنْطِقِيْ أَحْلَى الكَـــلامْ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

في لسانِيْ دائمًـــا ذِكْـــرُ الجِهـــادْ

مِلْءُ قَلْبِيْ الخَوْفُ مِنْ يَوْمِ التَّنَـــادْ

أَسْـــتَمِدُّ العَوْنَ مِنْ رَبِّ العِبـــادْ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

صَرْخَتِي حَيَّـــا صَـــدَاها العـــالَمُ

مُدْرِكًا أَقْـــصَى مَـــدَاها المُـــسْلِمُ

جِـــئْتُ مِنْ دارٍ بَنـــاها الأَرْقَـــمُ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

يا بِلادَ الطُّهْرِ يــا خَيْــرَ الثَّــرَى
يا شُعاعَ النُّوْرِ مِــنْ أُمِّ القُــرَى
دَفْقُ حُبِّي فَاضَ مِنْ غــارِ حِــرَا

مُسْلِمٌ أنا

* * *

في رِحابِ البَيْــتِ يَمْتَــدُّ الأَمَــانْ
مِنْ مَحارِيْبِ الهُدَى يَعْلُــوْ الأَذانْ
مِنْ حَنايا مُؤْمِنٍ رَطْــبِ اللِّســانْ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

أُمَّةَ الإِســلامِ قُــوْمِيْ وانْــشدِيْ
مَجْدَكِ المَمْزُوْجَ بالذِّكْرِ النَّــدِيْ

رَدِّدي فـــــي عُنـْـفُــوانٍ رَدِّديْ

مُسْلِمٌ أنا

* * *

* *

*

جدبٌ وسرابٌ[١]

ما لهذا العَصْرِ، أَجَدْبٌ ضَــنِيْنُ؟	أَمْ مُصَابٌ بالعُقْمِ؟ أَمْ عِنِّــيْنُ؟[٢]
أَمْ لُيُوْثُ الآجامِ أَضْحَتْ نَعامًــا؟	أَمْ تَساوَى زَئِيْرُهــا والطَّنِــيْنُ؟[٣]

[١] هذه القصيدة من قصائد الشاعر القديمة. سمعتها منه وأنا في المرحلة الثانوية، سنة ١٣٩٧هـ تقريبًا، وهو يُلقيها في حفل بمدرسة عرعر الثانويّة، لعله حفل ختام السنة الدراسيّة. لكني أجد الآن أمامي من القصيدة ثلاث نسخ، فمن الواضح أن الشاعر قد رأى في القصيدة (معلّقته)، إنْ جاز التعبير؛ فأعمل فيها قلمه تنقيحًا وتعديلاً، وحذفًا وإضافة، وتقديمًا وتأخيرًا، عبر سنوات العمر. ولعلّ من الأسباب وراء ذلك أن الشاعر ألقَى القصيدة في مناسبات متفاوتة زمانًا ومكانًا، فكان يكيّف النصّ حسب المقام. ومن ثم فالقصيدة سِجلٌّ بتحوّلات الشاعر الفنيّة والفكرية عبر تجربته، قمينة أن تكون نموذجًا تكوينيًّا لدارس شعره من هذه الناحية. فهناك النسخة القديمة، التي أذكر أبياتها مساءَ إلقائها ١٣٩٧هـ، ومنها نسختان: مخطوطة ومطبوعة. والنسخة القديمة- في مخطوطها ومطبوعها- أطول من نسخة ثالثة مصطفاة من القصيدة القديمة، ومعدّلة أبياتها، حتى لتكاد تصبح قصيدة أخرى. وسأحترم هنا الاختيار الأخير للشاعر- وإن كان لي في بعضه رأي نقديّ آخر، يجد القديم أحلى وأوفى وأصدق- معتمدًا نسخته الأخيرة، مشيرًا في الحواشي إلى الاختلافات مع النسختين الأخريين. وسأرمز إلى الأصل المخطوط بـ: (أ)، وإلى مطبوعه بـ: (ب)، وإلى النسخة الأخيرة بـ: (ج).

[٢] لا بُدّ من إشباع حركة الراء في كلمة "العصر".

وفي (أ) و (ب): "**هل زمانُ الصَّاروخِ جَدْبٌ ضَنِيْنُ؟ أمُصابٌ بالعُقْمِ أَمْ عِنِّينُ؟**".

وأحفظ شطره الأخير في نسخة القصيدة تلك: "أم مصابٌ".

[٣] في (أ) و (ب): "أليوثُ الآجامِ أضْحَتْ نعامًا؟". وفي (ب): "أتساوَى زئيرُها والطَّنِيْنُ؟".

أَخِداعًا أَرَى وعَــصْرَ سَــرابٍ؟ ... هَلْ تَوَهَّمْتُ؟ بَلْ كذاكَ اليَقِــيْنُ[1]

فِي خِضَمِّ الأَحْداثِ والمَوْجُ عَاتٍ ... والصِّراعاتُ والفَنَا والطَّحِــيْنُ[2]

والخِطاباتُ والهُتَــافُ المُــدَوِّيْ ... والمَزاميْـــرُ والغِنـــا والــرَّنِيْنُ

عادَ بِيْ الفِكْرُ للقُــرُوْنِ الخَــوالِيْ ... مَنْهَلَ الصَّفْوِ أَيْــنَ ذاكَ المَعِــيْنُ

فاسْتَلَلْتُ اليَراعَ أَقْتــاتُ شِــعْرًا ... مِنْ يَــراعٍ مُلَــوَّعٍ يَــسْتَكِيْنُ[3]

أَمْضَغُ اللَّفْظَ والمَشَــاعِرُ جَرْحَــى ... يا لَشِعْرِيْ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الرَّصِيْنُ؟[4]

كُلَّما حَلَّقَــتْ مَعِــيْ خَطَــراتٌ ... فِي سَمَــاءِ الماضِيْ تَقَرُّ العُيُوْنُ[5]

---

١ في (ب) تعديلٌ للشطر الثاني– لكن الشاعر عَدَل عنه إلى صيغته الأولى– وهو: "أم هو الريبُ قد جلاهُ اليَقينُ". وبعد هذا البيت بيتٌ في (أ) و (ب)، هو: "**أرؤى نائمٍ وأضغاث حلمٍ** ... **أمْ خيال تنساب منه الشجونُ**".

٢ في (أ) و (ب): "والموج طاغٍ".

٣ في (أ) و (ب): "**فاستللتُ اليَراعَ أكتُبُ شعْرًا** ... **ويراعي في سِجْنِ ثوبي رهينُ**".

٤ في (أ) و (ب): "أطلبُ اللفظَ من مشاعرَ جَرْحَى".

٥ في (أ) و (ب): "حلّقتْ بنا".

تَتَجَلَّـــى للنَّـــاظِرِيْنَ سِـــمَاتٌ　　ضَمَّخَتْها بالطِّيْبِ تِلْكَ القُـــرُوْنُ[١]

* * *　　* * *

مِنْ هُنا أَلْهَبَتْ سِـــياطُ الـــسَّرَايا　　صَهْوَةَ البَغْيِ وهْوَ صَعْبٌ حَرُوْنُ

مِنْ حَنايا وِدْيانِ فـــارانَ شَـــعَّتْ　　شُعْلَةُ النُّوْرِ فاسْتَـــضَاءَ الكَـــوْنُ[٢]

مِنْ ثَنايا قُبـــا الجَحافِـــلُ هَبَّـــتْ　　تَنْشُرُ العَدْلَ فاستجابَ الـــصِّيْنُ[٣]

تَتَخَطَّى مجاهِـــلَ الـــشَّرْقِ حـــتى　　عَزَّ بالعَدْلِ والهُـــدَى جَيْحُـــوْنُ[٤]

تَتَحَدَّى مَخَـــاوِفَ الغَـــرْبِ حتى　　ذابَ فيها البَلْقَـــانُ والأَفْشِـــيْنُ[٥]

---

[١] في (أ) و (ب): "تلك السنينُ". وبعد هذا البيت في (أ) بيت، هو:
"**قهر الأسلافُ المفاوزَ قهرًا　　إنَّ بالأسلافِ يُشدّ الوَضِينُ**". عُدّل شطره الثاني في (ب) إلى: "وبأفعـــالهم يُـــشَدُّ الوَضِينُ"، ثم عُدّل إلى: "أيّ ذكرى يُشدّ منها الوَضِينُ".

[٢] في (أ) و (ب): "مِنْ حَنايا وِدْيانِ مَكَّةَ ... فاستضاءَ الصِّيْنُ".

[٣] في (أ) و (ب): "فاستجاب الكَوْنُ".

[٤] في (أ) و (ب): "**تتخطّى مخاوفَ الغربِ حتى　　استنارَ البلقانُ ثم السِّيْنُ**".

[٥] في (أ) و (ب): "**تَتَحَدَّى مجاهلَ الشرقِ حتى　　عَزَّ بالعَدْلِ والهُدَى جَيْحُوْنُ**".

رُبَّ طَاوٍ يَطْوِيْ الصَّحَارَى جِهَادًا حِلْسِ ظَهْرٍ كَأَنَّــهُ العُرْجُــوْنُ[١]

فِي شَــــرَايِيْنِه انْـــــدِفاعٌ وعَــــزْمٌ لا يُبالِيْ إنْ جَرَّحَتْــهُ الــوَجِيْنُ[٢]

كانَ مُـــسْتَهْدَفًا لِـــشَتَّى المَنَايَـــا فِي سَـــبِيْلِ اللهِ تَهُـــوْنُ المَنُـــوْنُ[٣]

* * * * * *

وَطَّنَتْ أُمَّتِيْ الـــصَّحارَى بِعَـــدْلٍ فتَسَاوَى الثُّعْبَـــانُ والحِـــرْذَوْنُ[٤]

أَخْضَعَتْ أُمَّـــتِيْ البِحــــارَ بِحَــــزْمٍ فَتَـــسَاوَى ســـرْدِيْنُها والنُّـــوْنُ[٥]

ذَلَّلَتْ أُمَّـــتِيْ الصِّـــعَابَ فلانــَـتْ بَعْدَ أنْ كانَ عُودُها لا يَلِـــيْنُ[٦]

يَوْمَ أنْ مــــاتَ كُـــلُّ بَغْيٍ وظُلْمٍ واسْـــتَقامَ القِسْـــطَاسُ والمَوْزُونُ

---

[١] في (أ) و (ب): "رُبّ طاوٍ طَوَى". والبيت مع البيتين بعده أُضيفتْ إلى النصّ الأصل (أ)، وكان موضـــعها في (ب) بعد البيت المستهلّ بـــ: "واستوى الأكرمان".

[٢] في (أ) و (ب): "**فالشهاداتُ في الشرايينِ تجري لا يُبالي مَنْ جرّحتهُ الوَجينُ**". والبيت سابق هناك على البيت الذي قبله هنا.

[٣] البيت غير موجود في (أ). وفي (ب): "كان مستهدفًا لكلّ... في سبيل الحق".

[٤] في (أ) و (ب): "حَكَمَتْ أُمّتي... بحزمٍ". الحرذون: ذكر الضَّبّ، أو دويبة أخرى. (تعليق للشاعر على النصّ).

[٥] في (أ) و (ب): "حَكَمَتْ أُمّتي... بعدلٍ".

[٦] في (أ) و (ب): "قَسَرَتْ أُمّتي... فذلّت".

واسْتَوَى الأَكْرَمانِ زَيْدٌ وعَمْــرٌو ... ليسَ في الدِّيْنِ عُنْــصُرٌ أو لَــوْنُ[١]

هَلْ يَعُوْدُ التَّارِيْخُ غَــضًّا نَقِيًّــا؟ ... بَلْ طَرِيْقُ التاريخِ وَحْــلٌ وطِــيْنُ[٢]

* * *

---

[١] في (أ) و (ب): "واستوى في الدِّيْنِ بلالٌ وعَمْرٌو".

[٢] في (أ): "غَضًّا طريًّا أم طريقُ". وبعد هذا البيت أبيات في (أ) و(ب) حذفها الشاعر من النسخة الأخير (ج)، هي– بحسب ورودها وصياغتها في النسختين– فيما يلي، ويلحظ انفراد إحدى النسختين أحيانًا بما ليس في الأخرى، وقد أشير إلى ذلك بعلامة (+)، مع اختلاف تقديمٍ وتأخير كذلك:

(أ) و(ب): كم أنادي قد بُحّ صوتيَ حتّى ... أصبحَ الــصوتُ لا يكــاد يُــبينُ

.... هل شبابٌ يقول لي في ثبــاتٍ ... في يميني سيفٌ وفي القلــبِ دِيْــنُ؟

(+ب): ليميطَ اللثام عن وجهِ قــومي ... وتَزُوْل بالــصِّدْقِ تلــكَ الظنــونُ

(أ) و(ب): ليُعيدَ الذِّكْرَى العظيمــة إنّــا ... أُمَّــةٌ ماضــينا شَــديدٌ مَتِــيْنُ

(+أ): فلنا بالإسلام أسْمَــى فخــارٍ ... محتــدٌ ثابــتٌ وعِــزٌّ مَكــينُ

(+ب): أمــةٌ مجــدُها منــاطُ الثريّــا ... محتــدٌ ناصــعٌ وعِــزٌّ مَكــينُ

(+ب): أُمّتي يا حماهــا يــا ذراهــا ... لا تُساقُ كمــا يُــساقُ الــضَّئِيْنُ

(أ) و(ب): يا محاريبَ طيبــة يــا ثَراهــا ... يا روابي بدرِ الــسَّنا يــا حُنَــيْنُ

.... يا تراب الأمجــادِ يا منبعَ العِزّ ... ســــــلامٌ ودمــعةٌ وحَنيــــنُ

يا مَلاذَ المِسْكِيْنِ يَدْعُوْكَ- رَبِّي-	مَسْجِدُ القُدْسِ البائسُ المِسْكِيْنُ[١]
لَوَّثَتْهُ اليَهُـــوْدُ بالفِـــسْقِ حـــتى	أَثْقَلَ المِنْبَـــرَ الأَســـيْرَ الأَنـــيْنُ[٢]
بَلْ أَباحُوا للمُوْمِسَاتِ حِمـــَـــاهُ	وارْتَمَى فَوْقَ طُهْرِهِ كُوْهِيْـــنُ[٣]
يا طُغاةَ الشُّذَّاذِ مِـــنْ كُـــلِّ أَرْضٍ	طَالَ هذا التَّهْجِيْـــرُ والتَّـــوْطِيْنُ[٤]

* * *

إِيْهِ يا ابْنَ الوَلِيْدِ أُنْشُـــوْدَةَ الأَجْـــ	ـــيالِ طُرًّا تَبْكِيْكَ حُوْرٌ وعِيْـــنُ[٥]

---

[١] في (أ) و (ب): "يا أبا حفصٍ الخُطوبُ جِسامٌ مسجُد القُدْسِ بائسٌ مسكينُ".
وبعده فيهمـــا: "أوّل القبلتين مَسْـــرَى أمينٍ يَتَهادَى في ســـاحه صهيونُ".
وعُدّلتْ الكلمة الأخيرة في (أ) إلى: "شارون"، ثم عُدّلتْ في (ب) إلى: "كُوهين".

[٢] في (أ) و (ب): "لوّثوه برجسهم وبغاهم وصدى المنبر".

[٣] في (أ) و (ب): "وأباحوا... وتمشّى في أرْضِهِ رابينُ".

[٤] لم أعثر عليه في (أ)، إلا أنه ملحق بالقلم في (ب).

[٥] في (أ) و(ب) قبل هذا البيت ثلاثة أبيات، هي:

أحدثَتْ مائيرُ مـــواخيرَ عُهْـــرٍ	للبَغايا لكلّ بنـــتٍ خَـــدينُ
زرعوا البغْيَ والفسادَ بـــأرضٍ	زرعُها قبل ذاكَ توتٌ وتـــيْنُ
فالثكالى من ظُلْمِهِم بائســـاتٌ	وبإخواننا تغصّ الســـجُونُ

وبعده في (أ) و(ب) بيتان، هما:

نــــائِمٌ في الثُّغُـــوْرِ بَعْـــدَ جِهَـــادٍ جَعَلَ الرُّوْمَ للـــشَّبَا تَـــسْتَكِيْنُ[١]

لَوْ تَـــرَى والمَهـــازِلُ والرَّزَايَـــا مِنْ حَوَالَيْكَ والخَنَـــا والمُجُـــوْنُ[٢]

كَمْ جَبِيْنٍ في الطُّوْرِ بالحُزْنِ يَنْدَى عَمْرُو يا عَمْرُو رَمْلُ سَيْنَا حَزِيْنُ[٣]

يا شِعَارَ السَّلامِ مِنْ طُـــوْرِ سَـــيْنا أَيْنَ راحَ الحَمَـــامُ والزَّيْتُـــوْنُ؟!

كَمْ شَكَوْنا وكَمْ رفَعْنا احْتِجَاجًا كَمْ شَجَبْنا والفِكْرُ فِكْـــرٌ أَفِـــيْنُ

وانْتَظَرْنا القَـــرَارَ بالشَّـــوْقِ حتى أُعْلِنَ اللَّتُّ والقَـــرَارُ العَجِـــيْنُ[٤]

كنتَ نعْمَ المطْعانُ إنْ جَدَّ جِـــدٌّ أنتَ سُمّ الأعداءِ والطاعونُ

عبقريٌّ تَفْرِي الفرائـــصَ فَرْيـــًا شامِخٌ كالطّودِ قويٌّ أمـــينُ

[١] في (أ) و(ب): "جعل الروم عنده".

[٢] كذا في جميع النسخ، ولا يستقيم الشطر الأول إلا بإشباع ضمة اللام من كلمة "المهازل".

[٣] في (أ) و(ب): "وجبين الفسطاط بالحزن يندَى".

[٤] لم أعثر على البيت في (أ).

مَجْلِسُ الأَمْنِ كَيْفَ سَمَّوْهُ أَمْنًا؟! وهْوَ بالغَــدْرِ والنِّفَاقِ يَدِيْــنُ[١]
مَجْلِسُ الأَمْنِ والسَّلامُ المُسَــجَّى والقَــراراتُ كُلُّهـــا تَأبِيْــنُ[٢]

---

[١] في (أ) و(ب): "وهو بالهزل". وبعده فيهما:

مَن يريد الركوعَ ذُلاًّ وجُبْنًــا ثَمّ شلّتْ يــسارُهُ والــيمينُ
لم نرَ في تاريخنا الثَّرِّ شخْــصًا مُسْلِمًا وهْوَ لليهودِ القَــرينُ
غيرَ من كان مــستبدًّا بــرأيٍ ذلكَ الرأيُ خائــبٌ وأفــينُ
أيّها العائثون في الأرضِ مهْــلاً مركبُ البغْيِ منتهاهُ يَحِــيْنُ
سيكونُ الحسابُ صَعْبًا وحَتْمًا يأخُذُ الثأرَ قُدْسُــنا المطعــونُ
غَضْــبَةُ الشَّعْبِ مَوقِــدٌ يَتَلَظّى وهْوَ فَأْلٌ مُبــارَكٌ مَيْمُــوْنُ

وفي (ب) عُدّل البيت الثاني إلى: "كيفَ نرجو من نسل (بلفور) حُكْمًا منصِفًا...". على حين حذف البيت الذي بعده.

[٢] في (أ) و(ب): "كامب ديفيدُ والسَّلامُ مُسَجًّى".

وغُمُوْضُ الأَلْفاظِ في كُـــلِّ بَنْـــدٍ　　ضَاعَ فِيْـــهِ البَيَـــانِ والتَّبْيِـــيْنُ[١]

* * *　　* * *

يا شَبابَ الأَمْجَادِ يا أَمَلَ الإِسْـــ　　ـــلامِ هُبُّوا وكُلُّ صَعْبٍ يَهُوْنُ[٢]

حَدِّثُوا النَّفْسَ بالجِهـــادِ دَوامًـــا　　ليس للمَرْءِ قَوْلُ "كُنْ" فَيَكُـــونُ[٣]

---

[١] بعد البيت في (أ) و(ب):

لا انسحابٌ مِنَ الأراضيْ ولكنْ　　مِنْ أراضٍ يَحْتَلُّها صِـــهيونُ

آمَنَتْ بالسِّـــلْمِ الشُّعُوبُ، ولكنْ　　بَيْنَ عِزّ الإِسلامِ والغَدْرِ بَوْنُ

[٢] موضع هذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه متأخر في (أ) و(ب) عن موضعها هاهنا، وبينها هناك أبيات غير موجودة هنا. فبعد البيت الأول:

لا تـــذِلُّوا فالـــذُّلُّ للحُـــرِّ مُـــرٌّ　　لا تَلِيْنُوا ولـــو يُحَـــزُّ الـــوَتِيْنُ

واقرؤوا في التاريخ ما فَعَل الأجْـــ　　ـــدادُ إنْ كَشَّرَتْ وحانَ الحَـــيْنُ

فسِـــجِلّ الأجدادِ بالمَجْـــدِ فَعْـــمٌ　　في معانيـــهِ الجَوْهَـــرُ المَكْنُـــوْنُ

[٣] في (أ) و(ب): "ليَعزَّ الدينُ ويَخْزَى الخَؤونُ". وبعده فيهما: "وصْمةُ العارِ تنتهي بجهادٍ ليس للمرءِ قولُ كُنْ فيكونُ".

لا قَراراتُ مَجْلسِ الأَمْنِ تُجْــدِيْ　　فَقَراراتُـــــهُ خِـــداعٌ وَمَــــيْنُ
كُلُّ بَنْدٍ بَلْ كُلُّ حَــرْفٍ ولَفْــظٍ　　مَحْضَرٌ صِيْغَ مِنْ : "أَدانَ، يُدِيْنُ"[١]

* * *

يا شُواظَ المَراجِمِ مِــنْ حَمــاسٍ　　زَمْجِريْ واسْــتَعِدَّ يــا رابِــيْنُ[٢]
لا سَــلامٌ يُرْجَــى بِغَيْرِ جِهــادٍ　　كَــلاّ، فالحَلُّ مَبْدَأٌ مَأفُـــوْنُ[٣]

---

[١] وبعده في (أ) و(ب):

وسلاح "الفيتُو" يُـسَلُّ تِباعًــا　　ضدَّكُم قد أحَـدَّهُ صـهيونُ
أعلِنُوها شَعْواءَ لا صُـلْحَ فيهــا　　فلِقُدْسٍ في ذِمَّة الـدِّيْنِ دَيْـنُ
وَعَـدَ اللـهُ نَصْـرَهُ لأُنـاسٍ　　نَصَرُوْهُ وذاكَ وَعْـدٌ مُبِيْنُ

[٢] لم أعثر عليه في (أ) و(ب). ولا يستقيم الشطر الأول وزنيًّا إلا بإشباع كسرة الميم في "المراجم".
[٣] في (أ) و(ب): "بغير سلاحٍ".

لا يُقِرُّ الإســـلامُ سِـــلْمًا هَـــزِيْلاً ... فيـــهِ ذُلٌّ وفِيْـــهِ عَـــارٌ مُـــشِيْنُ[١]
كَيْفَ يَحْلُوْ السَّلامُ بَعْدَ خُنُوْعٍ؟! ... إنما السِّلْمُ غِبَّ ذلـــكَ هُـــوْنُ[٢]

* * *

[١] بعده في (أ) و(ب):

ليس بالحَرْبِ يَفْرَحُ المرْءُ لكـــن ... كيف أَحْيَا وليْ فؤادٌ طَعَـــينُ؟!
هل نسينا مذابِحَ الأمسِ غَـــدْرًا ... ولماذا تُغَـــضُّ عنـــها الجُفُـــونُ؟
...
دَيْرُ ياسينَ في القلـــوب لَهيـــبٌ ... صِرْتَ رَمْزَ السلامِ يا (بِيْغِيْنُ)؟!
غادرٌ مُرْجِـــفٌ عَـــدُوٌ لَـــدُوْدٌ ... ساغَ في فيكَ الغَدْرُ والغليُـــونُ
أنتَ مَنْ نظَّمَ الحوامِـــلَ صَـــفًّا ... ليُماطَ السِّتْرُ وتُفْـــرَى البُطُـــونُ
كان مرأًى يا هَوْلَ ذلكَ مرأًى ... حِيْنَ من بَطْنِها يُجَـــرُّ الجَنِـــيْنُ
...
يا لصَبْرا ويا لـــشاتيلا صَـــبْرًا ... ما نسينا وكيف يَنْسَى المَـــدِيْنُ
فالدِّمـــاءُ التي هُرِيقتْ ســـفِاهًا ... في قُلُـــوْبِ الأجيـــالِ دَيْنٌ ثَمِيْنُ

[٢] في (أ) و(ب): " السلام من بعد هذا إنما السلم بعد ذلك". و فيهما بعد هذا البيت الأبيات التالية، ويلحظ انفـــراد إحدى النسختين أحيانًا بما ليس في الأخرى، وقد أشير إلى ذلك بعلامة (+)، مع بعض الاختلاف بينهما أحيانًا تقديمًا وتأخيرًا، أو في بعض المفردات:

(+ب): قالها الأرزُ في الجبـــالِ العـــوالي ... بل حكاها الرُّمّـــانُ والليمـــونُ
.... يا ديارَ الخليلِ يا أرض عيـــسَى ... يا عُرُوْشَ الأعنابِ بل يا عُيُـــوْنُ
(أ) و(ب): صَرْخَةُ الثأرِ في الفضاء تُـــدَوّيْ ... ردَّدَتْ صوتَها قُبَـــا والحُجُـــونُ
.... صخرةُ القُدْسِ تقدحُ الثأر نـــارًا ... مثلما يَقْـــدَحُ الـــشرارَ القُيُـــونُ
.... وفلـــــسطينُ ثـــــورةٌ وفـــــداءٌ ... وتَحَـــــدٍّ وهَجْمَـــــةٌ وكَمـــــيْنُ
(+ب): وشـــعار التـــضامن والتـــآخي ... ضاعَ والجَـــوُّ ثـــائرٌ مَـــشْحُوْنُ
.... خَرَجَ الشعبُ زائرًا كالـــضَّواري ... حَرِدَ السَّهْلُ والرُّبَـــى والحُـــزُوْنُ
.... والأراضي تَمُوْجُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ... أينَ منها الأمانُ أيـــنَ الـــسُّكُونُ
(أ) و(ب): أين ملهَى صِـــبيانها والـــصَّبايا ... بينَ تلكَ الحُقُولِ أين القَطِـــيْنُ؟
.... يستغيثُ شيخٌ وتَنْـــدُبُ ثَكْلَـــى ... ويئنُّ طِفْـــلٌ ويَنْـــدَى الجَـــبينُ
.... حَلَّ بعدَ السلامِ والأمنِ خَـــوْفٌ ... ودمـــــارٌ ورهْبَـــــةٌ وجُنُـــــونُ
.... يا صلاحَ الأبطالِ مـــا لـــصلاحٍ ... لا يُجيبُ النِّداءَ يـــا حطِّـــيْنُ؟!
.... هزمَ الكُفْرَ، والسلاحُ هوَ الإيـــ ... ـــمانُ حَقًّا، والسيفُ والسِّكِّيْنُ
.... وبنَى للـــدِّيْنِ الحنيْـــفِ قِلاعًـــا ... شامخات. والدِّيْنُ حِصْنٌ حَصِيْنُ
(+ب): لا تنـــالُ الـــشَّراذمُ مِـــنْ ذُراهُ ... هُوَ أعلَى وهُمْ مَدَى الـــدَّهْرِ دُوْنُ
.... كمْ جوادٍ يَعْدُو مرارًا ويَكْبُـــو ... ثُمّ يَمْضِيْ وتَسْـــتَقِيْمُ الشُّـــؤُونُ
.... إنْ ضلَلْنا يَوْمًا عنِ الـــدَّرْبِ إنّـــا ... مِنْ دواويـــنِ مجْـــدنا نَـــسْتَبِيْنُ
(أ) وب): أينَ عَصْرُ الزَّهْوِ المُذَهَّبِ للإسْـــ ... ـــلامِ حـــيشٌ يَقُـــوْدُهُ هـــارونُ
.... يومَ كانتْ جحافلُ الفتْحِ تتـــرَى ... تَمْخَرُ البَحْرَ بالرِّجـــالِ الـــسَّفِيْنُ
.... يومَ كانتْ عصائبُ الفتْحِ تَغْـــزو ... ومِنْ الفَـــتْحِ بـــاردٌ وسَـــخيْنُ
.... يومَ أنْ كان مَهْيَعُ الحـــقِّ حَقًّـــا ... لشباب يَـــسْمُوْ بـــه ويَـــصُوْنُ
.... حينَ قال الرَّشِـــيْدُ للسُّحْبِ قَوْلاً ... هُـــوَ تِبْـــرٌ ولُـــؤْلُؤٌ ولُـــجَيْـــنُ:

....   "أمْطِريْ يا سحابةُ حيثُ شِئْتِ   فسيأتيْ الخَراجُ أنَّى يكونُ"

....   فامتدادُ الإسلام شرقًا وغربًا   كان فضْلاً ممّنْ بهِ نستعينُ

....   ذلك العَصْرُ عَصْرُ نورٍ مُشِعٍّ   شَهِدَتْهُ بغدادُ والمأمونُ

....   نتَغَنَّى بهِ كأَسْمَى وِسامٍ   يا تُرَى هل تَعُوْدُ تلكَ القُرُوْنُ؟

....   حَزَنِي بَعْدَ ذاكَ يأتي زَمانٌ   يَتَفَشَّى فيهِ الشِّقاقُ المُهِينُ

....   نَتْبَعُ الغَرْبَ مُحْتَذِيْنَ خُطاهُ   يَنْفُثُّ السَّمَّ بيننا التِّنِّيْنُ

....   ونُباهي بالشَّرْقِ والشَّرْقُ شَرٌّ   مَسْرَحٌ حاميهِ خَبِيْثٌ لَعِيْنُ

....   نُشرَتْ فِكْرَةُ التَّقَدُّمِ فينا   والشِّعاراتُ والكلامُ الهَجِيْنُ

....   فانصَهَرْنا في مَنْجَمِ الغَرْبِ طَوْعًا   وانغَمَسْنا وسَمَّمَتْنا الأُتُونُ

....   وعَكَفْنا على السَّفاسِفِ منهُمْ   واستُسيغَ الغَثُّ ومُجَّ السَّمِيْنُ

....   وأخَذْنا من زيْفِهِمْ كُلَّ شَرٍّ   مستطِيْرٍ، وللجنُون فُنُوْنُ

....   شَكَّكُونا في الدِّيْنِ حِقْدًا وخُبْثًا   وادَّعَوا أنَّهُ هُوَ الأَفْيُوْنُ

....   عَلَّمُوْنا فَنَّ الأُنُوثَةِ حتّى   جَرفَتْنا البَهارِجُ والفُتُوْنُ

(+ب):   أَخْمَدُوا الجَذْوَةَ الشريْفَةَ فِيْنا   وأماعوا الطِّفْلَ وطُمَّ العَرِيْنُ

....   فَرَّقُونا وصارَ بعدَ التآخيْ   والتَّصافيْ والوُدِّ هَجْرٌ وبَيْنُ

....   وأتانا التيارُ مِنْ كلِ صَوْبٍ   يَمْتطِيْهِ "اللِّيْكُودُ" و"الماسُونُ"

(أ) و(ب):   عَرَضُونا كسِلْعَةٍ في مَزادٍ   والمُنادي يصيْحُ أينَ الزَّبُوْنُ؟!

(+ب):   سُوْقُنا لم يَكُنْ بهِ مِنْ رَواجٍ   بل كَسَادٌ وبائِعٌ مَغْبُوْنُ

يا إلاهيْ ومِرْجَلُ العَــصْرِ يَغْلِــيْ لَكَ يا رَبُّ تَــشْرَئِبُّ العُيُــوْنُ[1]
في دُرُوْبِ الجِهادِ ثَبِّتْ خُطَى مَنْ هُوَ- يا رَبِّ- بالجِهــادِ قَمِــيْنُ
لَكَ تَعْــنُوْ الجِبَــاهُ عِــــزًّا وذُلاًّ في شُموْخِ الذُّرَى وأَنْتَ المُعِــيْنُ

(أ) و(ب): فاشترانا بالبَخْسِ شَرْقٌ وغَــرْبٌ واحتوانــا يــسارُهُم والــيَمينُ
.... فارتَوَيْنا مِنْ مَنْهَلِ السُّـــمِّ حتّــى خَدَّرُونا والدّاءُ داءٌ دَفِيْـــــنُ

[1] في (أ) و(ب) مكان هذا البيت والبيتين بعده:

يا مليكيْ ومِرْجَلُ العصر يغلي لك يا فَهْدُ تشرئبُّ العُيُــونُ
ولخَوضِ الجهادِ تهفُو وتــدعُو لكَ إذْ أنتَ بالجهــادِ قَمِــيْنُ
أنتَ للدِّيْنِ رائــدٌ ونَــصيرٌ ورجاءٌ وأنتَ فيــه الأمــينُ
سِرْ على الدَّرْبِ فالصراطُ قَويمٌ منهجٌ واضــحٌ ورأيٌ رَزيــنُ
بشِــعارٍ مِنْ مَوْرِدِ الطُّهْرِ صافٍ لا شــعار يختارهُ "لينــــينُ"

وفي (ب) تعديل بالقلم للشطر الأول من البيت ما قبل الأخير، هكذا: "يا أبا فيصل، وما أنتَ إلاّ"، وتعديل للشطر الأخير من البيت الأخير، هكذا: "سلسبيلٌ تعبّ منه السنينُ".

لقاء في الوقت الضائع

بَيْنَ الرِّياضِ رِياضِ البُنِّ والبَانِ ... وفي جِنانٍ جِنانٍ ذات أَفْنَانِ[١]

وفي رِحابٍ تَناهَى حُسْنُها وغَدَتْ ... كَحُلَّةٍ نَمْنَمَتْها كَفُّ فَنَّانِ

وتحتَ قَطْرِ النَّدَى مِنْ كُلِّ حَانِيَةٍ ... وفَوْقَ زَهْرِ الرُّبَى مِنْ كُلِّ بُسْتانِ

والماءُ يَنْسابُ في السَّاحاتِ مُنْسَكِباً ... أَنْغَامَ قِيْثارةٍ في هَمْسِ أَلحانِ

والدَّوْحُ يَخْطُرُ في الأَرجاءِ مُنْتَشِياً ... تَشَابَكُ الأَيْكُ أَغْصاناً بأَغْصانِ

والطَّيْرُ يَصْدَحُ بالتَّغْرِيْدِ مُبْتَهِجاً ... كأنَّ أَنْغامَهُ تَطْرِيْبُ عِيْدانِ

ذاكَ البِساطُ المُوَشَّى رِيْحُهُ عَبِقٌ ... بناجمِ الزَّهْرِ مِنْ شِيْحٍ ورَيحانِ

تلكَ الرُّبُوْعُ سَقَتْها كُلُّ سارِيَةٍ ... بِوابلٍ مِنْ صَبِيْبِ المُزْنِ هَتَّانِ

شُغِفْتُ بالمَنْظَرِ الخَلاَّبِ في وَطَنِي ... ولستُ أَرْضَى بِلاداً غَيْرَ أَوْطانِي

* * * * *

[١] كذا في الأصل المنسوخ بالآلة الكاتبة، وربما كان: "وفي الجنانِ جنان ذات أفنانِ"؛ لمصاقبة "بين الرياض رياض...".

في غدوةٍ مِنْ رَبيْعِ العُمْرِ مُفْعَمَــةٍ بالحُبِّ للحبِّ مِنْ أَهْــلٍ وجيْــرانِ

بينا أنا في حُقولِ الزَّرْعِ يَلْحَظُــني مَنْ في زَمانِ الصِّبا قَدْ كانَ فَتَّــاني

هَيْفاءُ طَلْعَتُها كالــشمسِ بازِغَــةٌ ووَجْهُها وضِــياءُ الــصُّبْحِ سِــيَّانِ

غَيْداءُ فــاتِرَةُ الجَفْنَــيْنِ ناعِمَــةٌ نَقيَّــةُ البُــرْدِ أَهواهــا وتهــواني

عَنَّتْ على القُرْبِ تُهديْني تحيَّتَهــا في غَفْلَةٍ عَنْ عُيُونِ الظَّــالِمِ الجــاني

بَدْرُ الــدُّجَى يَتَثَنَّــى في تَأَنُّقِــهِ يمشي الهُوَيْنَى محــاذاتي.. وحَيَّــاني

حَيَّتْ وفي خَجَلٍ بَثَّتْ لواعِجَهــا قالتْ: أَتَعْرِفُ عَنْ بُؤْسِي وحِرماني؟

تَرَكْتَني تُهْتُ في بَيْــداءَ مُوْحِــشَةٍ أَخْلُو بفِكْري وآلامــي وأحــزاني

وطارَحَتْني أحاديثَ الهَوَى وحَكَتْ أيَّامَنــا الغُــرَّ إذْ نحــنُ صَــبِيَّانِ

أيامَ كانتْ لنا الأحــلامُ مُنْطَلَقــاً كُلٌّ يُفَكِّــرُ فيمــا يُــسْعِدُ الثَّــاني

أيامَ كانتْ ليالِيْ العِيْــدِ مُجْتَمَعــاً في مَحَفَلٍ بَيْنَ أَحْبَــابٍ وأَخْــدانِ

أيامَ كانتْ مراعيْ الحَقْــوِ مُنْتَجَعاً نَقْضِيْ لَيالِيْ الصِّبا في دِفْئِهِ الحــاني

أيامَ كُنَّا نُــضِلُّ الــسَّرْحَ ســائِمةً إذْ نحنُ طِفلانِ في المَلْهَى أَلِيْفانِ[١]

* * * * *

قالتْ ومِنْ عَيْنِها تَنْــسابُ لُؤْلُــؤَةٌ أينَ الصَفِيُّ الذي بالوُدِّ أصفاني؟!

قد كُنْتَ شَبَّابةً، أَنْفِيْ بها سَــأَمِي أَسْلُوْ بأنغامِها إنْ عَــزَّ سُــلْواني

وكُنْتَ أُنْشُوْدَةً أَشْكُو بهــا أَلَمِــي في وَحْدَتِيْ عندَما تَزْدادُ نِيْــراني

وكُنْتَ قيثارةً أَشْدُو بهــا طَرَبــاً دَقَّاتُ أوتارِها قَلْــبي ووِجْــداني

كُنْتَ التواضعَ في أَرْقَى مَدارِجِــهِ وقد تَكَبَّرْتَ إذْ أَصْبَحْتَ ذا شَانِ

* * * * *

ظلَّتْ تُسائلني هَلْ أنتَ تَــذْكُرُني؟ يومَ الوداعِ وهَلْ ما زِلْتَ تَهواني؟

يومَ الوداعِ وقد حاولتُ في عَبَــثٍ أنْ أَمْسَحَ الدَّمْعَ مِنْ خَدَّيْ بأَرداني

مَدَدْتُ كَفِّيَ للتَّوْدِيْــعِ مُرْتَعِــشاً كادتْ تشَلُّ مِنْ الإعياءِ أَرْكــاني

وعُدْتُ كالطَّيْرِ قَدْ قُصَّتْ جوانحُهُ أو والغٍ في شَرابِ الإثمِ نَشْــوَانِ

---

[١] ضُبطت الكلمة في الأصل: "نضَلُّ"، ولعل الصواب: "نُضِلُّ".

عَضَّتْ أناملَها في لَهَفَـــةٍ وبَكَـــتْ ... فحرَّكَتْ منْ نِيَاطِ القَلْبِ أَشْجاني

تقولُ : حَسْبي على مَنْ كانَ فَرَّقَنا ... منْ غَيْرِ ذَنْبٍ سِوَى أَنَّـــا حَبِيْبَـــانِ

قُلْ لِيْ بِرَبِّـــكَ حَقًّـــا لا مُجامَلَـــةً ... رَأْيَ الصَّراحَةِ يَهْدِيْ كُلَّ حَيْـــرانِ

ما ذَنْبُ مِسْكِيْنَةٍ تَشْكُوْ الغَرامَ وقَدْ ... أَضْحَتْ مُقَيَّدَةً في بَيْتِ سَـــجَّانِ؟

يا وَيْلَها إنْ أَطلَّتْ مِـــنْ نَوافِـــذِهِ ... السَّوْطُ يُلْهِبُهَا منْ كَفِّ سُـــلْطانِ

تَبْكِي منَ الحُزْنِ حتى جَفَّ مَدْمَعُها ... إنْ غاضَتِ العَيْنُ فاضَتْ بالدَّمِ القَانِي

يا سُوْءَ حَظِّي أَبِيْتُ اللَّيْلَ ســـاهِرَةً ... أنا ودَمْعِـــيْ وجِلْـــفٌ يَتَحَـــدَّانِي

هذا جَزاءُ الذي يَنْـــسَى عواطِفَـــهُ ... تُعْمِيْهِ جَوْهَرَةٌ في بَطْـــنِ ثُعْبَـــانِ!

* * * * *   * * * * *

قالتْ: مَزِيْـــجٌ منَ الأَفْكارِ تَعْصِرُني ... وعاصِفُ الحِقْدِ طُوْفَانٌ بِطُوْفَـــانِ!

هَلْ أَتْرُكُ المَخْدَعَ المَشْؤُوْمَ ناشِزَةً؟ ... وأُخْبِرُ الناسَ عَنْ كُرْهِي وعِصْيانِي

أَمْ شَرْبَةٌ منْ زُعافِ السُّمِّ تُنْقِذُني؟ ... ويُعْلَنُ النَّعْـــيُ للقاصِـــيْ وللدَّانِي

أَمْ أُحرِقُ المَنْزِلَ المَلْعُوْنَ ناقِمَةً؟ — أَمْ أَرْتَمِي لِحَبِيْبِي بَيْنَ أَحْضَانِ؟

مَوْجٌ مِنَ الفِكْرِ يُغْرِيْنِي ويَهْتِفُ بِيْ — والنَّفْسُ تَأْمُرُنِيْ طَوْراً وتَنْهَانِي

لكنَّها عِفَّتِي تَأْبَى وتَمْنَعُنِيْ — عَمَّا يَشِيْنُ وما يَدْعُوْ لِنُقْصَانِي

ومَحْتِدِي وانْتِمَائِي لا أُدَنِّسُهُ — هذا ودِيْنِيْ وأَخلاقِيْ وإِيمَانِي

لَوْ كُنْتَ قُرْبِيَ تَهْدِيْنِيْ وتُرْشِدُنِيْ — تُمِيْطُ عَنِّي دُخاناً كَانَ أَعْمَانِي

لَمَّا تَرَدَّيْتُ مِنْ عَلْيَاءَ شاهِقَةٍ — فِي غَابَةٍ بَيْنَ أَشْبَاحٍ وغِيْلانِ

لكنَّ بُعْدَكَ عَنِّي – جِدُّ – أَضْعَفَنِي — وبَهْرَجٌ مِنْ رَنِيْنِ المَالِ أَغْرانِي

يا طَعْنَةَ العُمْرِ لا أَنْسَى مَواجِعَها — قَدْ كانَ ما كانَ والشَّيْطانُ أَغوانِي

* * * * *

سَلَّتْ لِسَاناً فَصِيْحاً فِي مُعاتَبَتِي — ما كنتُ أَحْسَبُهُ فِي بِنْتِ عَدْنانِ

كَلاَّ ولا كُنْتُ أَدْرِيْ أَنَّنِي سَأَرَى — لِسانَها المُنْتَضَى فِي بِنْتِ قَحْطَانِ

أَلْفاظُها مِنْ شُواظٍ كُلُّها لَهَبٌ — تَكْوِيْ فُؤادِيْ وأَحْشَائِيْ وشِرْيَانِي

وأَخْرَسَتْنِيْ بِسِحْرٍ مِنْ بلاغَتِها — وأَلْجَمَتْ ناطِقِيْ عَنْ رَدِّ تِبْيَانِي

وكُنْتُ أَزْعُمُ أَنِّيْ حَاذِقٌ فَطِنٌ — وأَنَّنِيْ سَوْفَ أَعْلُوْها بِبُرْهَانِي

وكُلَّما كَرَّرَتْ ذِكْرَى لنــا غبَــرَتْ ... يكونُ رَدِّيْ عليها غَمْضُ أَجْفــاني
قَدْ ضَاقَتِ الأرضُ بِيْ ذَرْعاً بما رَحُبَتْ ... وأجَّجَتْ نارُها أحــشاءَ سَــلْمَانِ
وأَظْلَمَ الــصُّبْحُ في عَــيْنِيْ وأَقْلَقَنِــيْ ... صَوْتٌ قَدِيْمٌ مِنَ الأَعْماقِ نــاداني
تَجَمَّدَتْ في فَمِيْ كُــلُّ البَلاغَــةِ إنْ ... عالَجَتُ لَفْظاً لِسَانُ النُّطْقِ أَعْيَــاني
وفي غِمارٍ مِــنَ التَّفْكِيْــرِ أَسْــعَفَنِيْ ... حَزْمِيْ وعَزْمِيْ وأَفكارِيْ وإنــساني
فقُلْتُ يَكْفِيْ بنَفْســيْ أنَّها هَجَــرَتْ ... كُلَّ الأَحِبَّــةِ مِنْ أَهْــلٍ وخِــلَّانِ
وحينمــا قَــدَّرَ الــرحمنُ فُرْقَتَنــا ... تَرَكْتُ في عَهْدِكُمْ قلبِيْ وعُنْــوَاني
لكنْ رأيتُمْ سَحابَ الصَّيْفِ فانْبَهَرَتْ ... عُيُوْنُكُمْ بِبَرِيْــقِ الخُلَّــبِ الفَــاني

* * * * *   * * * * *

للهِ صَبْرِيْ وأحلامِيْ وقَــدْ بَعُــدَتْ ... عَنْ أَرْضِ رَبْعِي وأَصْحَابِيْ وإِخْوَاني
لم أَرْتَكِبْ في قَرَارِ الهَجْرِ مِنْ خَطَــإٍ ... لكنْ جَفافُ هَواكُمْ كانَ أَظْمَــاني
أَقُوْلُ إنْ كانَ ذَنْبِــي أَنَّنِــيْ رَجُــلٌ ... أَنِفْتُ بَيْعَ الهَوَى مِنْ غَيْــرِ مِيْــزَانِ
فَسَامِحِيْنِي! وأَرْجُوْك، كَفَــى عَتَبًــا! ... فما نَسِيْتُ وليسَ الغَدْرُ مِنْ شَــاني
طُرْقُ الوَفَا قِيَمِيْ، حُبُّ الصَّفَا شِيَمِيْ، ... والوُدُّ يَنْــشُرُهُ في الأَرْضِ دِيْــوَاني

وكَيْفَ أَنْسَى وفي قَلْبيْ مَـــوَدَّتُكُمْ؟!   وفي كِيانيْ، وفي سِـــرِّيْ، وإعْـــلاني
لكنْ مِنَ الحَزْمِ أَنْ نَرْضَـــى بواقِعِنَـــا   إنَّـــا قَرِيْبَـــانِ لكِنَّـــا غَرِيْبَـــانِ!

* * * * *   * * * * *

وحِيْنَما صَدَّقَتْ قَـــوْليْ ومَعْـــذِرَتيْ   وأَنَّ رِيْحَ الهَـــوَى تَجْـــرِيْ بـــأَلْوانِ
تَبَسَّمَتْ بَـــسْمَةً خَجْلَـــى مُؤَدَّبَـــةً   تَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُـــؤٍ في عِقْـــدِ مَرْجَـــانِ
وجَـــاذَبَتْني وقالـــتْ ليْ مُعَبِّـــرَةً   عَنْ حَرِّ لَوْعَتِها : الهَجْـــرُ أَضْـــنَاني
والوَجْدُ أَنْحَلَني، والشَّوْقُ أَسْهَرَني،   والبُعْدُ أَهْزَلَنِـــيْ، والبَـــيْنُ أَفْنَـــاني
يا مُنْيَةَ الرُّوْحِ، يا حُبِّي، ويا أَمَلِـــيْ،   يا بَلْسَماً لجِراحِيْ، هَلْ سَتَنْـــسَاني؟
عَسَى لِقاءٌ بُعَيْـــدَ النَّـــأْيِ يُـــسْعِدُنا   نَجْنيْ ثِمَارَ الهَوَى مِنْ غُصْنِه الدَّاني!
ونَـــشْرَبُ المَـــاءَ رَقْرَاقـــاً فَيُنْعِـــشُنا   تَبَادُلُ الكَأْسِ يَشْفِيْ عِلَّـــةَ العَـــاني!

* * * * *   * * * * *

هذي الحِكايَةُ أَرْوِيْها كَمَا حَـــدَثَتْ   لَيْسَتْ خَيَالاً، ولا وَسْوَاسَ شَـــيْطَانِ
أَلْفاظُها بِعَبِـــيْرِ الصِّـــدْقِ نافِـــحَةٌ   فَلَمْ أُطَـــرِّزْ حَواشِـــيْها بِبُهْـــتَـــانِ

و لم أُنَمِّــــقْ عِبـــاراتٍ مُلَفَّقَــــةً   أَخْتَارُ أَحْداثَها مِنْ كُــلِّ مَيْــدَانِ

* * * * *   * * * * *

يا جامعَ الشَّمْلِ يا رحمنُ يا سَــنَديْ   أَشْكُوْ السَّقَامَ بجِسْمٍ ناحِــلٍ فَــانِ

كَرِيْشَةٍ في مَهَبِّ الرِّيْحِ تَعْـصِفُ بيْ   هَوَاجِسُ الشَّوْقِ تَفْرِيْ قَلْبَ وَلْهَانِ

أَهْوَى الصِّبا والصَّبَايَا والهَوَى عَجَبٌ   إنْ حَطَّ تَرْحالَهُ في قَلْــبِ هَيْمَــانِ

والعِشْقُ في مَعدنِ الأَحْيَــاءِ مُنْــزَرِعٌ   غَرِيْزَةٌ بَــذْرُها في كُــلِّ إنْــسَانِ

ولَسْتُ أَشْكُوْ لغَيْرِ اللهِ مِــنْ أَحَــدٍ   سَكِيْنةُ اللهِ في الــلأْواءِ تَغْــشَاني

والنَّفْسُ عِنْدَ التَّمــاديْ في غِوايَتِهــا   أَجْلُــوْ عَمَاهَــا بتَعْوِيْــذٍ وقُــرْآنِ

أَشُدُّها بزِمَــامِ النُّبْــلِ إنْ قَــصَدَتْ   سُوْءًا وفَيْضٍ مِنَ التَّهْــذِيْبِ رَبَّــاني

يَخْبُــوْ لَظَــاها، وذِكْرُ اللهِ يُخْمِــدُهُ   حتى ولو كانَ مِنْ نِيْــرَانِ بُرْكَــانِ

حماك الله يا عيني شقيقي !

حماكِ اللهُ يا عَيْنَـــيْ شَـــقِيْقِيْ ... وزَهْرَةَ عَمِّكِ وسَوَادَ عَـــيْني[١]

وأبقـــاكِ وإخوتَـــكِ مَنـــاراً ... لهذا البَيْـــتِ في أَدَبٍ ودِيْـــنِ

إذا ضاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ ذَرْعاً ... أَزَلْتُمْ ضِـــيْقَةَ العَـــمِّ الحَـــزِيْنِ

وإنْ كُنْتِ وإخوتُكِ بقُرْبِـــيْ ... غَسَلْتِ الهَمَّ مِنْ أَصْفَى مَعِـــيْنِ

أَرَى نُوْرَ الصَّبَاحِ يَلُوْحُ لَمَّـــا ... أَراكُمْ عَنْ يَسارِيْ أو يَمِـــيْني

وأَنْوَارُ الـــسَّعَادَةِ في فُـــؤادي ... تُضِيْءُ بقُرْبِكُمْ في كُلِّ حِـــيْنِ

أنا يا بِنْتَ صِنْوِيْ لستُ ضَيْفاً ... أنـــا مِنْكُـــمْ بمَنْزِلَـــةِ الوَتِيْـــنِ

---

[١] هذه القصيدة لم أقف على نسخة أخرى لها. وهي مكتوبة بخط الشاعر، غير مضبوطة بالشكل. لكـــنّني أقـــدّر أن كاف المخاطب في القصيدة هو للمؤنث- وعلى ذلك ضبطتُ القصيدة- بدليل ما يرد في البيت السابع. وبـــذلك ينتفي ما قد يُلحظ في كلمة "عمّك" في الشطر الثاني من البيت الأول- وكذا في كلمة "كنت" من البيت الرابع- من ضرورة إشباع ثقيلة، لو كان المخاطب مذكّرًا. كما ينتفي ما قد يبدو في البيت الأول من عدم اتساق المعـــنى بـــين الإشارة إلى "الشقيق" ثم الإشارة إلى "العمّ".

فأَرْجُـــوْ أَنْ تَعُدُّوْنِيْ كَفَـــرْدٍ   منَ اهْلِ البَيْتِ فِي غَضَبِيْ ولِيْنِي[١]

وإلاَّ فإنَّنِي حَتْمـــاً سَأَشْـــقَى   كما يَشْقَى أَخُوْ فَقْرٍ ودَيْـــنِ[٢]

فيا رَبَّ البَرِيَّـــةِ زِدْ وبـــارِكْ   وشُــــدَّ الأَزْرَ بَيْــنَكُمُ وبَـــيْنِي

وأَفْيَاءُ السّـــلامِ تُظِلُّ دَوْمـــاً   عُمُوْمَ الأَهْلِ والسَّكَنِ الحَصِيْنِ!

◎◎

---

[١] تُسهّل همزة "أهل"، كي يستقيم الوزن.

[٢] كذا في الأصل، وصواب وزنه: "وإلاّ إنَّني حَتْماً سَأَشْقَى". إلاّ إنْ لم تُنطق الألف الأخيرة من "إلاّ".

أنا الكشاف

أنا الكَشَّافُ دِيْنُ الحَقِّ دِيْنِي   لغَيْرِ اللهِ لا أَحْنِيْ جَبِيْنِي

ففي شَأْنِي كِتابُ اللهِ هَادٍ   يُنِيْرُ الدَّرْبَ لِيْ في كُلِّ حِيْنِ

ولِيْ في المُصْطَفَى خَيْرُ اقْتِدَاءٍ   خُطَى دَرْبِيْ على نَهْجِ الأَمِيْنِ

ولِيْ قَلْبٌ أُغَذِّيْهِ بِنُوْرٍ   مِنَ القُرآنِ وَهَّاجٍ مُبِيْنِ

سِلاحِيْ صَارِمٌ مِنْ آيِ رَبِّي   على البَاغِيْ وَسَيْفِيْ فِي يَمِيْنِي

أنا الكَشَّافُ دِيْنُ الحَقِّ دِيْنِي   لغَيْرِ اللهِ لا أَحْنِيْ جَبِيْنِي

* * * * *   * * * * *

مَعِيْنٌ في الشَّدائدِ كُلُّ فَرْدٍ   وبانٍ للعُلا مَجْداً بمَجْدي

شِعارِيْ الحُبُّ والإخلاصُ دَأْبِي   وأَخلاقِيْ الوَفَا مِنْ غَيْرِ حَدِّ

بِلاديْ حُبُّها يَنْمُوْ بقَلْبِي   سَأَحْمِيْها بإِيماني وجُهْدِي

أنا رُوْحُ الجِهَادِ بكُلِّ فَجٍّ   على شَرْعِ الفِدا أَعْطَيْتُ عَهْدي

أنا الصَّمْصَامُ في قَلْبِ الأَعادي   أنا الإِعْصَارُ في يَوْمِ التَّحَــدِّي
أنا الكَشَّافُ دِيْنُ الحَقِّ دِيْنِــي   لغَيْرِ اللهِ لا أَحْــنِيْ جَبِيْنِــــي

* * * * *

ســأُفْنِيْ العُمْرَ في طَلَبِ المَعَالي   مُبِيْداً مُهْجَتِيْ ودَمِيْ ومَــالِي
لأَجْلِ اللهِ والأَمَلِ المُــرَجَّــى   وفي الإسلامِ حِلِّيْ وارْتِحــالي
مُجِيْباً إنْ دَعَــا الدَّاعِيْ سَرِيْعاً   فلا أَخْشَى النِّزالَ ولا أُبالِــي
ففي الإسلامِ نَصْرِيْ واعْتِزازي   وفي الإسلامِ صَبْرِيْ واحْتِمالي
سَأَحْظَى بالشَّهادَةِ في ثَــبَاتٍ   وإقْــدَامٍ، كذا شَأْنُ الرِّجــالِ
أنا الكَشَّافُ دِينُ الحَقِّ دِيْنِــي   لغَيْرِ اللهِ لا أَحْنِــيْ جَبِيْنِــي

تحية وتقدير

يَسْمُوْ الفَتَـــى بـــالعِلْمِ والإيمـــانِ ... وكذا الفَتَاةُ هِيَ الجَنَـــاحُ الثَّـــاني
صِنْوَانِ في الدُّنْيا تَفَجَّـــرَ مِنْهُمَـــا ... نَهْرُ الحَـــضارةِ لِبَنِـــيْ الإِنْـــسَانِ[١]
أَيَجُوْزُ في الشَّرْعِ الشَّرِيْفِ لِعَاقِـــلٍ ... أَنْ يَحْصُرَ التَّعْلِـــيْمَ في الفِتْيَـــانِ؟!
قَدْ شَرَّفَ اللهُ النِّـــسَاءَ بِـــسُوْرَةٍ ... وأَعَـــزَّهُنَّ بِمُحْكَـــمِ القُـــرآنِ
حَوَّاءُ يَحْدُوها الطُّمُـــوحُ لَعَلَّهـــا ... تَبْنِـــيْ كِيانـــاً ثابِـــتَ الأَرْكَـــانِ
أَوَمَنْ[٢] يُرَبِّي النَّشْءَ أَيَّـــامَ الـــصِّبا ... ويُمِـــدُّهُ بالحُـــبِّ والإيمـــانِ؟!
غَيْرُ التي بَذَلَتْ عُصَارةَ رُوْحِهـــا ... للهِ في عَمَـــــلٍ وفي إِحْـــــسَانِ
أُمِّ النَّبِيِّـــيْنَ الـــذينَ تَحَـــصَّنُوا ... بالطُّهْرِ مِنْ رَفَـــثٍ ومِـــنْ أَدْرانِ
أُمِّ البَنِـــيْنَ والبَنَـــاتِ[٣] ومَوْئِـــلٍ ... عِنْدَ الـــشَّدائدِ للكَـــسِيْرِ العَـــاني

---

[١] كذا، واستقامة وزنه: **نهرُ الحضارةِ في بني الإنسانِ**.

[٢] كذا في الأصل، ولعل الأصوب هنا: " أَمْ مَنْ ".

[٣] حدث في تفعيلة البحر الكامل هاهنا الوَقْص، أي حذف الثاني المتحرّك من "متفاعلن"، وهو زحاف ثقيل، حُكْمه عند العَروضيين: أنه "صالح"، لكن الأفضل اجتنابه، وكان يمكن أن يكون هذا الشطر: "أُمّ البنينَ معَ البنـــاتِ وموئـــل". كما أن العبارة لو جُعلت بصيغة: "أُمّ البناتِ والبنين"، لكان أخفّ، ولكانت الضرورة في إشباع كسرة التـــاء مـــن

أُمِّ المُلُــوْكِ، وأُمِّ كُــلِّ مُجاهِــدٍ، | أُمِّ الحُمَـــاةِ القَـــادَةِ الـــشُّجْعَانِ
أُمِّ العبادِ الـــسَّاجِدِيْنَ وُجُـــوْهُهُمْ | تَعْنُـــوْ لِمُبْـــدِعِ هـــذِهِ الأَكْـــوانِ
أُمِّ الشَّهِيْدِ يَفُوْحُ مِـــنْ شِـــرْيَانِه | مِـــسْكٌ وَمَنظَـــرُهُ نَجِيْـــعٌ قَـــانِي
وإذا اســـتَنَارَتْ بِـــالعُلُوْمِ فإِنَّهـــا | تَسْمُوْ بِمُجْتَمَـــعٍ عَظِـــيْمِ الـــشَّانِ
بالدِّيْنِ والأَخْلاقِ تَقْتَحِمُ الـــرَّدَى | لِتُقِيْمَ صَـــرْحاً شَـــامِخَ البُنْيَـــانِ
والعِلْمُ يَنْبُوْعُ الجَمِيْـــعِ ومَنْهَـــلٌ | يَرْوِيْ لَهِيْبَ الظَّـــامِئِ العَطْـــشَانِ
والعِلْمُ تَهْذِيْبٌ، ونَـــشْرُ فَـــضِيْلَةٍ، | وحَصَانَةٌ مِـــنْ نَزْغَـــةِ الـــشَّيْطانِ
فَتَحِيَّـــةً للعـــاملاتِ بِهِمَّـــةٍ | مَقْرُوْنَـــةً بالحُـــبِّ والعِرْفَـــانِ
ونَقُـــوْلُ لِلاَّتِي أَنَـــرْنَ طَرِيْقَنَـــا | شُكْراً وتَقْدِيْراً مَـــدَى الأَزْمَـــانِ

"البنات" أسوغ من إشباع فتحة النون من "البنين"، غير أن الشاعر- مع موقفه المناصر لحقّ المرأة في التعليم والعمل- لم ير، وفق نسقه الثقافي، إمكانيّة تقديم "البنات" على "البنين"!

شُكْراً جَزِيْلاً مِنْ قُلُـوْبِ مَليئَـةِ[١] حُبًّـا شَـذاهُ فـاحَ بالرَّيْحـانِ
والأَجْرُ عِنْدَ اللهِ يُجْزِلُـهُ لِمَـنْ يَرْجُـوْ ثـوابَ المُنْـعِمِ الدَّيَّـانِ

📖 📖

---

[١] كذا، والبيت مكسور الوزن. استقامته:

شكرًا جزيلاً من قلوبٍ ملؤُها حُبٌّ شذاهُ فاحَ بالرَّيْحانِ

رُؤَى في عينِ أُمِّها

يا رُؤَى يا حَبّةَ القَلْبِ، ويا إِنْسَانَ عَيْنِــي
يا نَميْرًا سَلْسَبِيْلاً سَلِسًا عَــذْبَ المَعِــيْنِ
دُرَّةٌ إِنْ غِبْتُ عَنْها ضَجَّ قَلْبِــيْ بِــالحَنِيْنِ
وَشْمَةٌ في خافِقِيْ كالخالِ في صافِيْ الجَبِيْنِ
يا شَذا الكاذيْ ويا أَنْسَامَ زَهْرِ اليَاسَــمِيْنِ
يا ضِيَائِيْ إِنْ سَجَى لَيْلُ الحَيَارَى يا يَقِيْنِي

* * *

يا نَعِيْمًا نامَ في قَلْبِيْ على أَوْتَــارِ زَنْــدِي
فَرْحَتِيْ يا مُهْجَتِي تَنْثَالُ في تَرْحِيْ وسَعْدِي
لَثْغَةٌ مِنْ مَبْسَمٍ أَسْمَى سَنًى مِــنْ لازَوَرْدِ
حُلْوَتِيْ أَحْلَى مِنَ العُنَّابِ مَمْزُوْجًا بِشَهْدِ
يا حَيَاتِيْ يا رُؤَى تَخْتَالُ في نَوْمِيْ وسُهْدِي

قُرَّةَ العَيْنَيْنِ يا أَغْلَى مِنْ الشِّــرْيَانِ عِنْدِي

* * *

حِيْنَما تَمْشِيْ رُؤَى أَخْتَالُ زَهْوًا في رُؤاها

تُشْرِقُ البَهْجَةُ في عَيْنَيَّ إنْ زادَتْ خُطاها

يَتَوارَى الهَمُّ عَنِّــيْ دائمًــا لَمَّــا أَراهــا

مُنْيَتِيْ يا رَبِّ أَنْ تَحْيَا حَيَــاةً لا تُــضَاهَى

تَحْتَ ظِلٍّ وَارِفٍ مِنِّي وتَسْتَرْعِيْ أَباهــا

كُلُّ أَبْنَائِيْ[١] بِهِمْ في كُلِّ وَقْتٍ أَتَبَاهَـــى!

۞۞

[١] الأبناء: تنصرف إلى الذكور، على حين "الأولاد" تشمل الذكور والإناث. لذا كان المقصود هنا: "كُلّ أولادي".

دَوْرَة

يا دَوْرَةً ما كانَ أَتْعَسَنِي إذْ جئتُها طَوْعاً وأَشْقاني
ظَنَنْتُها عَذْراءَ فاتِنَةً فَحَرَّكَتْ شَوْقِيْ ووِجْداني
وخِلْتُها حَسْنَاءَ تَرْقُبُني فجئتُها تَهْتَزُّ أَرْكَاني
وجَدْتُها شَمْطَاءَ مُدْبِرَةً حَمْقَاءَ كَسْلَى جِسْمُها فَانِ
قَدْ كَشَّرَتْ عَنْ نابِها وبَدَتْ كأَنَّها مِنْ نَسْلِ شَيْطانِ
قَدْ شَاءَتِ الأَقْدَارُ لِيْ أَنْ أَرَى أَمْثَالَ (هَيَّانِ بْنِ بَيَّانِ)[1]
أَصْبَحْتُ بَعْدَ العِزِّ في عَمَلِيْ أَرْتَاعُ مِنْ زَيْدٍ وعَلاَّنِ
مِنْ خَوْفِ "دُكْتُوْرٍ" يُهَدِّدُني أَوْ مِنْ مُعِيْدٍ يَتَحَدَّاني

[1] هَيّان بن بَيّان: عبارة يضربها العرب مثلاً لما لا يُعرف أصله ولا فصْله. قال شاعر، في وصف حرب: "وأعطتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بنَ بَيَّانِ". وقيل: ابن هَيَّان وابن بَيَّان، كله بمعنى الخسيس من الناس، أو الذليل المجهول. وزعموا أن هَيَّ بنَ بَيٍّ من ولدِ آدم، ذهبَ في الأرضِ، لّما تَفرّقَ سائر ولد آدم، ففُقد، ولم يحسّ منه عينٌ ولا أثر. (يُنظر مثلاً: ابن منظور، لسان العرب، (بيي)؛ العسكري، أبا هلال، جمهرة الأمثال، تح. محمّد أبي الفضل إبراهيم؛ عبد المجيد قطامش (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٦٤)، ١: ٤٢).

كَــــأَنَّني بَيْنَهُمـــــا كُـــــرَةٌ   يَقْـــــذِفُنِيْ الأَوَّلُ للثَّـــــاني
ورُبَّ "دُكْتُــوْرٍ" بُلِيْـــتُ بِـــهِ   أَخْلاقُـــهُ أَخْـــلاقُ سَـــجَّانِ
أُرِيْدُ حَـــرْفَ الــدَّالِ أَسْــأَلُهُ   هَلْ رَابَهُ شَخْــصِيْ وإِنْــسَاني
وهَـــلْ يَرَانِـــيْ عِنْـــدَهُ قَزَمـــاً   الحَـــقُّ أنَّ الأَمْـــرَ يَخْفَـــاني
يا وَاضِعَ المِنْهَاجِ كَيْــفَ أَتَـــى   هَلْ كَـــانَ مَوْزُوْنـــاً بِمِيْـــزَانِ
أَمِ ارْتِجــــالٌ في مُحاوَلَـــــةٍ   تَكْثِيْفَـــهُ في وَضْـــعِهِ الــدَّاني
هَلْ مَنْهَجُ الإِحْصَـــاءِ يَنْفَعُـــنِي   أَمْ مَنْهَجُ التَّخْطِيْــطِ مِنْ شَاني

الرياض، ١٤٠٣هـــ.[1]

[1] أصل القصيدة مخطوط يتيم بخط الشاعر، من الواضح أنه لم يراجعه؛ لأنه– على طرافته– إنما يسجّل به تجربة شخصية، جاء نَظْمُه فيها أقرب إلى المعابثة. وتأريخ القصيدة ومكان كتابتها من عندي لا من قِبَل الشاعر؛ لأنـــني شـــهدتُ بنفسي ميلاد التجربة والنصّ، إبّان دورة في المناهج، لمديري المعاهد العلمية بالمملكة، عقدتها جامعة الإمام محمد بـــن سعود بالرياض، لمدة سنة دراسية.

رنين وأنين !

هاتفيْ ضَجَّ في الـــدُّجَى بـــالرَّنِيْنِ وأنا مِنْـــهُ في خِـــصَامٍ مُبِـــيْنِ

كُلَّمَا "دَقَّ" طَيَّـــرَ النَّـــوْمَ عَنِّـــيْ وإذا ما اسْتَراحَ نامَتْ عُيُـــوْنِي

آهِ يـــا صَـــاحِبِيْ تَـــأَدَّبْ قَلِـــيْلاً لا تَكُنْ مُوْلَعاً بِنَفْـــثِ الطَّنِـــيْنِ

ما لهذا أَدْخَلْتُـــكَ البَيْـــتَ أَهْفُـــوْ "لِزَعِيْقٍ" في كُلِّ وَقْتٍ وحِـــيْنِ

كُنْتُ أَرْجُوْ وِصالَ كُـــلِّ حَبِيْـــبٍ مَـــرَّةً في الأَسْـــبُوْعِ أو مَـــرَّتَيْنِ

فـــإذا أَنْـــتَ لا تُطِيْـــقُ سُـــكُوْتاً أو سُكُوْناً في عُمْقِ لَيْلِ السُّكُوْنِ

* * * * * * * * * *

قُلْتُ لا بَأْسَ سَوْفَ أَسْـــمَعُ مـــاذا تَبْتَغِيْ بالتَّنْكِيْدِ يـــا "تِلِفُـــوْنِي"؟

ورَفَعْـــتُ الـــسَّمَّاعَةَ[١] فتَنَاغَـــتْ نَغَمَـــاتٌ تَـــزْدانُ بـــالتَّلْحِيْنِ
وعَـــلا صَـــوْتُ غُنَّـــة يَتَغَنَّـــى بأَهَازِيْجَ مِـــنْ نَـــشِيْد رَصِـــيْنِ
فاسْتَحَالَتْ حَرارَةُ "الخَـطِّ" نـاراً وسَرَتْ في جَوَانِحَيْ تَكْـوِيْنِي

* * * * * * * * * *

قُلْتُ والغَـيْظُ قَـدْ تَبَـدَّدَ عَنِّـي رُغْمَ أَنْفِيْ: أَهْلاً،"نَعَمْ"، حَدِّثِيْنِي
مَنْ مَعِيْ؟ ما المُرَادُ؟ قالَـتْ: فَتَـاةٌ تَتَسَلَّى وأَنْـتَ مَـنْ يُـسْلِيْنِي
قُلْتُ مَهْلاً– خَـلاك ذَمٌّ– فـإِنِّي أَسْمَعُ الصَّوْتَ صَوْتَ صَبٍّ حَزِيْنِ
أَنْتِ أَخْطَـأْتِ نُمْـرَةً فأَعِيْـديْ [م] الرَّقْمَ أُخْرَى تَأَكَّديْ واسْـتَبِيْني
فـإذا رَدَّ مَـنْ تُرِيْـدِيْنَ مِنْـهُ [م] اللَّهْوَ لَيْلاً، "خَلاصِ" لا تَطْلُبِيْني
أَطْعِمِيْهِ مِنْ لَفْظِك العَذْب شَـهْداً وتَـسَلِّيْ بِـهِ ولا تُـسْهِرِيْني
لَسْتُ مِنْ صَـيْدِكِ المُـسَلِّي ولا لِيْ في خداعِ السَّرابِ ما يُرْوِيْنِـي
مِنْ سِهامِ الشُّجُوْنِ قَلْبِيْ جَرِيْـحٌ يا "ابْنَةَ النَّاسِ" لا تُثِيْرِي شُجُوْنِي

---

[١] لإقامة الوزن تُشبع حركة التاء من "السَّمَّاعة".

قالَتْ : "اللهُ"! صِرْتَ شَخْصاً وَقُوْراً   مِنْ مَتَى أَنْتَ زاهِدٌ في الفُتُوْن؟!

قَدْ قَرَأْناكَ شَاعِراً عاطفيًّا   غَزِلاً مُغْرَماً بِنُجْلِ العُيُوْنِ

فاعْتَرِفْ! رُبَّ شاعِرٍ يَتَمَنىَّ   لَوْ يُغَنِّي ولَوْ بِشِعْرِ الْمُجُوْنِ

قُلْتُ: لا تَهْزَئِيْ فهذا شِعاريْ   ودِثاريْ مِنْ فَضْلِ عَقْلِيْ ودِيْنِي

فأَنا لا أُحَبِّرُ الشِّعْرَ هُجْراً   بَلْ شُعُوْراً مُعَطَّراً باليَقِيْنِ

* * * * *

أَرْدَفَتْ يا "فُلانُ" شَتَّتَ فِكْرِيْ   هاجسٌ حَالَ بَيْنَ حَظِّيْ وبَيْنِي

وخَيَالٌ يُصَوِّرُ الحُسْنَ قُبْحًا   وجنَانٌ يَقُوْدُنِيْ للجُنُوْنِ

أَشْرَبُ الَماءَ سَلْسَبِيْلاً زُلالاً   وكَأَنِّي أَعُبُّ مِنْ غِسْلِيْنِي[1]

مُنْيَتِيْ أَنْ أَلْقَى دَوَاءً لِدَائِيْ   وعلى الفَوْرِ مِنْ طَبِيْبٍ أَمِيْنِ

* * * * *

أَنا عُمْرِيْ "بالضَّبْطِ" عِشْرُوْنَ عاماً   في رَبِيْعِيْ النَّضِيْرِ أَحْلَى سِنِيْنِي

ثَمَراتِيْ قَدْ أَيْنَعَتْ يا لَخَوْفِيْ   مِنْ كَسَاديْ إِنْ عَزَّ مَنْ يَجْنِيْنِي

شَأْنَ بَعْضِ الثِّمَارِ تَبْقَى زَماناً   ثُمَّ تَذْوِيْ مِنْ بَعْدِ نُضْجٍ ولِيْنِ

* * * * *

---

[1] كذا، ولعل الصواب: "من غسلينِ".

قُمْتُ أَدْعُوْ وأَرْفَعُ الصَّوْتَ جَهْــراً   شاعِرَ الحُــزْنِ والهَــوَى والحَنــيْنِ
ولَصَوْتُ الجَــرِيْحِ أَنْــدَى نِــداءً   كُلَّمــا عَــجَّ بالنَّحيْــبِ الــدَّفِيْنِ
مِنْ كِتَابِ الأَسَى تَعَلَّمْــتُ دَرْســاً   مَنْطِقيَّـــا مُـــسَطَّراً بـــالأَنِيْنِ

* * * * *   * * * * *

إيْهِ يا شَاعِرَ الهَوَى قِــفْ رُوَيْــداً   نَوِّعِ الــشِّعْرَ في جَمِيْــعِ الفُنُــوْنِ
اكْتُبِ الشِّعْرَ عَنْ مَلايِــيْنَ مِثْلِــيْ   يَنْتَظِرْنَ الإِفْــراجَ مِثْــلَ الــسَّجِيْنِ
واكْتُبِ الشِّعْرَ عَنْ فَتَــاةٍ أُمِيْتَــتْ   وفَتَـــاةٍ تُبَـــاعُ بَيْــعَ الــضَّئِيْنِ
وفَتَـــاةٍ تُــسَاقُ كَرْهـــاً لِبَعْـــلٍ   هُوَ "بَغْلٌ" يَقُوْلُ هَيَّــا "اعْلِفيْنــي!"
وفَتَـــاةٍ قَـــدْ أُعْلِنَـــتْ في مَــزَادٍ   ثُمَّ نَادَوا : يــا صَــاحِبَ المِلْيُــون
بَعْــدَ أنْ كــانَ سُــوْقُها في رَواجٍ   وُئِــدَتْ في لُعَــاعِ دُنْيًــا مَهِــيْنِ
و اكْتُبِ الشِّعْرَ عَنْ شَبَابٍ تَــرَدَّى   في مَهَــاوِيْ الــضَّيَاعِ والأَفْيُــوْنِ
خَبْطَ عَشْواءَ في المَتاهَاتِ يَمْــشِيْ   هائِمــاً يَرْتَــوِيْ بِكَــأْسِ المَنُــوْنِ

* * * * *   * * * * *

قُلْتُ: عَفْواً، يا مَنْ تُرِيْدِيْنَ شِــعْراً   آخِرَ اللَّيْلِ، "ارْقُــدِيْ" واتْرُكِيْنِــي
واقْفِلِيْ "الخَطَّ" لَوْ سَمَحْتِ، "وفَضْلاً"   بعدَ هذا، "أَرْجُوْكِ" لا تُزْعِجيْنِــي!
أَنا عِنْدِيْ مِنَ الهُمُــوْمِ جِبَـــالٌ   ومِنَ العَيْــشِ المُــرِّ مــا يَكْــفِيْنِي

☎

ظهران الجنوب

نَشَرَ أحدُ المدرّسين المصريّين قصيدة في صحيفة "الجزيرة"، وقد عُيّن في ظَهْران الجنوب، فبعثْتُ بهذه القصيدةِ لأخي مدير متوسّطة ظهران الجنوب، على وزن وقافية قصيدة المدرس المصري.

أَيُّها الطَّائرُ المُهَاجِرُ أَهْلاً ... بِكَ ضَيْفًا حَلَلْتَ في ظَهْرانِ
أَيُّ وَكْرٍ وُفِّقْتَ لِلْحِلِّ فِيْهِ ... فُزْتَ بَيْنَ الأَحْبَابِ والخِلاَّنِ
حُطَّ باسْمِ اللهِ رِحَالَكَ وأْمَنْ ... مُسْتَزِيْدًا مِنْ صُحْبَةِ الإِخْوَانِ
واحْمَدِ اللهَ راضِيًا مُطْمَئِنًّا ... مُسْتَعِيْذًا مِنْ نَزْغَةِ الشَّيْطَانِ
أَنْتَ بَيْنَ الإِخْوان لَسْتَ غَرِيْبًا ... الكِنَانِيْ يَعْتَزُّ بِالْقَحْطَانِي
فَلَكَ الجَارُ والمُقَامُ المُهَنَّا ... جِيْرَةُ اليُمْنِ مِنْ عُلَى هَمْدَانِ
دَوْحَةُ المَجْدِ مُسْتَطَابٌ جَنَاها ... رَوْعَةٌ في تَشَابُكِ الأَغْصَانِ
قُلِّدَتْ في التَّارِيْخِ أَسْمَى وِسَامٍ ... مِنْ "عَلِيٍّ" يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ
حِيْنَ أنْ كانَ للبَسَالَةِ مَعْنًى ... يَتَجَلَّى في قُوَّةِ الشُّجْعَانِ

* * *

إيْهِ ظَهْرانُ، يا أَسِــيْرَةَ حُبِّــي   لَــكَ منِّــي تَحيَّــةُ الوَلْهَــانِ
لِيْ بأَرْضِ الرَّحِيْبِ حِصْنٌ مَنِيْــعٌ   قُلْ لأَرْضِ الرَّحِيْبِ لا تَنْسَانِي[1]
اسْمُها المُنْتَقَى يَفِــيْضُ جَمَــالاً   ومِنَ الاسْمِ تُــسْتَمَدُّ المَعَــانِي
رُبَّما اشْتُقَّ مِنْ رَحَابَــةِ صَــدْرٍ   وأَرَاهُ التَّرْحِيْــبَ بالــضِّيْفَانِ

* * *

وَطَنٌ حَلَّ في فُؤَادِيْ (صَــغِيْرًا)   وهُــوَ الآنَ ثابِــتُ البُنْيَــانِ
بَرَّحَتْ بِيْ لَوَاعِجُ الشَّوْقِ حَتَّــى   جَرَّحَتْنِيْ وزَلْزَلَــتْ أَرْكَــانِي
هُوَ في مُهْجَــتِيْ مَنَــاطُ الثُّرَيَّــا   ومَدِيْــنٌ لَــهُ بِكُــلِّ كِيَــانِي
عِشْتُ في رَوْضِهِ زَمانًا يَسِــيْرًا   لا يَزَالُ صَــدَاهُ في وِجْــدَانِي[2]

---

[1] الصواب نحويًّا: "لا تنسني". ولئن أُجيز هذا على سبيل الضرورة، ولاسيما في القافية، فقد كان يمكن أن يجعل الشطر مثلاً: "ليتَ أرضَ الرحيب لا تنساني".

[2] حركة اللام في كلمة "يزالُ" مشبعة.

وعلى أَرْضِهِ الطَّهُــورِ تَهَــادَتْ | خطُــوَاتٌ تَــزْدَانُ بالإِيْمَــانِ
* * * | * * *
يا بَــسَاتِيْنَهُ النُّــضَارَ، وأَحْلَــى | مِنْ بَسَاتِيْنه رَنَــيْنُ الــسَّوَانِي
لَوْ تَأَمَّلْتَ آيَــةَ الحُــبِّ لَمَّــا | عَانَقَ الطَّلْحُ أَغْــصُنَ الرُّمَّــانِ
أَوْ تَنَسَّمْتَ فَغْوَةَ الطِّيْــبِ لَمَّــا | مازَجَ السِّدْرُ نَفْحَةَ الرَّيْحَــانِ
* * * | * * *
جَلَّ مَنْ أَسْعَدَ العِبَــادَ وأَشْــقَى | وقَضَى لِيْ البِعَادَ عَنْ أَوْطَــانِي
هـــذِهِ سُــنَّةُ الحَيَــاةِ ومَــا لِيْ | غَيْرُ فَيْضٍ مِنْ رَحْمَةِ الــرَّحمنِ
وعَزَائِيْ الذِّكْرَى الجَمِيْلَةُ إِنِّــي | أَسْــتَقِيْها كالوَالِــهِ الهَيْمَــانِ
* * * | * * *
فسَلامٌ على العَــرِيْنِ ومَرْحَــى | لِــشثاثٍ يــا قُــوَّةَ الــدَّيَّانِ!
لاحَ في الأُفْقِ شَــامِخًا عَبْقَرِيًّــا | يَتَحَدَّى حَــوادِثَ الأَزْمَــانِ
وسَــــلامٌ آلَ جــــبيرٍ مُزَجَّـــى | بِعَبِيْرٍ مِــنْ نَفْحَــةِ البُــسْتانِ[١]

[١] القصيدة من البحر الخفيف، وقد وقع هنا في التفعيلة الثانية من الشطر الأول زحافُ الطيّ- على أساس أن التفعيلــة الأصلية في الخفيف (مستفعلن)، لا (مستفع لن)، كما ذهب بعض العروضيين- والطيّ: حــذف الحــرف الرابــع الساكن، لتصبح التفعيلة (مستفعلن): (مستعلن). وكان للشاعر عن الطيّ مندوحة لو قــال: "وسَــلامٌ آلَ الجــبيرِ مُزَجًّى".

قَرْيَةٌ أَثْقَلَــتْ يَــدِيْ بِقراهــا ... طَــوَّقَتْنِيْ بالحُــبِّ والتّحْنَــانِ

ما أُحَيْلَى نَسِيْمَها الغَــضَّ لَمَّــا ... لامَسَ الزَّرْعَ، رَقْصَةَ النَّــشْوانِ

لَسْتُ أَنْسَى مَرابِعَ الأُنْسِ فيهــا ... لَسْتُ أَنْسَى مَلاعِبَ الــصِّبْيَانِ

كَيْفَ أَنْسَى مَراتِعَ الرَّعْيِ، لا بَلْ ... كَيْفَ أَنْسَى مَــوَارِدَ الغُــزْلانِ

* * *

فاسْأَلُوا البِئْــرَ والــسَّوانيَ لَمَّــا ... رَفْرَفَ القَلْبُ مِنْ شَجَى الأَلْحَانِ

نَغْمَةُ الصَّوْتِ في السُّوَيْدَاءِ مِنِّــي ... لا تَزَالُ مَحْفُــوْرَةً في جَنَــانِي

واسْأَلُوا التِّيْنَ عَنْ صَبِيٍّ نَحِيْــلٍ ... كانَ يَغْزُوْ فَواكِــهَ الجِيْــرانِ

واسْأَلُوا الخُوْخَ أَيْنَ ذاكَ التِّهامِيْ؟ ... يَمْتَطِيْ الغُصْنَ، خِفَّةَ السِّعْدَانِ!

أَيُّها الطَّائِرُ السَّــعِيْدُ هَنِيْــئًا ... لَكَ طِيْبُ الُمَقَــامِ في ظَــهْرانِ!

بيروت

بَيْرُوْتُ والنَّارُ وحُكْمُ الطُّغَاةْ ونَوْمَةُ العُرْبِ وبَغْيُ الجُنَاةْ
تَخُوْضُ في مُسْتَنْقَعٍ آسِنٍ مِنَ الدَّمِ المَهْدُوْرِ يا أُمَّتَــاهْ
أَلَيْسَ بَعْدَ النَّوْمِ مِنْ صَحْوَةٍ مِنْ حُلُمٍ قَدْ أَرْعَبَتْهَا رُؤَاهْ
كَابُوْسُهُ يَجْثُمُ في عُمْقِــنا يُدْمِيْ القُلُوْبَ ويُكِمُّ الشِّفَاهْ[1]
يا أُمَّـــةَ الأَمْجَـــادِ لا تَرْكَـــعِيْ لا يَنْبَغِيْ للحُـــرِّ حَـــنْيُ الجِبَـــاهْ

[1] استخدم الشاعر (الخَبْن) في عدّة مواضع من هذه القصيدة، وهو ما يحسن في الرَّجَز، ولا يحسن في البحر الـــسريع– الذي جاءت على وزنه القصيدة– إلاّ أنه في الشطر الأخير من هذا البيت قد جمع (الخَبْن) و(الطَيِّ) في التفعيلة الثانية، ما زاد في ثِقَله.

عُوْدِيْ لأَمْرِ اللهِ واسْتَبْشِرِيْ   بِنَصْرِهِ في نَفْحَةٍ مِنْ هُدَاهْ
أو فامْسَحِيْ التَّارِيْخَ واسْتَبْدِلِيْ   مَلاحِمَ الهَزْلِ وحَكْيَ الرُّوَاةْ

******   ******

أَسْأَلُ عَنْ ماهِيَّتِيْ مِنْ أَنا؟   عَنْ صَرْحِ أَمْجَادِيْ أَنا مَنْ بَنَاهْ؟
أَسْـأَلُ والآلامُ مَغْـرُوْسَـةٌ   في القَلْبِ عَنْ مَاضٍ لَعَلِّيْ أَرَاهْ
هَلْ ماتَتِ الأَمْجَادُ في أُمَّةٍ   خَاضَتْ غِمَارًا في مُحِيْطِ الحَيَاةْ
ما بالُها اليَوْمَ تَراخَتْ؟ وقَدْ   كانَتْ تَصُوْنُ العَهْدَ تَحْمِيْ حِمَاهْ
المَوْتُ مُـرٌّ المُـرِّ لكنَّـهُ   في عِزَّةِ الإِسْلامِ يَحْلُوْ لِقَاهْ

******   ******

لُبْنَانُ يا سَرْحًا بلا حَارِسٍ   تَغْتَالُهُ في كُلِّ يَوْمٍ عُدَاهْ
شَعْبٌ شَرِيْدٌ تَائِهٌ هَائِمٌ   مُشَرَّدٌ لا يَعْرِفُ الإتِّجَاهْ
مَبَادِئُ الأَحْزَابِ حَلَّـتْ بِـهِ   وخَدَّرَتْـهُ ثُـمَّ حَلَّـتْ عُرَاهْ

لَوْ عَادَ للإِسْلامِ لم يَنْهَزِمْ | مِنْ زُمْرَةِ الذُّلِّ، "وحَقِّ الإِلهْ!"
لكنَّهُ التَّفْرِيْطُ أَوْدَى به | فاجْتَاحَهُ الرُّعْبُ وشُلَّتْ يَدَاهْ
هَلْ كان ذُلُّ الشَّعْبِ مِنْ قِلَّة | كَلاَّ ، ولكنْ زادَ فِيْهِ العُصَـــاةْ
أَقُوْلُهـــــَا، والحَقُّ حَقٌّ ولَــــــوْ | خالَفَنِيْ مَنْ كانَ يَهْوَى هَوَاهْ

****** ******

يـــا قــَادَةَ الإِسْلامِ قُوْلُوا لَنَــا | حتى متى الصَّبْرُ وطُوْلُ الأَنــَاةْ؟
تَسْـــأَلُنِيْ نَفْســِيْ التي تَنْزَوِيْ | في أَزْمَةِ التَّفْكِيْرِ ماذا تَرَاهْ؟
ماذا أَقُــوْلُ؟ هَلْ أَقُــوْلُ أَنَــا | مِنْ أُمَّةٍ تَلْتَذُّ مُرَّ المِيَاهْ؟
أَوْ أَنَّنِيْ أُضْفِيْ على نِسْبَتِيْ | هَالات فَخْرٍ مِنْ أُسُوْد الفَلاةْ؟
أَقُوْلُ جَدِّيْ كانَ ذا نَخْوَةٍ | يُغِيْثُ مَلْهُوْفًا ويُؤْتِيْ قِرَاهْ
ويُكْرِمُ الضَّيْفَ ويَهْوَى العُلا | ويُوْجِرُ الأَعْدَاءَ حَدَّ الشَّبَاةْ
ويَحْمِلُ الرَّايــَاتِ خَفَّاقَـــــــةً | ما عَابَهُ الحَرْثُ ورَعْيُ الشِّيَاهْ

****** ******

لكنَّـــنِي اليَـــوْمَ أَنـــا مَنْ أَنـــا؟! | مَـــاضٍ إلى مَـــاضٍ بَعِيْدٍ مَـــدَاهْ

أَسِيْرُ فِي الشَّوْكِ وأَرْضَى بِهِ   كَأَنَّ دَرْبِيْ لم يَكُنْ لِيْ سِوَاهْ
أَهِيْمُ في بَيْدَاءَ دَيْمُوْمَةٍ   كخَامِلٍ سَاهٍ عَنِ الدَّرْبِ تَاهْ
تَعَـوَّدَ الصَّفْعَـاتِ فِي خَـدِّهِ   ويَدَّعِيْ الفَخْرَ بِأَصْلٍ وَجَـاهْ
يَرَى رَزَايَـاهُ بعَيْنِ العَمَـى   ما هَمَّهُ لَوْ كَانَ فِيْهَا وَجَـاهْ[1]

******

يَـا أَبَتَـاهُ كُنْتَ لَيْثَ الشَّرَى   هَلْ ضَاعَتِ الأَمْجَـادُ يَـا أَبَتَاهْ
آبـاءَنا، عَفْواً، فقَدْ سَـادَنا   فِكْرٌ هَجِيْنٌ لم يُحَقِّقْ مُنَاهْ
فِكْرٌ يَرَى الإِسْلامَ رَجْعِيَّةً   وكَـانَ فِي تَفْكِـيْرِهِ مُنْتَهَـاهْ
فرايَـةُ الإِسْلامِ خَـفَّـاقَـةٌ   والنَّصْرُ فِي الإِسْلامِ يَـا مَنْ قَلاهْ

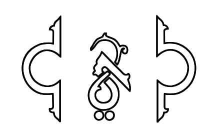
******

يا مَنْ رَأَى الأَشْـلاءَ مَشْـوِيَّةً   بَيْنَ رَمَادٍ مِنْ وَقُوْدِ الغُزَاةْ
ما هـالَنِيْ مَـرْأًى سِوَى طِفْلَةٍ   مَحْرُوْقَةِ الخَدَّيْنِ ، "يا رَحْمَتَاهْ!"

---

[1] من الوَجَى، وهو الحَفَى.

مَقْطُوْعَةَ الكَفَّـــيْنِ، يـــا مَنْظَـــرًا ... يَا لَيْتَني مـــا كُنْـــتُ يَوْمًـــا أَرَاهْ
وهـــَالَنِيْ طِفْـــلٌ بَـــدَا مُنْهَكًـــا ... على سَرِيْرِ المَوْتِ يَـــدْعُوْ أَبَـــاهْ
مُـــضَمَّدٌ يَرْنُـــوْ بِعَـــيْنِ الأَسَـــى ... مَنْ حَوْلَهُ؟ هَلْ أُمُّـــهُ لا تَـــرَاهْ؟
والأُمُّ يـــا طِفْـــلاهُ مَحْمُوْلَـــةٌ ... على سَرِيْرِ النَّعْشِ واحَـــسْرَتَاهْ!
بَكَيْـــتُ- واللهِ- بُكَـــاءَ امْرِئٍ ... مُلَوَّعٍ لَوْ كَانَ يُجْدِيْ بُكَـــاهْ



نشيدٌ في شفاه الكون

يا بِلادِيْ يــا تَــرَانِيْمَ الحُــدَاة اليَعْرُبِيَّــةْ
يا نَشِيْداً في شِفَاهِ الكَوْنِ أَنْغَامــاً شَــجِيَّةْ
يا شُمُوْخَ الشُّمِّ مِنْ جِذْرِ العَمَالِيْقِ الأَبِيَّــةْ[١]
مِنْ مَحَارِيْبِ الهُدَى والنُّوْرِ والنَّفْسِ الزَّكِيَّةْ[٢]
مِنْ مَعَانِيْ مَسْرَحِ التَّوْحِيْدِ والأَرْضِ النَّقِيَّــةْ[٣]

---

[١] من هذه القصيدة نسختان، إحداهما مضبوطة بالشكل التام، أجرى عليها الشاعر بعض التعديلات، وهي المثبتة هنــا، وسنرمز لها بــ(ب). وكان هذا البيت في النسخة الأخرى، التي سنرمز لها بــ(أ)، هكذا: "يا شُموخاً من جُــذُوْرِ الشُّمِّ في الأرضِ الأَبِيَّةْ".

[٢] في النسخة أ: "عربيٌّ مسلمٌ من هذه الأرض الزَّكِيَّةْ".

[٣] في النسخة أ: "مِنْ معانيْ مسرحِ التوحيدِ وضَّاحِ الهُوِيَّةْ".

مِنْ رَوابيْ مَشْـــرِقِ التَّارِيْخِ والرُّوْحِ القَوِيَّـــةْ

* * * * *

مِنْ سَرَايَا الفَتْحِ في الآفاقِ مِنْ أَرْضِ الجَزيْـــرَةْ
مِنْ حُفَاةٍ زَلْزَلَتْ كِسْرَى وقَدْ دَاسَتْ حَرِيْـــرَهْ
مِنْ رُعَاةٍ تَقْهَرُ الرَّمْــضَاءَ في حَـــمِّ الظَّهيْـــرَةْ
مِنْ هُدَاةٍ في الـــدَّيَاجِيْ كالمَــصَابِيْحِ المُنِيْـــرَةْ
مِنْ مَنَارَاتٍ بِهَا انْثَالَ السَّنَا مِنْ كُـــلِّ ديْـــرَةْ
مِنْ أَبِيْ الهَيْجَـــاءِ عَمْرٍو والمُثـــنَّى والمُغيـــْرَةْ

* * * * *

وانْثَنَى التَّارِيْخُ يَرْوِيْ لِيْ حِكَايَـــاتٍ جَدِيْـــدَةْ
قِصَصًا فَوْقَ الرِّمَالِ الحُمْـــرِ أَخْبَـــاراً فَرِيْـــدَةْ
مَسْرَحِيَّاتٍ على الصَّحْرَاءِ في أَسْمَى قَصِيْـــدَةْ[1]

---

[1] في النسخة أ: "مسرحيَّاتٍ تُغَنِّي في تواشيح قصيدةْ".

سَكَبَتْ في شَمْعَدانِ الشِّعْرِ ما أَحْلَــى نَــشِيْدَهْ
فارسٌ مِنْ قَلْبِ نَجْد غَاصَ في عُمْــقِ العَقِيْــدَةْ
حَوْلَهُ الأَبْطَــالُ كُلٌّ مَثَّلَ الأَرْضَ السَّـــعِيْدَةْ

* * * * *

مَوْطِنِيْ يا سَاكِناً في القَلْبِ مَــشْبُوْبَ الــوَلاءِ
في دَمِيْ يا دُرَّةَ الغَوَّاصِ يـــا أَصْــفَى الــصَّفَاءِ
يا سَنًى في مَبْسِمِ التَّــارِيْخِ وَهَّــاجَ الــضِّيَاءِ
شَــامخاً مُتَّكِئــاً مَــتْنَ الثُّرَيَّــا في الفَــضَاءِ
بَاذِخاً يَقْتَعِــدُ الجَــوْزَاءَ في قَلْــبِ الــسَّمَاءِ
ثابِتَ الأَرْكَانِ بالتَّوْحِيْدِ مَشْـــدُوْدَ البِـــنَاءِ

* * * * *

يا بِلاداً شَعَّ مِنْهَــا النُّــوْرُ والحُــبُّ العَمِيْــقْ
عُبِّدَتْ فِيْها دُرُوْبُ الخَيْــرِ فانْــدَاحَ الطَّرِيْــقْ
وارْتَوَتْ صَحْرَاؤُهَا الرَّقْرَاقَ فاخْضَــرَّ الوَرِيْــقْ

وانْبَرَى مِنْ ثَغْرِهَا المَــوَّالُ والــشِّعْرُ الرَّقِيْــقْ
واعْتَلَى أَعْلَى رُبَاهَا الطُّهْرُ، والمَجْــدُ العَرِيْــقْ
والهُدَى، والعَدْلُ، والتَّوْحِيْدُ، والبَيْــتُ العَتِيْــقْ

* * * * *

يا جبَالَ العِزِّ يــا صَــحْراءَ رَيْعَــانِيْ وحُبِّــي
يا مثَالَ الرَّوْضَةِ الخَــضْرَاءِ في أَيَّــامِ جَــدْبِ
يا مُثِيْرَ الشِّعْرِ مِنْ فِكْرِيْ ومِنْ شِــرْيَانِ قَلْــبِي
حَرَّكَتْهُ سَاجعَاتُ الحُبِّ مِنْ أَعْمَــاقِ صَــبِّ
يا شِعَاراً رَافِعاً رَمْــزَ الــصَّفَا في كُــلِّ دَرْبِ
عَاشَ مَنْ يَحْمِيْكَ عَنْ كُلِّ الأَذَى، يَرْعَــاهُ رَبِّي!

القصائد

كُتُبٌ أُخرى للدكتور عبدالله الفَيْفي

١- (٢٠٠٦). نَقْدُ القِيَم: مقاربات تخطيطيّة لمنهاج علميّ جديد. (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي).

٢- (٢٠٠٥). فَيْفاء: (مجموعة شعريّة). (دمشق: اتحاد الكُتّاب العرب).

٣- (٢٠٠٥). حداثة النصّ الشعريّ في المملكة العربية السعودية: (قراءة نقديّة في تحوّلات المشهد الإبداعيّ). (نادي الرياض الأدبي).

٤- (٢٠٠١). مفاتيح القصيدة الجاهلية: نحو رؤية نقدية جديدة عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا. (جدّة: النادي الأدبي الثقافي).

٥- (١٩٩٩). شعر ابن مقبل، قلق الخضرمة بين الجاهليّ والإسلاميّ: دراسة تحليلية نقدية- جزءان. (نادي جازان الأدبي).

٦- (١٩٩٨). شعر النقاد: استقراء وصفيّ للنموذج. (الرياض: جامعة الملك سعود، كلية الآداب، مركز البحوث).

٧- (١٩٩٦). الصورة البَصَريّة في شعر العميان: دراسة نقدية في الخيال والإبداع. (نادي الرياض الأدبي).

٨- (١٩٩٠). إذا ما الليل أَغْرَقَني: (مجموعة شعريّة). (الرياض: دار الشريف).



الشاعر

- سلمان بن محمّد بن قاسم الحَكَمي الفـَيْفي. مواليد فـَيْفاء، بُقعة الخَـشْعَة، جبـل آل أبي الحَكَم: ١٣٦٣هـ= ١٩٤٣م.
- تلقـّى تعليمه الأولّيّ في مدرسة الخَشْعَة، في فـَيْفاء، إذ التحق بها سنة ١٣٧٣هـ. انتقل للدراسة بمعهد ضَمَد العلمي. ثم عاد إلى فـَيْفاء، فعُيّن مدرِّساً في مدرسة الخَشْعة، وكانت تـُسمى (معهد الخَشْعَة). انتقل للدراسة بمعهد سامطة العلمي. فدَرَسَ في قسمه التمهيدي، فالمتوسط، فالثانوي، وحصل على شهادة المعهد، (القسم العامّ)، سنة ١٣٨٦هـ.
- التحق بكلية اللغة العربية في الرياض، وحصل على شهادة الليسانس، سنة ٨٩/ ١٣٩٠هـ.
- عمل مدرّسًا في معهد الرياض العلمي سنة ١٣٩١هـ. وبعد سنةٍ دراسية، انتقل للعمل بالمعهد العلمي في عرعر. واستمر في التعليم بمعهد عرعر العلمي، ليشغل بعد سنوات وظيفة وكيلٍ للمعهد، ثم مديرٍ للمعهد، قبل أن يَطلب التقاعد المبكر، نظراً لظروفه الصحية.
- تـُوفي- رحمه الله- بمدينة الرياض، في شهر رمضان، سنة ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.